كل شيء في هذا العالم يكفي لإعدامك بلا محاكمة؛
ربما باستثناء التنفس

ولا شك أنهم سيمنعونه عن قريب.

د. أحمد خالد توفيق

إهـــداء

إلى (أبي): ستظل دومًا الإهداء الأول والأخير، وسأظل دومًا أذكرك بأنني لطالما أشتهي وجودك لأقرأ عليك رواياتي..

إلى (عائلتي): شكرًا لدعمكم الدائم لي من أجل خروج هذا العمل للنور.

إلى (ف . ج): أتمنى أن تمر الثواني كسنين ليطول عمر صداقتنا لأعوام أخرى، فللأسف هنالك أشياء مهما حاربت لأجلها لن تدوم للأبد..

إلى (م.أ) و(م.ك) و(م.ه): شكرًا جزيلًا لوقتكم الذي أفنيتموه بمراجعة الرواية يا أصدقاء.

إلى (م . م): شكرًا جزيلًا لبئر دعمك الذي لا ينضب أبدًا..

إلى (م.ع): لولاكِ لم يكن لسفينة أحلامي مرسى،

فشكرًا جزيلًا للصدفة التي جمعتني بك.

إلى (جينوس): لم يسبق وأهدي كاتب روايته لشخصية من نسج خيالاته، لكنك لطالما كنت واقعًا بالنسبة لي، كما أن وجودك كجزء لا يتجزأ مني يعد أعظم ما حدث لي بحياتي، فأنت أعظم مداوٍ لكل ما يؤذيني ويؤذي البشر..

وأخيرًا:

إلى كل من قرر الهروب من تلك الدنيا حينما تمنى شيئًا ما ولم ينله..

رسم: شيري وهيب

الجزء الأول:

(ما قبل السقوط للمستنقع)

الإغماءة الأولى

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال الأول في رحلتنا:

- هل أحب آدم حواء حقًا، أم أنه اضطر لذلك لأنها المرأة الوحيدة على الأرض في ذلك الوقت؟

كميّت إكلينيكيًا تم إنعاشه عقب عدة صعقات كهربائية..

الخدر كان يملأ جسدي كله، بالإضافة لصداع شديد انطلق من الجانب الأيسر لدماغي ثم تخلله بالكامل، صداع كان أشبه بنقار خشب لم يتوقف منقاره عن نقر رأسي، كما أن أذني التقطت دويًا لصوت غريب لم أستطع تحديد مصدره، نظرًا لأنني لا زلت مستلقيًا على ظهري متخشّب الأطراف..

بعد لحظات استمر فيها ذلك الصداع همس لي عقلي متسائلًا:

من أنت؟

هل سبق لك يا صديقي أن سألت نفسك في مرة من المرات من أنت؟

أجربت مرة أن تعرف نفسك كما قام بذلك كل من يعرفك؟

أو حتى اعتراك فضول ما كي تصف نفسك إلى نفسك بواسطة عينيك التي تصف لك كل شيء تراه في تلك الدنيا عدا أن تراك أنت؟

كانت تلك الأسئلة تضرب عقلي بسياطها كلما فكر بالتهرب من الإجابة..

لكن هل أحمل إجابة لتلك الأسئلة حقًا!

مرّ وقت طويل دون أن أنجح بتذكر أي معلومة عني، لأقرر حينها استجماع قواي والنهوض لتأمل تفاصيل المكان من حولي..

رفعت ظهري لأعلى لتأمل معالم الغرفة ذات الجدران السوداء، حينها انطلقت دونًا عني صرخة فزع، صرخة زحفت بعدها بجسدي نحو الخلف لعدة خطوات إثر هلعي من المشهد الذي صُدمت به يدور أمامي مباشرة، كسلحفاة تقهقرت محتمية في صدفتها نتيجة شعورها بدنو الخطر..

فجدار الغرفة المواجه لي كان عبارة عن جدار أسود

اللون -كما هو لون بقية جدران الغرفة- يحتوي في قلبه على لوح زجاجي ضخم يُغطي ما يقارب الثمانين بالمئة من مساحته، أما عما غلغل الهلع بأوصالي فقد كان المشهد الذي رأيته يدور خلفه..

حيث أبصرت مجموعة من الأيادي والوجوه التي كانت تحاول الالتصاق بذلك اللوح الزجاجي مرارًا وتكرارًا دون جدوى، أيادٍ لم تكن لبشر مثلي، بل لكائنات رمادية اللون، شبيهة بالبشر، لم يحتوِ وجهها على أية ملامح، بعضها كان يلصق وجهه بذلك اللوح والبعض الآخر كان يطرق بيديه على زجاجه، كما أن بعضا من تلك الكائنات كان يحاول أن يتسلق بيديه نحو الأعلى لكن دون جدوى..

لم يكن هذا وصف المشهد بالكامل، حيث تدفق خلف تلك الكائنات شلال كانت تضرب أمواجه ذلك اللوح الزجاجي، لكنها لم تكن أمواجًا باللون الأزرق المعهود لمياه البحار، بل كانت أمواجًا رمادية اللون هي الأخرى، لتصبح اللقطة بوصف متناهي الدقة عبارة عن محيط بمياه رمادية اللون تضرب أمواجه اللوح الزجاجي المقابل لي بالغرفة كلما حاولت تلك الكائنات

التشبث به للنجاة من الغرق..

ما هذا المشهد الذي أراه وما تلك الغرفة التي استيقظت بها فجأة؟

هل هذا حلم ما حيث أنني لا أتذكر أي شيء عن هويتي يا ترى؟

قاطع شرودي -أثناء تأملي لملامح تلك الغرفة- ظهور فتاة كانت تتحسس بيديها الحائط اليميني للغرفة، كانت في عمر يقاربني حسب تخميني، على ما أظن كانت منهمكة في تفحص تفاصيل الحائط ذاته ولم تلتفت لي إلا حينما بدأت بالصراخ فور صدمتي مما رأيته أنا خلف ذلك اللوح الزجاجي، أي أنها كانت رفيقة لي بالغرفة لكنها استيقظت قبلي بمدة قصيرة انهمكت خلالها بتفحص الحائط اليميني بيديها لغرض ما..

فمن يا تُرى يُعطي بالًا بتلك الغرفة ذات التفاصيل المريبة المبهمة لشخص كان حينها مغمى عليه كجثة هامدة!

حين التفتت نحوي سألتها بتلقائية لأطفئ نيران تساؤلاتي:

- أين أنا؟

اتكأت بظهرها على الحائط وضمت يديها نحو صدرها متسائلة باستنكار:

- إذن، أنت تائه هنا مثلي؟

تائه! أعتقد أن لفظ تائه كان الأدق وصفًا لحالتنا، هززت رأسي مجيبًا:

- أجل، فأنا لا أتذكر شيئًا بخصوص كيفية قدومي لهذه الغرفة أو ما هو غرض وجودي هنا من الأساس..

قاطعتني كأنها تخلق أملًا ما من العدم لتحقنني ببعض الطمأنينة قائلة:

- لا تقلق، أنا مثلك، فمنذ أن فتحت عينيّ بتلك الغرفة مستيقظة قبلك بدقائق تقريبًا لم تجد عيناي شيئًا باللون الأبيض بتلك الغرفة غير ورقة بجيب سترتي دُوّن عليها جملة تقول:

(لكل سجن باب خفي ليهرب منه بنّاؤه)

تحركت عدة خطوات للأمام وهي تمرر عيناها بين جدران الغرفة قائلة:

- أنا متأكدة أن هذا الباب الخفي يوجد بأحد تلك الجدران الثلاثة..

التفت لي بعد ذلك قائلة بحماس ممزوج بقليل من الثقة:

- هيا، سنبحث عنه سويًا..

قبضت حاجباي وسألت بتلقائية:

- لماذا؟

هزت الفتاة رأسها استنكارًا لما قلته أنا وقالت بلهجة ساخرة:

- كي نخرج من هنا مثلًا!

وببلاهة طفل بدين غبي تساءلت:

- ولماذا تريدين الخروج؟

اقتربت مني جاثية على ركبتيها، مانحة إياي فرصة كي أتأمل ملامحها عن كثب، شعرها البني القصير المسترسل كان كسلاسل الذهب، بشرتها البيضاء أضفت لوجهها المستدير سحراً من نوع خاص، تأملتني للحظات ثم قالت مستسلمة كأنها ذاهبة للصيد -بعد أيام من الجوع- فاكتشفت فجأة أن جعبتها من السهام قد فرغت:

- لأننا لن نموت هنا..

بعد أن أنهت جملتها الأخيرة جذبتني من ملابسي بقبضة يدها مكررة نفس الجملة، لكن في تلك المرة كان الغضب قد تغلغل في ملامحها كلياً..

تركتني بعد ذلك وعادت مجدداً لتحسس الحائط اليميني من الغرفة دون أن تعيرني أي انتباه، بعد لحظات صامتة بيننا التفت لي وقالت:

- أنا لا أجبرك، لكنك لو قررت البقاء هنا ستصير مثل تلك الكائنات القابعة خلف هذا اللوح الزجاجي..

شعرت حينها بأن عيونها تهامسني متسائلة:

كم مرة تمردنا فيها يا تُرى؟

كم مرة بحثنا عن شيء يمثل انعكاسًا لما نحن عليه؟

عليك أن تتمرد على كل شيء يتكرر، كل شيء روتيني بحت يحتك كتمثال بحالة ستظل عليها للأبد إن قررت البقاء منبهراً بلذة السكون..

يمكنك الركض دومًا يا صديقي، لكن أيمكنك ذلك لو صار الطريق مظلمًا حالكًا من حولك فجأة؟

في الحقيقة لم أكن معترضًا على قرار بحثي أنا والفتاة عن مخرج بتلك الغرفة، فمنذ أن فتحت عيناي حتى حقنتني تلك الغرفة بالرعب والخوف من كل تفاصيلها، لكنها أيضًا أشعلت بداخلي العديد من التساؤلات..

فكنت أريد أن أعرف كيف جئت لتلك الغرفة ولماذا قبل حتى أن أبحث عن باب للخروج منها..

بعد لحظات من التفكير بمنطقية، قررت البحث معها عن هذا الباب الخفي كي نتمكن من الخروج كما تريد

هي، لكن قبل أن أخطو بخطوتي الأولى نحو الجدار بحثًا عن ذلك الباب الخفي، همس لي عقلي متسائلًا:

- ألا يمكن أن يكون هناك ورقة أخرى بسترتك مثل التي عثرت هي عليها؟

لأقرر حينها البحث تلقائيًا بجيوب سترتي عن أية أوراق، لأعثر بالفعل على واحدة، فالتفتُ حينها نحو الفتاة قائلًا بحماس:

- لقد عثرت على ورقة بجيب سترتي.

لم تعرني أي أنتباه، ربما كانت تظن أنها ورقة دُوّن بداخلها نفس الجملة التي دونت بورقتها، لكن محتوى ورقتي كانت مختلفًا كليًا، لذلك قرأت ما دُوّن بتلك الورقة بصوت عالٍ كي تسمعه بوضوح:

(لو قمت بفتح ذلك الباب ستعرف معاني الحياة، الموت، القوه، الضعف، الثقة، الخوف، الراحة، الألم، الفرح، الحزن، ستعود إنسأنا يعيش بداخل قصة حياة بسيناريو كُتب لها مسبقًا قبل قدومك إلى هنا، كما سيصبح لديك في رصيد الحياة محاولة واحدة فقط، ستعيش وأنت لا تعلم على أي شيء ستنتهي حياتك أو

متى)

- أنا خائف مما سنعثر عليه خلف ذلك الباب..

قلتها بصوت مرعوب، بينما كانت الفتاة تتأملني حينها وأنا أقرأ ما دُوّن بتلك الورقة، فتحركت نحوي سريعًا، وقفت أمامي على بعد خطوات وهي تتأملني بعينيها لفترة قصيرة قالت بعدها بنبرة خوف انطبعت على ملامحها:

- منذ أن فتحت عيناي ووجدت نفسي بتلك الغرفة تملكني الخوف في العديد من المرات، حين وجدت نفسي وحيدة بغرفة سوداء لا أعرف عنها شيئًا وعندما رأيتك أمامي مغمى عليك وبينما قرأت أنت تلك الرسالة الآن، يتملكني الخوف ولا زلت خائفة مرتعبة..

صمتت لفترة قصيرة سألتني من بعدها:

- أيمكنك أخباري ماذا سيحدث لو قررت البقاء هنا؟

التفتت نحو اللوح الزجاجي بالجدار الرابع من الغرفة، متأملة في محاولة بائسة جديدة لتلك الكائنات في التشبث بسطح ذلك اللوح الزجاجي، أو الطرق فوق زجاجه أملًا في تحطيمه قبل أن تضربهم مرة أخري

موجة رمادية جديدة مبددة لهم بصيص الأمل في التحرر من هذا السجن اللعين ثم قالت بعد ما يعادل دقيقة من الشرود تقريبًا:

- ستصير مثلهم، ستموت هنا، أسرع بكثير من موتك بالخارج..

اقتنعت بكلامها وأيقنت أن الباب الخفي هو ملاذنا الوحيد الآن، فتحركت نحو الحائط اليميني لأتفحصه بحثًا عن ذلك الباب الخفي، في حين انطلقت الفتاة لتكمل بحثها عنه هي الأخرى بالحائط الأيسر..

شعرت حينها بشعور النملة المتجولة في أنحاء أي منزل بشري وهي تبحث عما يملأ مخزونها الشتوي، لكنها في نفس الوقت تكون في غاية الرعب خوفًا من أن تدهسها قدم بشرية تتحرك عبثًا..

فرغم اقتناعي أن هناك بابًا خفيًا في أحد تلك الجدران الثلاثة وتحرّكي للبحث عنه، إلا أنني كنت أتلفت كل فترة نحو اللوح الزجاجي بالجدار الرابع، ليس خوفًا من أن نصير قابعين خلفه أنا والفتاة، بل خوفًا من أن ينكسر فجأة ونغرق أنا وهي برفقة تلك

الكائنات القابعة خلفه في كنف أمواجه الرمادية..

مر وقت طويل أثناء تفحصنا للحائطين الأيمن والأيسر من الغرفة دون الوصول لشيء، لنقرر سويًا بعد ذلك أن نبدأ بتفحص تفاصيل الجدار الثالث في تلك الغرفة، فبعد مرور عدة دقائق في تفحص تفاصيل ذلك الجدار تمكنت أنا أخيرًا من العثور على مقبض هذا الباب الخفي..

كان مقبضًا أسودًا غائرًا في أحد جوانب الجدار ذاته، لذلك لم نلاحظه أو نلحظ حدود الباب من الأساس، لأقول بحماس تلك المرة:

- لقد عثرت على مقبض الباب..

انتفضت الفتاة ملتفته لي ثم أسرعت لتقف بجواري وكأننا قد عثرنا على كنز ما بعد أيام متواصلة من البحث، بالرغم من ترددي للحظات من قرار فتح ذلك الباب، إلا أنني وجدت نفسي أحمل نفس دوافعها لفتحه أيًا كان ما سنلاقيه خلفه..

أمسكت حينها يد تلك الفتاة -دون أي رعشة خوف

أو تردد- بقبضتي الممسكة بمقبض الباب، لنلف لحظتها المقبض سويًا جاذبين بابه باتجاهنا..

لينطلق حينها ضوء أبيض ساطع اجتاح أرجاء الغرفة كلها، ضوءً تسببت قوة سطوعه بأعيننا في انعدام كامل للرؤية تبعه غثيان، غثيان تام فقدتُ عقبه التحكم بكافة أطراف جسدي ولم أدرك بعدها شيئًا غير أني سقطت مغمى على في إغماءة جديدة..

* * * *

الإغماءة الثانية

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال الثاني في رحلتنا:

- هل شعر آدم وحواء بعد أكلهم من الشجرة ومخالفتهم لكلام الخالق بالعري أمامه أم شعروا لأول مرة في حياتهم بشعور يلقبونه بالخوف؟

صوت نعيق متكرر لغراب دوي في أذني فأيقظني..

كنت حينها مستلقيًا بجسدي على الأرض وأطرافي كلها في حالة من الخمول التام، كما أن جلدي بدأ يشعر بلفحات الهواء تضرب جسدي كله كصعقات كهربائية ضعيفة الجهد، لم أستطع النهوض من خمولي، فأملت رقبتي يمينا لألمح غراب يقف على حاشية الباب الأسود الذي قمنا بفتحه معطيا ظهره لي، تحرك عدة خطوات للخلف ثم فرد ريشه وحلق..

في الحقيقة لم يستوعب عقلي وجود غراب على حافة غرفة ارتفاعها عن الأرض أمتار معدودة حسب افتراضي..

بعد تحليق الغراب تأملت ما وراء الباب ذاته بشيء من التركيز تلك المرة، لأفاجئ بمجموعة من السحب تسبح في السماء، بالإضافة لسرب من الطيور المحلقة، قاومت الخدر الذي أصاب أطرافي لأتحرك زحفًا على ظهري نحو الباب بخطوات متثاقلة إلى أن اقتربتُ من حافته، نظرتُ من الباب فصعقتُ مما كان يقبع خلفه..

فحينما نظرت للأسفل ترجم عقلي -دون الحاجة تفسير- أنني بغرفة على ارتفاع مئات الأمتار أي بارتفاع مماثل لارتفاع الطائرات أثناء تحليقها..

زحفت حينها للخلف سريعًا خوفًا من هول المنظر الذي كان صادمًا بالنسبة لي أكثر مما يدور خلف اللوح الزجاجي بقلب الجدار الرابع..

ظللت حينها مستلقيًا كالتمثال الشمعي لفترة قصيرة أحاول أن أفسر ما حدث، ليقطع شرودي الذي لم يدم طويلًا صرخة أنثوية جهة اليمين بالغرفة، كانت صرخة هستيرية من الفتاة ذاتها التي استيقظت قبلي بدقائق بتلك الغرفة، صرخة كأن أمامها رجل يحمل بين يديه مسدسًا موجهًا إياه صوبها ليستهدف حياتها، فالتفتُ لها سريعًا لأفهم سبب الصراخ لتصعقني عيوني حينها من بشاعة المنظر، فقد رأيتها بملابس ممزقة ومهترئة تمامًا، كما أنني لاحظت وجود العديد من جروح المنتشرة بأنحاء متفرقة من جسدها والتي لا تزال دماءها تنزف حتى الآن..

ظلت الفتاة تتنهد وتتشنج وتصرخ بين الحين والآخر

أي كلما استجمع جسدها بعضًا من قوته التي أزعم أنها استنفذت من هول الصدمة، إضافة لتشنجاتها المتكررة التي كانت تعقبها العديد من الصرخات الهيستيرية والتي كانت بمثابة يد تحاول خلع قلبي من صدري، تشنجات لم تدم إلا لدقائق معدودة أعتقد بأنها كانت كفيلة بتمزيق أحبالها الصوتية تمامًا..

رمقتني حينها بعيون مستسلمة شعرت بأنها تهامسني برسالة صامتة تحثني فيها على تأمل حال ملابسي وجسدي أنا الآخر، لأفاجأ حينها بأن جسدي قد احتوي على أثار العديد من الخدوش والجروح برقبتي وبيدي اليسرى، بالإضافة لوجود آثار عدة عضات بمعصمي الأيمن..

حينها التفتُ سريعًا نحو الفتاة مجددًا كي تمنحني أي تفسير منطقي لما تسبب لنا بكل ذلك، فقد شعرت في تلك اللحظات بأن ملاذي الوحيد هو عيونها التي ظننت أنها ربما تحمل تصورًا ما لما حدث، لكن الفتاة ما إن وجدتني أتأملها بشيء من التركيز، حتى بدأت بضرب الأرض بيديها لعدة مرات وهي تصرخ قائلة بمنتهى العصبية:

- إياك والالتفات نحوي، إيااااك..

جثيت على ركبتي ملتفتًا بوجهي نحو الجزء الزجاجي الخاص بالجدار الرابع كي لا أتأملها مطلقًا، لكن أذني رغم ذلك كانت تسمع صوتها وهي تتنهد وتبكي بحرقة بعد أن ضمت ركبتيها نحو صدرها واستندت بظهرها فوق الجدار..

بعد دقائق التفتُ نحوها دونًا عني بعد أن فشلت في مقاومة استمراري بالجلوس شاخصًا ببصري بعيدًا عنها، لم أدرِ حينها ماذا يُفترض بي أن أقول في مثل هذا الموقف، لأقرر مجددًا الهرب إلى ملاذ عينيها الآمن..

لأجد العجز عن الوصول لتفسير قد تشكل في عينيها كالفخار على نار أسئلة عقلها بخصوص ما حدث بعدما قمنا بفتح ذلك الباب، كما كانت عيونها بالنسبة لي أشبه برامية سهام، سهام تثقب عظامي بتساؤلاتها التي تعجز هي عن إجابتها، فكل سهم كان سؤالًا يطالبني بإجابة منطقية:

أأنت المتسبب بكل هذا؟

إن كانت إجابتك لا، فما الدليل على صحتها؟

إن لم تكن أنت من قام باغتصابي بهذا الشكل إذن فمن قام بذلك؟

لماذا لا أشك أنك حاولت فعل ذلك حقًا بتلك الغرفة السوداء البشعة بعد أن وجدت نفسك قد استيقظت وأنا لا أزال مغمى عليّ إثر الضوء الضخم الذي ضرب أرجاء الغرفة بعد فتحنا لهذا الباب؟

قاطعت الفتاة شرودي حين رفعت رأسها المنكسة وبدأت بمسح دموعها بطرف سترتها، كما ظل الصمت بيننا هائمًا مرافقًا لأكسجين الغرفة، فلم يستطع أحد منا التفوه بأي كلمة، لكنني وبعد مرور دقائق سئمت رئتي فيها من تجرع الأكسجين الممزوج بالصمت مجددًا فقلت حينها بخجل:

- أنا آسف..

كنت أريد أن أعرف إن كانت تعتقد أن لي دخل فيما حدث أم لا، فتنهدت للحظة أجابت بعدها قائلة:

- لا تعتذر طالما لم تخطئ، لقد فتحنا سويًا ذلك الباب..

صمتت للحظات، التفتُ لها فوجدتها قد نكست رأسها معاودة البكاء، ثم نظرت لي وقالت بوجه يرسم أروع لوحات الضعف والانكسار:

- أنا فقط قد كُسرت، بدأت أشعر أنني أعيش في حياة إنسانة أخرى لها نفس ملامحي وصوتي، إنسانة لا أعلم أي تفاصيل عنها، لكنني أصبحت مجبرة أن أعيش قصة حياتها..

هل فعلًا كلنا -منذ أن خلقنا- مجبرين أن نعيش؟

لو أن ذلك صحيح فلماذا لا تدفع ثمنًا لاستهلاكك الأكسجين لكي تتنفس؟

أو لماذا ليس لديك رصيد معين من الأيام لكي تعيشها؟

همس لي عقلي طارحًا كل تلك التساؤلات، لكنني قررت تلك المرة ألا أجيب، لذلك قررت التخلص من حرارة جمر تلك التساؤلات بإلقائها في جعبة الفتاة،

فسألتها قائلًا:

- ما هو الشيء الذي نختاره في تلك الدنيا من الأساس؟

تنهدت للحظات ثم أجابت قائلة:

- تقريبًا الشيء الوحيد الذي نختاره في تلك الدنيا هو ألا نختار..

- معكِ حق.

صمتت لوهلة مسحت بها دموعها التي تدفقت من جديد، أخذت نفسًا عميقًا زفرت معه كل ألم نفسي نهش جسدها بمخالبه لتقول مستسلمة:

- لم يعد لدي طاقة لأكمل ما نحن فيه..

نظرت بوجهها إلى سقف الغرفة وصرخت متسائلة:

- ما هذا الذي أصابنا فجأة؟

أجبتها سريعًا دون تفكير:

- عقاب، عقاب على أننا قمنا بفتح ذلك الباب رغم

التحذير الذي دُوّن لي في رسالتي، تقريبًا تلك فقط هي بدايته..

تحركت نحوها، وقفت أمامها جاثيًا على ركبتي، رفعت وجهها المنكس بيدي وقلت لها:

- ثقي أننا سنعبر من كل هذا، وسنخرج من هنا.

قالت كمن سقطت بالخطأ من متن سفينة في البحر وهي لا تعلم كيفية السباحة لكنها ظلت تعافر بجسدها للوصول لسطح البحر واستنشاق بعض الأكسجين كي تتنفس:

- لم أعد قادرة على الثقة بأي شيء..

كيف أقويها وأنا في حالة انكسار وضعف مثلها وربما أشعر بأضعاف ما تشعر به، فقد كنا أشبه عشرة جنود يصارعون مئات من جيش من العمالقة، قلت لها مخرجًا بطاقتي الأخيرة لكسب ثقتها:

- على الأقل ثقي بي، فأظل بجوارك مهما حدث ولن أتركك.

شعرت بأنها أحست باطمئنان ولو قليلًا، جلستُ

بجوارها معطيًا ظهري للحائط أنا الآخر، فردنا قدمينا، أمسكت بيدها، أصابعي كانت تعانق أصابعها، ربتت بيدي على كفها وأنا أقول:

- اطمئني، أنا لن أتركك، طالما نحن هنا سأظل بجوارك.

ابتسمت، فقط ابتسمت، اتكأت برأسها على كتفي وأغمضت عينيها كالأرنب الذي شعر بالأمان حينما اقتنص جزرته وعاد بها إلى جحره..

أغمضتُ أنا عيني مثلها وتركت العنان لرئتي كي تتنفس براحة وهدوء بعد كل الضغط

* * * *

النفسي الذي مررنا به، كم أعطيت لعقلي إجازة للحظات كي يستريح هو الآخر من عبء تفسير واستيعاب كل ما حدث لنا، لكن للأسف لم تطل تلك الفترة حيث شعرت باهتزازة أشبه بالزلازل الخفيف..

ازداد فجأة اهتزاز الغرفة بشكل مرعب مما أجبرنا على الخروج من شرودنا والوقوف من جلستنا ليبدأ عقلينا بتفسير الوضع الحالي..

ارتسمت علامات الرعب والخوف على وجه الفتاة وهي تتساءل قائلة:

- ماذا هناك، ما الذي يحدث؟

أجبت بتلقائية محاولًا أن أطمئنها:

- اطمئني.. هزه خفيفة بالمكان وقد اختفت الآن..

بالفعل كان زلزال الغرفة قد انتهي حينها فاقتربت الفتاة مني وأمسكت بذراعي محتمية فيه، في محاولة جديدة حاولنا بها أن ننعم بلحظات هدوء تجعلنا نشعر بالأمان ولو قليلًا، مر وقت طويل ونحن قابعين في مكاننا مما جعلنا نشعر بأن الأمر أصبح آمنًا لتهدأ نيران خوفنا المتقدة بداخلنا لوهلة قصيرة، لكن سرعان ما اكتشفنا عكس توقعاتنا..

فباعتبار أن الغرفة عبارة عن بناء أبعاده على شكل مكعب، فبلغة الهندسة سأخبرك أنه قد مال هذا

المكعب -أي الغرفة- بزاوية ستينية لنسقط أرضًا أنا والفتاة ونتحرك مسحولين نحو الجدار المقابل (الجدار الرابع) لنصطدم به صدمة عنيفة ظننت بعدها أن اللوح الزجاجي من الحائط كاد أن ينكسر..

بعد لحظات لم نتمكن فيها من تفسير ما حدث، قد مالت الغرفة على جوانها الأخرى بداية من الجانب المقابل للحائط ذاته الذي اصطدمنا به سابقًا ثم إلى الحائط اليميني من الغرفة ثم للحائط اليساري..

حينها انفتح الباب الخفي الذي عثرنا عليه أنا والفتاة فجأة، تبدأ الغرفة مجددًا بالتمايل ناحية الحائط الذي يحتوي على الباب ذاته، لنسحل نحوه ونحن لا نستطيع فعل شيء غير الصراخ رعبًا مما هو قادم..

ففي تلك اللحظات كنا مستسلمين رغم صراخنا واجتهادنا لنقاوم السحل الأشبه بالاغتصاب، اغتصاب كانت أطرافنا مكبلة فيه عاجزين عن المقاومة، حيث أيقننا حينها أنها النهاية أو ربما استكمال لعقابنا الذي بدأ بفتحنا لذلك الباب الخفي..

فها هو الفضول البشري الغريزي يقودنا للجحيم، الجحيم سنكوي بناره عما قريب..

لنسحل حينها نحو ذلك الباب ونسقط من فتحته برفقة إغماءة جديدة..

* * * *

الجزء الثاني:

(أحكام المستنقع)

الإغماءة الثالثة

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال الثالث في رحلتنا:

- لو أخبر الله آدم وحواء -قبل أكلهم من شجرة الخُلد- بأن نتيجة ذلك الفعل ستكون الطرد إلى الأبد من الجنة إلى الأرض، هل كانا سيُخالفان ويأكلان منها أم سيقرران حينها البقاء في الجنة؟

هواء فجأة قد ملأ رئتي، الدماء سرت في كافة أنحاء جسدي، تحركت أطرافي في عشوائية، كما أن عيناي تتفتح شيئًا فشيئًا، إضافة لأن أذناي بدأت بسماع صوت أنثوي غير مألوف يناديها:

- استيقظي.. استيقظي.

فتحت عيناي واستندت بكفاي على الأرض لأرفع عليهما جسدي كي أفيقه من كبوته التي لا أشك أنها ربما تكون قد دامت لساعات طويلة منذ سقوطنا من فوهة الباب الخاص بتلك الغرفة..

تأملت تفاصيل المكان من حولي، فوجدته مكانًا مظلمًا حالكًا لا يضيئه غير ضوء صادر من مصباح تحمله فتاة أخمن أنها في منتصف عقدها الثالث، وجهها دائري ذو بشرة بيضاء وأنف طويل معقوف كمنقار صقر، وعيون بنية داكنة، شعرها كان طويلًا بخصلات مسترسلة بلون رمادي أقرب للمعة الفضة مربوط في نهايته بطوق قماشي تتدلى منه خصلة طويلة في تسريحة أشبه بذيل الحصان، ابتسمت لي حينما التقت عيوننا للمرة الأولى فشعرت من ابتسامتها أنها ضخت بعض من الطمأنينة في

عروقي رغم شعوري بأنني تائهة في هذا المكان الذي أجهل أي تفصيلة عنه..

بعد نظرة خاطفة أخرى للمكان، التفتُ نحوها وسألتها والشعور بالريبة والخوف يعتريني من رأسي حتى أخمس قدمي:

- أين أنا؟

في تلك اللحظة امتزج في أذني صوتان، صوت الفتاة وهي تكاد تفسر لي أين أنا وما هذا المكان بالضبط مع صوت آخر قاطعه بنفس تلك اللحظة، صوت كان صادر مني إثر صراخي بمنتهى الهيستيرية والرعب مستنزفة لكل ما تبقى لجسدي من طاقة، حينما أبصرت عيناي هذا المنظر المرعب والمؤلم الذي أبصرته قابعًا أمامي أثناء تأملي مجددًا لتفاصيل المكان بنظرة تفحصية عبثية جديدة من حولي..

حيث شاهدت مجموعة من البشر المشنوقة من رقبتها بحبل طرفه الآخر مربوط بغصن متصل بأحد الأشجار، لم أصرخ حينها من بشاعة المنظر، بل صرخت من كثرة عددهم، بالإضافة لأن كلًا منهم لم يكن شخصًا قد

مات بطريقة طبيعية، فقد احتوت أجساد تلك الجثث المشنوقة على أجزاء متلاشية لا تزال الدماء تسيل من البعض منها، كما أن عددهم كان يتعدى الخمسين رجل وامرأة، كأنني استيقظت فجأة في واحدة من المقابر.

زحفت بكفيّ للخلف سريعًا لأسحب نفسي هاربة بعيدًا عنهم، كأنني سفينة يحرك شراعها صوت صراخي، فاقتربت مني تلك الفتاة ذات الشعر الفضي بسرعة وضمتني إليها لتهدأ من روعي وهي تقول:

- لا تخافي فجميعهم موتى، تعالى معي كي نخرج من هنا، اطمئني فأنا أعلم جيدًا طريق الخروج..

استسلمت في حضنها للحظات لأطرد خوفي وأحاول التهام أنفاسي مجددًا بصورة طبيعية، ساعدتني الفتاة في النهوض وأنا مستندة على كتفها، بعد سيرنا لعدة خطوات تذكرت ذلك الفتى الذي كان برفقتي بتلك الغرفة ذات الجدران السوداء فسألتها:

- هناك شخص كان معي و...

قاطعتني قائلة بتلقائية طمأنتني قليلًا:

- إنه موجود هنا في المستنقع، لم يأتِ معي لأنه لم يرغب في رؤية هؤلاء المشنوقين مجددًا، فلا أحد يعلم الطريق إلى هنا غيري، ينادونني (كايلا)، تستطيعين اعتباري أقدم الوافدين للمستنقع، أي أكثر البشر تمكنا من الاستمرار على قيد الحياة في هذا المستنقع..

قبضت حاجباي وسألتها سريعًا بعد فشلي في فهم حرف واحد مما قالت:

- ماذا تعنين بكلمة مستنقع؟

ابتسمت ابتسامة ترجمت من خلالها سخريتها لسؤالي ولكنها أجابتني:

- هذا المكان الذي تم ولوجك إليه منذ دقائق يُدعى المستنقع، تمت تسميته بهذا الاسم نظرًا لنظامه الذي يقتاد أرجلنا نحو الموت دون فرصة للمقاومة، فمهما قاومنا نكتشف دومًا أننا أصبحنا عاجزين أكثر، فهنا كل شيء له مقابل، الإضاءة، التنفس، البقاء على قيد الحياة من الأساس وغيرها من الأشياء..

رددت أنا بمنتهى السذاجة:

- أنا لا أفهم شيئًا..

توقفت الفتاة عن السير بعد جملتي البلهاء الأخيرة، اقتربت مني ثم أشارت بإصبعها السبابة على قدمي اليسرى والتي كانت متصلة بعلبة معدنية مستطيلة الشكل بلون فضي يخرج منها سلك أسود رفيع يسير على حافة جسدي اليسرى منتهيًا في أعلى صدري وقالت:

- تلك البطارية تسمى ببطارية التنفس، بدونها لن تتمكني من التنفس في هذا المكان إطلاقًا، لذلك حينما وجدتكما أنتِ والفتى الذي كان ساقطا بجوارك هنا بالمقبرة لم أستطع إيقاظكما سويًا، فلم يكن بحوزتي إلا بطارية تنفس واحدة جديدة، فمن قواعد المستنقع أنه إن مر عليكِ فترتان دون أن تقومي بتغيير بطارية تنفسك بأخرى جديدة فستموتين تلقائيًا باليوم التالي، فوظيفة تلك البطارية هي إعطاء إشارة كهربية لرئتيكِ كي تصبحي قادرة على التنفس، بالإضافة لأن المكان كله حالك الظلمة طوال الوقت كما ترين، فيجب عليكِ إضاءة مصباحك دومًا كي تتمكني من الرؤية عن طريق حجر مسمى بحجر الأترينيوم، فبدون مصباح مضاء بأحد تلك الأحجار لن ترى عيونك غير سواد الحالك المغطى لكافة بقاع هذا المكان..

أسندتني مجددًا على كتفها وأكملنا الطريق، لكن عقلي ظل حاملًا للعديد من التساؤلات، فلم أستطع أن أفهم شيئًا مما حكته لي، رغم أنها أجابتني بكل ما تعرفه عن سؤالي بخصوص هذا المكان المسمى بالمستنقع..

* * * *

سرنا لفترة لم أُقدّر إن كانت طويلة أم لا، لكن من بعدها وصلنا إلى إحدي الحواف الجبلية، تقدمت عني عدة خطوات للأمام نحو تلك الحافة باسطة يدها اليمنى للأمام كممثلي المسرح وهي تقول:

- أهلًا بكِ في (مستنقع جينوس)..

تحركت نحو الحافة لأترجم ما كانت تعنيه بمستنقع (جينوس)، فتأملت بتمعن لما كان قابعًا أسفل تلك الحافة، لتنبهر عيناي سريعًا من روعة المنظر، فقد كان المشهد أسفل تلك الحافة الجبلية بالنسبة لي بديعًا مبهرًا، حيث كان عبارة عن سهل بمساحة شاسعة يقبع في منتصفها حقل طاقة كهرومغناطيسي عملاق محيط بشجرة عملاقة مضيئة بلون برتقالي وكأن بعضًا من أوراقها متقدة بالنار وهو أول ما وقعت عيني

عليه بالمستنقع، أما على بعد عدة أمتار من حقل الطاقة كانت هناك مجموعة كبيرة من الخيام أعتقد أنها أُعدت كي يستريح فيها الوافدون القدامى أو الجدد مثلي بالمستنقع على حد تخميني..

كل بقعة بالمستنقع كان يشوبها الظلام الحالك، الظلام الذي تضيئه الشجرة العملاقة المتقدة والمحاطة بالحقل الكهرومغناطيسي، بالإضافة لحوالى مئتي مصباح مضاءين بما أسمته (كايلا) أحجار الأترينيوم كانوا بحوزة بشر المستنقع، رغم ذلك كان منظر المكان بديعًا حينما شاهدته من الأعلى، أي من على ارتفاع يقارب المئتي متر تقريبًا، بالإضافة لأن الحافة كانت تكشف المكان كله من الأعلى كلوحة لرسام تجريدي تظهر فيها المصابيح كنقاط حمراء، بينما البشر فيها كانت عبارة عن مجموعة من الرتوش..

خلف حقل الطاقة كان هناك مسطح مائي أقرب للبحر على حد وصفي تقبع فيه سبعة جزر صغيرة ملتفة في شكل دائري يفصل بين كل جزيرة والأخرى جسر خشبي يعتبر المدخل لإحدى تلك الجزر والمخرج للأخرى، بالإضافة لوجود جسر يربط الجزيرة الأخيرة

بجسر الجزيرة الأولى المرتبط في الأساس بالمستنقع، فبوصف أدق كانت تلك الحلقة متصلة بالمستنقع، أي أنه عند مرورك بالجزر السبع يمكنك العودة مجددًا للمستنقع عن طريق ذلك الجسر المشترك بين هاتين الجزرتين..

قاطع شرودي بالمستنقع صوت (كايلا) وهي تناديني قائلة:

- نهاية هذا الطريق هي بداية المستنقع، هيا بنا فهنالك أشياء كثيرة ينبغي عليكِ معرفتها عن كيفية المكوث بالمستنقع..

تحركت وراءها نحو المنحدر الذي يصل الحافة بالمستنقع، كنت سعيدة لأنني سأجد بشرًا هناك ربما يحملون إجابات لتساؤلاتي، لكن مع وصولي لقرب النهاية نسيت كل شيء وأنا أرى ابتسامة أعرفها، ابتسامة الفتى الذي كان معي بالغرفة السوداء وهو ينتظرني عند نهاية المنحدر..

الشخص الوحيد الذي أُجزم بمعرفته والذي أُجزم أنه ربما يضحي من أجلي يومًا ما، أسرعت حين رأيته

في خطواتي الأخيرة، ما إن اقتربت منه حتى قال لي بصوته الذي أصبح مصدري الوحيد للشعور بالراحة:

- أنا سعيد لرؤيتك بخير.

نظرت للأرض في خجل وأنا أسأله:

- هان عليك تركي في تلك المقبرة مع جثث تلك الموتى؟

ارتبك قليلًا وكأنه شعر بندم امتزج بالخجل، كأنه ارتكب خطأً جسيمًا، ليكمل بعد ذلك بهرولة أضحت على ملامحه وهو يقول:

- إطلاقًا، كنت أود الذهاب برفقة (كايلا)، لكنها أخبرتني أنها الوحيدة التي تذهب إلى تلك المقبرة لجلب الوافدين الجدد إلى المستنقع، بالإضافة إلى أنني تعبت جدًا حتى جلبت لك بطارية التنفس، كما أنني قمت بتدوين كل ما حدث لنا منذ مقابلتنا الأولى بالغرفة السوداء وحتى قدومنا إلى هنا كي لا ننسى ما مررنا به سويًا إن عادت لنا الذاكرة..

شعرت بسذاجة سؤالي، بادلته بعدها ابتسامة كان يستحقها مني كعلامة بأنني لم أعد مستاءة منه، بل

صرت سعيدة لأنه لم يرغب في أن تضمحل من عقله تلك التفاصيل التي لم يشاركه فيها أحد غيري، حتى ولو كانت تلك التفاصيل مجرد ذكريات مؤلمة دواءنا الوحيد منها هو النسيان التام..

بعد لحظات كفّنها الصمت، لحظات أدركت فيها أن هذا الفتى قد صار ملاذي الأخير من تساؤلات عقلي المُلحّة، التفت نحو قائلة:

- حسنًا، أنا في حاجة لأن تشرح لي كافة التفاصيل الخاصة بهذا المكان ونظامه، ففي الحقيقة لقد شرحت لي (كايلا) بعض الأشياء عنه، لكنني لم أفهم شيئًا مما قالته إطلاقًا..

تمتم الفتى للحظات وهو يحك ذقنه ثم التفت نحوي مبتسمًا وقال:

- إذن، أيمكنني اصطحابك في جولة بالمكان حتى أستطيع أن أشرح لكِ أكثر عن تفاصيله ونظامه؟

لأبتسم حينها مجيبة إياه بحماس تام:

- بالطبع..

استأذنا (كايلا) للمغادرة، وتحركنا في جولة بداخل المستنقع، أو في الواقع نحو بقعة الضوء الضخمة التي شاهدتها من فوق الحافة..

أثناء سيرنا أعطاني الفتى قلمًا ودفترًا قال بأنه قد دوّن به كل ما مررنا به من أحداث بداخل تلك الغرفة السوداء، خوفًا من أن تُمحى ذاكرتنا مرة أخرى فلا نتذكر ما مررنا به سويًا أو ربما خوفًا من أن ينسى كلًا منا الآخر يومًا ما، فوضعت الدفتر سريعًا بجيب سترتي وابتسمت، ليبدأ هو بعد ذلك بالإجابة عن الأسئلة التي لا زالت تدور في عقلي بحثًا عن إجابة:

- (جينوس) هو اسم أُطلق على صانع ومبتكر هذا المكان، فالمكان هنا له نظام خاص الكل مُجبر على اتباعه حتى لا يهلك..

بعد أن أنهى تلك الجملة في أثناء سيرنا كنا قد وصلنا إلى مسافة تسمح لي بالنظر نحو حقل الطاقة العملاق عن كثب، فما إن التفت نحوه حتى أدركت ما هي حقيقة بقعة الضوء الضخمة التي شاهدتها من فوق الحافة الجبلية برفقة (كايلا) والتي بدت لي وكأنها قطعة جمر متقدة، فقد كانت تلك البقعة عبارة عن

شجرة عملاقة ثمارها هي حجارة إضاءة المصابيح المسماة بالأترينيوم، فبمرور الوقت يزداد توهج وإضاءة الشجرة نظرًا لزيادة توهج تلك الأحجار..

لفت نظري أيضًا وجود صندوق خشبي ملقى أرضًا على مقربة منا، كان مفتوحًا وفارغًا، حينما لمحني الفتى وأنا أتأمله بتركيز وحيرة حال عدم عثوري على سبب لوجوده هنا من الأساس بدأ بالشرح قائلًا:

- هذا المكان لا يوجد به أيام أو وقت ثابت يمر، هنا المدة الثابتة نسبيًا اسمها فترة، تبدأ وتنتهي حينما يتلاشى حقل الطاقة في وقت معين يُسمى وقت الأمداد، يحاول حينها الجميع أن يحصل على حجر من أحجار الأترينيوم التي تنير المصابيح، فبساطة من لن يقدر على الحصول أحد تلك الأحجار سيهلك، فحينما يتلاشى حقل الطاقة ينطفئ ضوء كل تلك المصابيح فجأة، لأن طاقة أحجار الأترينيوم تكون بذلك قد انتهت، فيجب على كل شخص أن يجلب حجر أترينيوم جديد من تلك الشجرة، بعد ذلك يضئ مصباحه ويبدأ بالبحث في أسرع وقت على صناديق بطاريات التنفس حتى يتمكن من تغيير بطاريته ويستطيع التنفس أو بمعنى

أدق ليعيش ليوم جديد، أفهمتِ لمَ سمّي هذا المكان بالمستنقع، لأنك لو لم تستطع أن تعافر لكي تعيش ستجد نفسك تغوص في بركة الموت بلا أي قدرة على المقاومة..

إجاباته شفت حيرة عقلي وأطفأت شعلات تساؤلاته، لكنها بالرغم من ذلك أشعلت نار تساؤل جديد..

كم أهدرت من أنفاسك في لهو أعمي؟

كم من الوقت كانت دنياك مضاءة دون أي مجهود فعلته؟

كل لحظة تعيشها كنت تجد كل ذلك بلا أي مجهود، لكن الآن حان الوقت لتعيش تجربة ستُحاسب فيها على كل ما أهدرت من عطايا الدنيا المجانية.

لكن على الأقل ستعيش في ذلك المستنقع يومًا تستحق فيه أن تعيش..

هل فعلًا كلنا -منذ أن خُلقنا- مجبرين أن نعيش؟

لو كان ذلك صحيحًا فلماذا لا تدفع ثمنًا لاستهلاكك الأكسجين لكي تتنفس؟

لماذا ليس لديك رصيد معين من الأيام لكي تعيشها؟

نظرته التي قطعت شرودي كانت تخبرني أنه يدري بالتساؤلات التي يسألها لي عقلي وكأنه يؤكد أنها أصبحت إلزامية لزوار المستنقع الجدد فقال لي مكملًا:

- نسيت أن أخبركِ أن حقل الطاقة الموجود حول تلك الشجرة هو عبارة عن حقل كهرومغناطيسي، يجب أن ننتظر حتى يتلاشى كي نقدر على أن نتحرك ناحية شجرة أحجار الأترينيوم؛ لأن من يلمسه يتعرض لصعقه كهربائية تغيبه عن الوعي لمدة ساعات، غير أن عددنا بهذا المستنقع أكثر من مئتي شخص والأحجار الموجودة فوق الشجرة تقريبًا حوالي مئة حجر فقط، مما يعني أن من لن يستطيع أن يجري سريعًا ليسبق الجميع ويتسلق الشجرة ليجلب حجر أترينيوم سيهلك هنا لا محالة، أو يصير مجبرًا على البحث في وسط ظلام المستنقع كالأعمى عن صندوق بطاريات تنفس..

بدأ الخوف ينتابني، التفت إليه وعلامات الرعب

والقلق والخوف مرسومة على وجهي وبدلًا من أن يطمئنني قد زادت نظراته من رعبي فأكمل:

- كنت أظن أن الاختيار عشوائي حينما أيقظتني (كايلا) بدلًا عنك، لكنني اكتشفت الآن أنه كان الاختيار الأنسب..

صمت للحظات كأنه يتذكر ذكريات تؤلمه حينما تعاد أمام عينيه، ذكريات حاول لعديد من المرات أن يتخلص منها لكنه فشل، فقد كانت أمواج تلك المشاهد المؤلمة بذكرياته تقذفه إلى شاطئها مجددًا مهما حاول الهروب، أخذ نفسًا عميقًا ثم أكمل بنبرة صوت كانت معبرة عن مدى معاناته وهو يتذكر تلك المشاهد المؤلمة:

- كانت كالحرب، الكل يتصارع حتى يصل لحجر أترينيوم كي لا يموت، الكل يصارع الزمن الذي لا يستطيع أحد حسابه حتى يعثر على صندوق بطاريات حتى يتمكن من أن يتنفس، لحسن الحظ صندوق البطاريات يكون به بطاريتي تنفس، ما أريد أن أقوله هو أنني لم أتركك، أنا فقط حاربت كي تعيشي..

بعد إنهائه لما قال شعرت أن (كايلا) لم تكن وحدها من أنقذتني، بل أنهما هما الاثنان قاما بمنحي فرصة

جديدة كي أعيش، أمسكت بيده واتكأت على كتفه وأخبرته:

- أشعر بالاطمئنان كلما رأيتك، كما أشك في قدرتي على الثقة بأحد غيرك من بين هؤلاء الناس المتواجدين بهذا المكان..

ابتسم دون أن يلتفت لي كأنه شعر أنها مسئولية وحمل عليه، ثم قال:

- كل شخص هنا على ما أعتقد يختار لنفسه اسما، فما رأيك أن نشرد قليلًا ويفكر كل منا في اسم كي ننادي به بعضنا البعض.

قاطعته سريعًا:

- ما رأيك في أن يختار كل منا اسما للآخر؟

ابتسم كأنه يجيب بنعم، فشرد كل منا سارحًا في اسم يهديه للآخر، اسم بالنسبة لي هو نداء نجدة في أي خطر يلاحقني وأنا في هذا المستنقع، بعد شرود لم يُطل طويلًا على حد وصفي، لأنه قد تم قطعه بصوت مفاجئ دون أي مقدمات، فسألته سريعًا بنبرة صوت غُلفت

بعباءة الارتياب:

- ما هذا الصوت؟

- إنها (أبواق الاستعداد)، تلك الأصوات تعني أن حقل الطاقة قد بدأ بالتلاشي وتلك هي علامة على بداية وقت الأمداد..

بعد وقت قصير جدًا جدًا، بدأت الناس تخرج من خيامها وتتجه سريعًا كي تقف على بعد عدة خطوات من حقل الطاقة استعدادًا لوقت الإمداد..

التفت حينها نحو الأعلى فوجدت حقل الطاقة قد بدأ بالتلاشي من أعلى لأسفل شيئًا فشيئًا، مما زاد رعبي الذي بدأ ينهش جسدي تلقائيًا من رأسي حتى أخمس قدمي، لكنني رغم ذلك ظللت قابعة بمكاني أنا والفتى أمام حقل الطاقة مباشرة لنشاهد عن كثب مشهد تلاشيه تدريجًا والذي كان أشبه بعرض مسرحي على وشك أن ينفتح ستاره للجمهور أخيرًا..

بعد عدة دقائق منذ أن بدأ فيها حقل الطاقة بالتلاشي كان الإظلام التام للأرض يقرع طبوله بلا مقاومه، فالشيء الوحيد المضيء بالمستنقع الآن هو الضوء المشع

من أحجار الأترينيوم الملتصقة بأغصان تلك الشجرة العملاقة المضيئة باللون البرتقإلى المتوهج، بالإضافة لأنه مع تجمع تلك الأحجار معًا فوق أغصان تلك الشجرة ككتلة واحدة مضيئة أصبح المشهد أشبه بشمس صغيرة مشعة قد هبطت من السماء بداخل حقل الطاقة، الحقل الذي تلاشى من الأعلى للأسفل أي من رأس الشجرة العملاقة حتى مستوى سطح الأرض، لكن الغريب أنه لم يتلاشَ حينها كليًا، بل تبقى جزء منه قد تشكل على هيئة كرة بداخلها شحنات مغناطيسية تتصارع..

فجأة دوى في أذن الجميع صوت رنين، رنين لم يكن عاديًا بل كان ذا وقع مؤلمٍ للجميع، فالكل تألم وكأن الجحيم يمهد للتحدث صارخًا في آذاننا..

الجميع غطى أذنيه بيديه، لكن الصوت ظل يتمادى في الضخامة والألم، كنت حينها أحاول فهم سبب ذلك الصوت وكالعادة لم أجد تفسيرًا لعالم اللا قوانين هذا،فاستنتجت بعد ذلك أنها بداية عقابنا لأخطاء قام البشر بارتكابها سابقًا أي منذ ولوجهم للمستنقع كفتحي أنا والفتى لباب الغرفة السوداء مثلًا..

للحظة قررت إزالة يداي عن أذناي لتدرك عيناي حينها ما هو شكل الألم لإخباره أنني سأقاوم حتى ينفذ مني مخزون قواي..

مزقتني مخالب الألم بضراوة ويداي وأذناي تجبرانني على رفع الراية البيضاء والاستسلام عن طريق إعادة تغطية أذناي مجددًا لتقليل ما يلاقيان من ألم، لكنني رغم كل شيء قررت أن أقاوم..

ففتحت عينيَّ مطلقة صرخة عالية، صرخة مقاومة لهذا الاغتصاب، صرخة أعلن فيها أن مقاومتي تحمل لذة واحدة فقط لن تدركها إلا حينما تقرر مثلي عدم المقاومة والنظر لعيون مغتصبك على أنك الطرف الأقوى في هذا الصراع الناشب بينكما، حينها سيشعر المغتصب أن كل ما سببه لك من أذى قد ضاع هَباءً، كأنها أمنية لم تحدث إلا حينما نهشته مخالب غرائزه في مخيلته، فيقرر حينها معاودة اغتصابك بحثًا عن إشباع لذة مقاومته، بينما تستمتع أنت بلذة عجزه..

كانت صرختي الأولى صرخة ألم، فقررت جمع طاقتي وما تبقى لي من أنفاس وصرخت صرختي الثانية التي

طالت، طالت كأن أحبالي الصوتية تقاوم جاذبية حملها لجبل في نهاية أطرافها..

بعد فترة قصيرة حسب تقديري انفجرت كرة الشحنات الكهرومغناطيسية فجأة لتتحول إلى شحنات عشوائية تسبح عاليًا حول النهاية العلوية لشجرة الأحجار العملاقة..

أخذت سرعة تلك الشحنات في الازدياد لمئات الأضعاف متحركة نحو كل شخص كان واقف أمام حقل الطاقة ينتظر تلاشيه من أجل بداية وقت الإمداد بالمستنقع..

تحركت أحد تلك الشحنات الكهرومغناطيسية نحوي وأنا لا أزال قابعة بمكاني ولا أفعل شيئًا غير تأمل تلك الشحنة وانتظارها كي تصيبني دون أي ذرة مقاومة تذكر، فكنت بالنسبة لبقية شعب المستنقع المتألم من آثار تلك الموجات الصوتية المغطين لآذانهم بكفوفهم والمتململين أرضًا من شدة ألم دوي ذلك الصوت في آذانهم -الذي أظن أنه بسبب مقاومتي له قد أصابني بالصمم- كقطرة ماء قررت التحرر من سيطرة رياح

البحر وعدم السير في كنف أي موجة عابثة لضرب ساحل أحد الشواطئ بعبثية..

تحركت حينها الشحنة الكهربائية نحوي بنفس سرعة النسر حينما ينقض على فريسته، فما إن أصابتني تلك الشحنة في حنجرتي، حتى سقطت أنا ومن بعدي بقية شعب المستنقع واحدًا تلو الآخر في إغماءة جديدة..

* * * *

الإغماءة الرابعة

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال الرابع في رحلتنا:

- لو كان هدف البابليين بناء برج عالٍ يصل إلى السماء فلماذا بعد أن قام الخالق ببلبلة ألسنتهم توقفوا عن البناء وتفرقوا إلى العديد من الشعوب في كافة أنحاء الأرض؟

استيقظت كالمخمورة..

جسدي كله يشوبه الخدر كأن الدماء قد غادرت أطرافي لفترة من الزمن، بسطت ظهري واتكأت للخلف على كفاي، تأملت أفراد شعب المستنقع من حولي بنظرات لليمين ولليسار، لأجدهم لحسن الحظ قد بدأوا يستفيقون واحدًا تلو الآخر من عقب الصدمة السابقة..

بعد أن تمالك الكل نفسه واستفاق الجميع بدأت أسمع أصوات غريبة غير مفهومة، أصوات بشرية لكن وقعها كان جديدًا على أذني:

- What happened ?

قالتها من بجواري ولم أستطع ترجمة ما قالت، فلهجتها كانت غريبة لم أستطع تفسيرها، نظرت لها وهززت رأسي كعلامة أنني لم أفهم شيئًا مما قالت، فكررت جملتها وبالطبع كان ذلك دون جدوى..

للحظة ظننت أنها الوحيدة التي أصابها تغيير في لهجتها،

مما جعلها تتحدث بكلام غير مفهوم، لكن سرعان ما بدأت مشاحنات بين جميع الناس بلهجات مختلفة ولا تتشابه في أي شيء مع لهجة الفتاة الموجودة بجواري لكنني لم أعطِ لهم بالًا، حيث تأملت بعيوني المكان بحثًا عن الفتى الذي كان معي في الغرفة السوداء أو حتى كايلا ليفسر لي أحدهم ما الذي أصابنا..

بعد تأمل دام لفترة قصيرة لوجوه بشر المستنقع من حولي لمحت أخيرًا الفتى الذي كان معي بالغرفة السوداء، فلوحت له فركض نحوي مسرعًا، اقترب مني ثم سألني بلهجة غريبة هو الآخر:

- Tu est bien ?

قالها ولم أفهمه أيضًا، فأدركت حينها أن الكل أصبح يتحدث بلهجات غريبة وأنني صرت مثلهم، بحثت بعيوني عن (كايلا) لتحاول أن تعطيني تفسيرًا ما، نظرًا لأنها أقدم شخص ظل على قيد الحياة بهذا المستنقع، فبالتأكيد هي على دراية تامة بكل ما مر على المستنقع من أحداث مشابهة لما نتعرض له الآن..

بعد دقائق من البحث التقطتها عيناي فأسرعت نحوها

في تلقائية، كانت تتأمل هي الأخرى ما يحدث بين أفراد شعب المستنقع بوجه شوهته ملامح الاستغراب والتعجب والصدمة مما حلَّ بالمستنقع، فما إن صرت على بعد عدة خطوات منها حتى هزت رأسها كإجابة بالنفي تعني في طياتها:

- لا أحمل تفسيرًا لما حدث..

بعد فترة قصيرة، تحول المشهد بالمستنقع إلى صراع بين أصحاب اللغة الواحدة، كصراع بين مجموعة أسود تزأر لتحديد من فيهم الأسد الأجدر بقيادة القطيع، فكان الجميع بالمستنقع يتساءل بلهجته العفوية ويجد الرد في صورة سؤال من شخص آخر بلهجة أخرى، تكرر هذا مرارًا وتكرارًا وأنا أقف في ملل أتأمل عن بعد لصراعهم التافه كنوع من السخرية..

بعد تكراره لمرات عدة وقعت عيناي بالصدفة على حقل الطاقة المحيط بالشجرة العملاقة، فصدمت بأنه قد بدأ بالرجوع لحالته الطبيعية

(أي بدأ بالانغلاق مجددًا حول شجرة أجار الأترينيوم)

فمع تكرار صراعهم هذا ستظلم الأرض كلها، نظرًا لأنه لا يوجد أحد من أفراد المستنقع قد استطاع الحصول على حجر أترينيوم ليضيء مصباحه وبالتالي لن يجد بطاريات لتشغيل جهاز تنفسه، فإن استمر الحال هكذا سنهلك جميعًا لا محالة..

تأملت حقل الطاقة مجددًا، لأدرك أنه قد تكوَّن مجددًا جزء من الحقل الكهرومغناطيسي المحيط بشجرة الأحجار بارتفاع يمتد من أقدام شخص يقف على سطح الأرض حتى بداية خصره على حد وصفي..

وفي محاولة فاشلة للفت نظرهم بأن الحقل قد بدأ بالانغلاق وأنه ينبغي علينا الإسراع لجلب أحجار الأترينيوم كي لا نهلك جميعًا، بدأت بالتلويح بيداي حتى ينظروا إلى الجزء المتكون حديثًا من حقل الطاقة المطوق لشجرة الأحجار، لكن كل محاولاتي في جذب انتباههم قد باءت بالفشل، فقررت اللجوء لحل أكثر فشلًا في نظري لكن ربما أجد فيه أي جدوي..

فوقفت بمقربة من أكبر تجمع يتصارعون فيه بأسئلة غير مفهومة بتلك اللهجات المختلفة وصرخت بكل ما

أملك من قوة، صرخة قررتُ أثناء إطلاقها أن تزداد في العلو تدريجيًا إلى أن تتقطع أحبالي الصوتية تمامًا، صرخة قررت فيها أن يعلو صوتي على صوت نزاعهم، كي يلتفت الكل لي في محاولة للفت انتباههم إلى أن حقل الطاقة قد قارب على استعادة هيكله الكلي (الكهرومغناطيسي)، مما سيمنعنا من الوصول لشجرة أحجار الأترينيوم والتي بدونها لن نتمكن من تجديد بطاريات التنفس والإضاءة في الأرض التي ستظلم كلها عما قريب وبالتالي سيفنى الجميع حتمًا..

فصرخت كما لم يصرخ شعب جائع أطلق استغاثة جوعه الأخيرة التي استسلم بعدها مرحبًا بالموت المحتم..

التفت بعدها الجميع نحوي وأنا أطلق نبرة صوتي الأخيرة التي لا أظن أنها انطلقت، ثم أشرت صارخة بكلتي يديّ نحو حقل الطاقة لينظر الجميع نحوه ويدرك المصيبة التي حلت بنا وهي أننا في اللحظات القادمة إن لم نحصل على أحجار أترينيوم سنصبح على وشك الهلاك جميعًا..

لكن رغم كل ما قمت به لجذب انتباههم إلى تلك

المصيبة التي على وشك إفنائنا، وجدتهم جميعًا قد وقفوا متيبسين في مكانهم إثر الصدمة التي تعرضوا لها بعد أن أبصروا حقل الطاقة وهو على وشك الانغلاق في غضون دقائق معدودة..

حينها بحثت بعيوني عن الفتى الذي كان معي بتلك الغرفة السوداء بينهم فوجدته يتأملني في صمت، كانت عيونه تخبرني -كرسالة صامتة- قائلة بأننا قد هلكنا بالفعل..

حينها سقطت على ركبتي منكسة رأسي، رافعة راية الاستسلام للموت، سالت دموعي رغم عني وأنا أحادث نفسي قائلة باستنكار تام:

لماذا نعافر لكي نعيش، أو ماذا وجدنا في تلك الحياة يجعلنا نقاوم؟

فنحن نرفض الاستسلام في أشنع لحظات ضعفنا لأننا نحمل دومًا سببًا نقاوم من أجله، لكني الآن لا أجد أي سبب إطلاقًا، لأقرر حينها الاستمتاع بصوت لا يدركه الكثيرون بسبب صخب أصوات الأحياء،

صوت الموت..

أجربت مرة أن تنصت إليه في وقت سكون كل شيء من حولك؟

فهو صوت لا يصدر إلا في لحظة ينسجم فيها الاستسلام والسكون معًا

لحظة السكون نفسه يصمت فيها..

لحظة أغمضت فيها عيني وقررت الاستعداد للموت الذي يخبرني حصريًا بالموعد الذي اختاره لي كي أنهي رحلتي في إحدى سيناريوهات الحياة..

تركت نفسي لوقت طال حسب تذكري، وقت كنت فيه في حالة موت إكلينيكي واحتجت لإنعاش قلبي بعدة صعقات كهربائية..

بعد مرور فترة قصيرة أعتقد أنها طالت، تم إنعاشي أخيرًا، فقد أنعشتني هزاته المتكررة لكتفي التي أنعشت جسدي مجددًا..

نعم، إنه الفتى الذي كان برفقتي بالغرفة السوداء يحاول الآن إنعاشي وإفاقتي، لكني للأمانة لم أفهم سبب تصرفاته ولم أجد تفسيرًا لنظرات عيونه التي خلقت أملًا من العدم رغم صرامتها في إيقاظي، كان يحرك يمينه بعبثية فوق كفه الأيسر، أي أنه كان يشير حينها بيديه لإعلامي بأنه يريد أن يكتب شيئًا أو ربما يريد كتابة شيء لي ولا يعرف..

تمالكت نفسي سريعًا وأدركت أنه يحاول أن يرسل لي رسالة معينة ولا يستطيع أن يخبرني بها بسبب اختلاف اللهجات بيننا، حيث كرر حركة يديه لعدة مرات كأنه يحثني على أن أجد حلًا ما ليستطيع إخباري بما يريد أن يعلمني به، فحاولت حينها البحث عن شيء يساعدني على ذلك، لأدرك سريعًا أنه قد أعطاني الدفتر خاصته الذي أخبرني بأنه قد دوَّن لي فيه ما حدث لنا بداخل الغرفة السوداء أثناء إغماءتي قبل إنقاذي على يد (كايلا) وجلبها لي إلى المستنقع..

ما إن أخرجت الدفتر والقلم حتى سحبهم من يدي في سرعة وعفوية أرعبتني، ليبدأ بعد ذلك في رسم بعض الرسومات في إحدى أوراق الدفتر ثم أعطاني إياه،

تأملت تلك الرسومات فوجدته قد رسم شيئًا شبيهًا بالعدسة المكبرة وسهم على شكل دائري كعلامة للتكرار، كانت رسالته غير مفهومه فالتفتُ له كي يحاول التفسير أكثر لما يقصده، فالتفتُ له مجددًا لكنني لم أجده بجواري..

نظرت يمينًا ويسارًا لكني لم أشاهده، وقفت سريعًا من جلستي وبدأت بتأمل المكان بحثًا عنه فوجدته يقف بعيدًا عن حقل الطاقة بعدة أمتار..

مرت لحظات فشل فيها عقلي من تفسير ما ينوي فعله، لأفاجئ به بعد ذلك قد بدأ بالركض مقررًا بمنتهي الجنون والعفوية أن يقفز فوق حقل الطاقة بقوة اندافعه، حينها الفتت سريعًا لأتفقد حقل الطاقة وما أصبح شكله الآن، فوجدته وصل لارتفاع يقارب ارتفاع الفتى تقريبًا..

حينها وقفت محتارة لما سيفعل، متمنية لأن يصنع شيئًا مجديًا ودون أن يتسبب ذلك بأذى له بالطبع، حيث ذكر الفتى لي سابقًا بأن حقل الطاقة يصدر صعقات كهرومغناطيسية قوية لمن يقترب منه في وقت

اكتماله..

تأملت في صمت لما سيفعل، فوجدته قد بدأ بالركض مسرعًا باتجاه حقل الطاقة وهو يصرخ، صرخة استطعت ترجمتها سريعًا، فلم يكن صراخه بمثابة استسلام للموت أو اعتراف بأنه لن يستطيع تخطي هذا الحقل الكهرومغناطيسي، بل كانت بمثابة صرخة رفض، رفض للموت بتلك الطريقة، رفض للاغتصاب والموت عجزًا، ظل يصرخ متعاليًا بصوت صراخه وما إن أصبح على بعد خطوات من حقل الطاقة، حتى قام بالقفز بجسده محاولًا عبور الحقل أيًا تكن النتيجة..

قفز بكل ما تحمل أقدامه من قوة وبكل ما يحمل جسده من مرونة..

مر المشهد من أمامي كأنه فيلمًا يُعرض بالتصوير البطيء وكل ما أفعله أنا هو أنني أتمنى له بأن يعبر حقل الطاقة دون أن يتأذى..

عبر جسده ولكن للأسف اصطدمت أقدامه بالحقل فصعق بصعقة كهرومغناطيسية، فما أن ارتطم جسده

بالأرض المطوقة بحقل الطاقة من الخارج حتى بدأ بالصراخ، صرخات مقاومة ومعافرة ضد كل شيء في هذا المستنقع يقوم باغتصابه..

لحسن الحظ كان لم يفقد الوعي، لكنه لم يعد قادرًا على الوقوف على قدميه مطلقًا إثر الصعقة الكهرومغناطيسية..

قام بالزحف لفترة حتى وصل لشجرة أحجار الأترينيوم، في حين أسرعت أنا نحو حقل الطاقة ووقفت على بعد امتار منه كي أشاهد ما سيفعله الفتى عن قرب، لأجده يقاوم ألمه ويبدأ في استجماع قواه مجددًا محاولًا الوقوف، سقط لأكثر من مرة مستندًا في المرة الأخيرة على أحد جذوع الشجرة العملاقة، ظل للحظات يتنفس بصعوبة وكأنه يختنق، لكنه تمالك أنفاسه رغم ذلك بعد أن تشبث بالجذع مجددًا، حينها تسلق فوق الشجرة العملاقة مستعينًا بغصونها الضخمة، قطف حجر أترينيوم ثم نزل مجددًا، أمسك بالحجر وتحرك نحوي كأن عيونه لا ترى كل الباقين من شعب المستنقع والذين كانوا يقفون مثلي تمامًا يتأملون كل ما يقوم بفعله..

لقد تمسك بأملنا الوحيد، فأتمنى لما قام فعله بأن يمنحنا يومًا آخر بالمستنقع بدلًا من الهلاك فيه..

تحرك الفتى بصعوبة وهو يعرج بقدميه نحوي وبعد عدة خطوات عاود السقوط مجددًا، نظرت حينها للحقل فوجدته أوشك على الاكتمال أي الانغلاق حول شجرة أحجار الأترينيوم لحين وقت الإمداد الجديد..

تأملت الفتى مجددًا فوجدته يزحف نحوي بيديه، فما أن أصبح حقل الطاقة هو الحائل بيني وبينه، حتى رسم لي في الهواء مستطيل بسبابتيه ففهمت أنه يقصد الرسالة التي دونها لي في الدفتر، بعد ذلك رفع يده اليمنى التي تحمل حجر الأترينيوم وضربها في حقل الطاقة لتخترقه كي يتمكن من إعطائي إياه..

فما أن ضربت يديه الحقل حتى صعق جسده بصعقة كهرومغناطيسية تسببت في اندفاعه بقوة نحو الخلف ليصطدم حينها ظهره بجذع الشجرة العملاقة بقوة أشك أنها لم تكسر له بعضًا من فقرات ظهره، بينما سقط حجر الأترينيوم خارج الحقل ليعلمنا أن كل ما تعرض له هذا الفتى من أذى قد منحنا فرصة للحياة ليوم جديد

بدلًا من الفناء بالمستنقع، في حين صار الفتى جثة هامدة بلا حول ولا قوة، مستلقيًا على ظهره بلا حراك حال سقوطه في إغماءة جديدة..

* * * *

الإغماءة الخامسة

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال الخامس في رحلتنا:

- هل يستطيع أن يعرف الإنسان نفسه دون أن يساعده الوحي الإلهي؟

سقطت حينها جاثية على ركبتي منهارة، بعقل تبعثرت أفكاره كهرم تناثرت أحجاره عقب هجمة إعصار فتاكة، بروح صارت ندباتها واضحة جلية أمام كل من يطالعني من شعب المستنقع، بعيون ذات رؤية مشوشة إثر غارات أمواج بحر الدموع المنهمرة دونًا عني بعدما رأيت الفتى ساقطًا في إغماءة لا أدري إن كان سيفيق منها أم لا..

أحقًا قام بتلك المجازفة من أجلي؟

من أجل فتاة عرفها منذ مدة لم تتجاوز اليومين في تقديري؟

أتراني أستحق فعلًا تضحيته تلك أم لا!

هذا ما كان يدور في بالي حينها ودموعي تزداد انهمارًا كلما رأت عيناي هذا الحائل (أي حقل الطاقة) الذي يجعلني عاجزة عن الركض نحوه لأطمئن عليه أو ربما لأنني أود إخباره أنني أصبحت كالفزاعة، فمهما ارتعبت مني الطيور سأظل قابعة كالتمثال دون

حراك طوال فترة غيابه..

قاطع شرودي فجأة تربيت لشخص ما بيده على كتفي، التفت له فوجدتها إحدي سيدات المستنقع، ما إن التفت لها حتى أعطتني مصباحًا وأشارت بإبهامها نحو حجر الأترينيوم، كأنها تخبرني بأنه عليّ إضاءة المصباح قبل أن يكتمل حقل الطاقة ويصير المستنقع بحرًا مظلمًا تغرينا أمواج عتمته كي نغرق فيه ليدمر آخر فرصنا في البقاء فيه على قيد الحياة..

مسحت دموعي السائلة على خدي، وضعت حجر الأترينيوم في المصباح كي أضيئه ثم قمت من جلستي متحركة عدة خطوات بعيدًا عن الحقل..

حينها تفاجأت بما أصبح عليه حال غالبية شعب المستنقع، فعيونهم أصبحت لا تفارق حقل الطاقة الذي أوشك على الانغلاق، كما أن وجوههم ارتسمت على ملامحها الرعب الممزوج بإيمان ما بأنهم يشهدون آخر لحظات حياتهم، أما عن أقدامهم فلم تقوى على حملهم ليبدأوا بالتساقط على ركبهم واحدًا تلو الآخر..

كم قاسٍ هذا القدر حينما يطيل في استعراضه للحظتنا الأخيرة من الحياة!

رغم كل ذلك قررت السير وحيدة للبحث عن صناديق بطاريات التنفس..

لم أدرِ ما هي وجهتي أو إلى أين سأذهب، كل ما فكرت فيه هو أن أجد صندوقًا للبطاريات أنقذ به الفتى الذي جازف بحياته من أجلي..

وسط سيري لعدة خطوات بلا وجهة محددة مبتعدة عن حقل الطاقة شعرت بشخص يجذبني من يدي، التفت له فوجدت أنها فتاة صغيرة عمرها لا يزيد عن تسع سنوات حسب تقديري، أشارت حينها بسباباتها نحوي، بعد ذلك بسطت كفها الأيسر محركة عليه إصبعيها السبابة والوسطي الخاصين بكفها الأيمن، كرسالة بلغة الإشارات كانت تريد أن تسألني من خلالها:

- أستعودين إلى هنا مجددًا؟

جثيت حينها على ركبتي وهززت رأسي أن نعم

كإجابة لسؤالها، لتبدأ هي مجددًا بمراسلتي مرة أخري بواسطة حزمة إشارات جديدة كانت تعني حين فسرتها:

- أسترحلين وتتركين كل هؤلاء وحدهم هنا كي يفتك بهم الموت؟

صمت للحظات وأنا أتأملها، هذا الوجه البريء الذي يحمل على عاتقه همًا أكبر بكثير من قوة احتماله..

كم بليغة هي لغة الإشارات حينما يصمت الجميع ولا يجدون في أصواتهم ملاذًا يعبرون من خلاله عما يريدون البوح به!

رغم براءة تلك الفتاة، كنت غاضبة من سؤالها ومن تحميلي مسئولية حياة شعب المستنقع إن رحلت وحدي لأبحث لنفسي عن صندوق به بطاريات تنفس لأنقذ نفسي وأنقذ صديقي الذي ألقي بنفسه داخل حقل الطاقة كي ينقذني دون الاهتمام بالآخرين، أشرت حينها بسبابتي نحو شعب المستنقع ثم نحو شجرة الأحجار، بعد ذلك حركت يدي اليمنى كأنني أقتطف شيئًا ما من الفراغ، في سؤال لها بلغة الإشارات كان أعني به:

- لماذا لم يقتطف أي منهم حجر أترينيوم من شجرة الأحجار كي يضيئوا به مصابيحهم؟

حينها صمتت الفتاة منكسة لرأسها يأسًا حال فشلها في إقناعي بأنني لو قررت الرحيل دون مساعدة شعب المستنقع في العثور على صناديق بطاريات تنفس فسيهلكون لا محالة، بينما نهضت أنا حينها من جلستي لبدأ رحلة البحث عن أحد صناديق بطاريات التنفس..

بعد عدة خطوات التفت لها فوجدتها لا تزال واقفة تتأملني وكأنها تحمل أمل ما أو ربما أمنية تجعلني أقرر العودة مجددًا لإنقاذ شعب المستنقع من هلاكه المحتم..

وسط تأملي لها وجدت (كايلا) تقترب مني لتعطيني ورقة بها رسم تخطيطي أشبه بالخريطة وفي وسطها رسمة لشجرة الأحجار وحولها حقل الطاقة، كانت تحتوي الخريطة على رسم لمناطق المستنقع السبعة تعلوها رموز غريبة وعلامات استفهام عدة، التفت بعدها نحو (كايلا) التي كانت تنظر لي نظرة أظهرت فيها غضب واضح من قرار رحيلي وحيدة مشيرة لي بمجموعة إشارات استطعت ترجمتها، فقد كانت تحاول إخباري

بنبرة عنف كانت واضحة جلية على ملامحها:

- هناك العديد من الأماكن الخطرة في الخريطة وإن ذهبتي وحدكِ فستموتين لا محالة لأنكِ غير دارسة للمكان..

رفعت كتفي في تعجب كأنني أسألها:

- إذن ما هو الحل؟

أشارت (كايلا) بسباتها نحوي ثم أشارت بإبهامها نحوها، بعد ذلك حركت يديها كأنها تقطف ثمرة من شجرة ما، لتختم رسالتها حين مررت سبابتها نحو بقية شعب المستنقع، كرسالة كانت تعني بلغة بالإشارات:

- أنا وأنتِ سنقوم باختيار مجموعة من شعب المستنقع..

رفعت ثمانية من أصابعها فيما معناه أن هذا هو العدد الذي سنختاره من بين شعب المستنقع، حينها فهمت أنها تعني أننا سنذهب كفريق مكون من عشر أشخاص لنجلب صناديق بطاريات التنفس من الأماكن المرسومة بالخريطة..

في الحقيقة تعجبت من أنها اختارت عشر أشخاص فقط لتلك المهمة، لكن بعد لحظات استوعبت ما كانت تقصده، حيث أن عدد أفراد شعب المستنقع حوالي مئتي شخص كما أخبرني الفتى سابقًا، بالإضافة لأن كل صندوق يمكنه إنقاذ شخصين، مما يعني أنه خلال رحلتنا سنقوم نحن العشرة بجلب مئة صندوق لإنقاذ المئتي فرد من أفراد المستنقع.

حينها أشارت لي (كايلا) بيديها كي يأتي خلفها، فتحركنا سويًا نحو مكان تجمع شعب المستنقع من خلفنا، كان الشعب حينها لا يزال شاردًا بحقل الطاقة متمنيًا ألا ينفتح مجددًا ولو للحظة واحدة تمكنهم من اقتطاف بضعة أحجار أترينيوم، فاكتمال الحقل يعني بأن موعد هلاكهم قد اقترب جدًا، ففي يوم الإمداد القادم لو لم يحصلوا على بطاريات جديدة للتنفس فسيكون الموت حليفهم لا محالة..

في تلك الأثناء كانت (كايلا) قد انتهت من اختيار أفضل ثمانية أفراد من بين شعب المستنقع، ثمانية أفراد لا شك بأنهم من أقدم الوافدين للمستنقع مثلها أي أنهم الأكثر تمكنًا من الاستمرار فيه على قيد الحياة، ليصبح

حينها الفريق الخاص بإنقاذ شعب المستنقع من الفناء مكون من خمسة فتيان وثلاث فتيات بالإضافة لي أنا و(كايلا)..

بعد ذلك وقف عشرتنا على مسافة عدة أمتار من شعب المستنقع، لتبدأ (كايلا) حينها بالصراخ بعدة صرخة عالية وهي تلوح بيديها كي يلتفت الجميع نحوها، فانتبه حينها الشعب بأكمله لها بمنتهى التركيز، كأنها تحمل المفتاح الذي يفتح باب استمرارهم على قيد الحياة، في حين أخذت (كايلا) الخريطة مني مجددًا وبدأت برسم عشرة أشخاص على ظهرها، بعد ذلك قامت برسم سهم أسفل واحد من تلك الأشخاص العشرة وأسفله قامت برسم عشرة مربعات سوداء..

ما إن انتهت (كايلا) من الرسم، حتى أشارت نحونا ثم بدأت بتمرير سبابتها نحو العشرة أشخاص التي قامت برسمهم بالخريطة، في محاولة لإخبار شعب المستنقع بأن كل فرد منا نحن العشرة سيعود لكم برفقة عشرة صناديق بطاريات تنفس أي أننا سنجلب جميعًا لشعب المستنقع مئة صندوق لإنقاذ المئتي فرد بالمستنقع..

أشارت (كايلا) نحوي ثم احتضنت كفها الأيمن بالأيسر، مشيرة بعد ذلك بإبهامها نحو بقية شعب المستنقع، في الحقيقة لم أفهم تلك المرة ما كانت تقصده (كايلا) بإشاراتها تلك، لكنني ما إن رأيت شعب المستنقع قد بدأ بالتهليل وعلامات البهجة والسعادة قد ارتسمت على وجوههم كأنهم وجدوا أخيرًا الأمل الذي سيمنحهم يومًا جديدًا في هذا المستنقع، حتى ترجمت سريعًا بأن (كايلا) كانت تخبر شعب المستنقع بأنني قد قررت مساعدتهم جميعًا نظرًا لامتلاكي حجر الأترينيوم الوحيد الذي يمكنني بواسطته البحث عن صناديق بطاريات التنفس في وسط العتمة التي ستحل قريبًا على كافة بقاع المستنقع أي بعد اكتمال انغلاق حقل الطاقة من جديد، فالجميع كان يصفق ويهلل وآخرين كان كفهم الأيمن يحتضن الأيسر مثلما فعلت (كايلا) كرسالة شكر منهم لما سوف أقدمه لهم من مساعدة..

بعد ذلك اجتمع عشرتنا في حلقة حول المصباح متأملين تفاصيل الخريطة بمنتهي التمعن والتركيز، تعجبت من عدم اهتمام (كايلا) نظرًا لحادث بلبلة الألسنة أن يختار كلًا منا اسم كي ننادي به كل منا الآخر، لكنني

رغم ذلك قررت أنا أن أقوم بتمييز كل فرد من أفراد الفريق برقم، فقمت بترقيم الفتية الخمسة، أما بالنسبة للفتيات الثلاث فقد اعتبرت أن (كايلا) الفتاة الأولي وأنا الثانية بينما بدأت بترقيم بقية الفتيات من الرقم ثلاثة..

حينها أشارات (كايلا) بسبابتها على كل علامات الاستفهام الموجودة بالخريطة بالترتيب، بعد ذلك قلبتها على وجهها الآخر وبدأت برسم رسمتين، الأولى كانت لطائر بينما الثانية كانت لحيوان، ما إن انتهت (كايلا) من الرسمتين حتى أشارات بسبابتيها نحوهم ثم ضمت أصابع كفها مطلقة الإبهام فقط والذي قامت بتمريره حول رقبتها كرسالة تخبرنا فيها:

- كل منطقة بها شيء مجهول إما حيوان أو طائر يمكنه قتلنا.

مررت (كايلا) سباباتها علينا جميعًا، محتضنة بعد ذلك كفها الأيمن بالأيسر، في رسالة بلغة الإشارات تقول لنا من خلالها:

- علينا البقاء سويًا دومًا..

هز الجميع رأسه كإشارة لأنهم فهموا كل ما ذكرته توًا من تعليمات، ليبدأ كلًا منهم بعد ذلك بحمل صندوق خشبي فارغ من تلك الصناديق الملقاة أرضًا والتي كانت تحتوي على بطاريات التنفس في الأيام السابقة، بينما حملت لي (كايلا) صندوقي بالإضافة للخريطة وسارت بجواري كي تقود فريقنا في رحلته، في حين اكتفيت أنا بحمل المصباح كي أنير الطريق، متمنين جميعًا أن يعود كل منا بصندوق يحتوي على عشرين بطارية تنفس كي نتمكن من إنقاذ كل أفراد شعب المستنقع أجمع بلا أية خسائر..

* * * *

بعد فترة من السير في المستنقع توقفت (كايلا) في منتصفنا وأشارت لنا أن نلتف حولها، أخرجت الخريطة مجددًا وأشارت على أولى علامات الاستفهام بالخريطة كرسالة منها أننا أوشكنا على الوصول، أشارت (كايلا) على أذنها ثم حركت سبابتها بإشارة النفي في تحذير جديد معناه:

- عليكم عدم الإصغاء هنا لأي صوت غريب..

حركت (كايلا) إبهامها نفياً مجدداً، بعد ذلك بسطت كفها الأيسر محركة فوقه السبابة والوسطى الخاصين بكفها الأيمن، كي تخبرنا بنبرة تحذيرية صارمة أخرى اتضحت جلية على ملامحها:

- إياكم والتوقف عن السير مطلقًا.

بسطت (كايلا) كفها الأيسر ثم رسمت بسبابتها الخاصة بيدها اليمنى دائرة في الفراغ، بعد ذلك شبكت إبهامها الأيمن بالأيسر محركة أصابع كفيها معا للأمام وللخلف لعدة مرات ثم غطت وجهها بكفيها، لتشير بعد ذلك بسبابتها نحو رأسها محركة إياها حركة لولبية بجانب رأسها كرسالة تحذير جديدة تخبرنا فيها:

- المكان ملئ بالخفافيش التي يمكنها الانقضاض على وجوهنا لإسقاطنا في نوبة من الهذيان..

بعد لحظات أشارت (كايلا) نحوي بسبابتها ثم أشارت نحوها، بعد ذلك بسطت كفها الأيسر ثم أشارت لمنتصفه بسبابة يدها اليمنى، لترسم بعد ذلك دائرة في الفراغ على كفها المنبسط، كأنها تخبر بقية أفراد الفريق بأن عليهم أن يكونوا حلقة دائرية من حولي أنا و(كايلا) لتقليل الضوء الخارج من المصباح

لتجنب خطر هجوم تلك الخفافيش التي استنتجت أنها تهاجم حاملي المصابيح، كما أشارت أيضًا نحو فمها محركة سبابتها كإشارة للنفي كأنها تعطينا تحذيرًا آخر شديد اللهجة من إصدار أية أصوات يمكنها جذب تلك الخفافيش نحونا..

تحركنا في حلقة دائرية كنت في منتصفها أنا و(كايلا) كما اتفقنا، لم تطل فترة سيرنا التي لم يحاوطنا فيها الخطر، بعد مدة قصيرة من السير بدأت آذاننا بسماع أصوات غريبة، أصوات نداء وهمسات وأصوات استغاثة، أصوات عديدة، بعض منها شعرنا أنه مألوف نوعًا ما لآذاننا، كأنه صوت شخص كنا نعرفه قبل ولولجنا إلى المستنقع، نبرة صوته توحي أنه يناجينا من مكان ما ويطلب منا أن نبحث عنه ونذهب إليه..

بعد مجموعة خطوات أخرى بدأ الصوت يقترب ويناجي أكثر ويطلب منا التوقف عن السير والذهاب إليه، كنا جميعًا نحاول ألا ننصت ونكمل سيرنا كحلقة، في حين أخرجت (كايلا) الخريطة لتعرف أين نحن بالتحديد بالمستنقع، اقتربت منها حتى أضئ لها الخريطة بالمصباح، تأملت الخريطة للحظات ثم أشارت نحو

الأرض، فنظرت أنا للأرض لأفهم ما تقصده فوجدت ظلالا لنا، فاستنتجت بأن هنالك واحد من أفراد فريقنا قد خرج خارج حلقتنا الدائرية دون أن نشعر..

التفتنا أنا و(كايلا) للخلف فوجدنا الفتاة التي كانت في آخر الحلقة تسير للخلف مقررة تتبع تلك الأصوات وتركتنا نكمل السير بدونها، أشارت لي (كايلا) بالتوقف عن السير ثم أشارت لي إشارات سريعة ترجمتها بأن عليّ أن أكمل السير ولا ألفت انتباه الباقين لما حدث وهي ستذهب سريعًا لجلب تلك الفتاة، تحركت أنا للخلف وملأت الفراغ الناتج عن مغادرة الفتاة..

تحركت (كايلا) سريعًا لجلب الفتاة، بعد السير لعدة خطوات سمعنا كلنا صرخة عالية للفتاة وكأنها تقاوم (كايلا)، التفت الجميع للخلف وسريعًا ما ترجموا ما حدث..

- leave me (Kayla)

صرخت بها الفتاة (الخامسة حسب ترقيمي للفتيات)

مزيحة يد (كايلا) كأنها تخبرها بأنها ستكمل سيرها متتبعة ذلك الصوت، كما أنها لن تكمل معنا الرحلة، اقتربنا منهم كلنا في محاولة بحث عن طريقة لإقناعها بالعودة، كان الغضب حينها يلتهم ملامح (كايلا) وهي تنظر للفتاة في تأنيب شديد بعيونها، في حين إشارات (كايلا) نحوها محركة بعدها سبابته بإشارة النفي ثم حركت يدها كأنها التقطت شيئًا ثم قامت بنثر أصابعها مشيرة بعد ذلك بإبهامها نحو أذنها، كل هذا ونبرات الغضب ترتسم على وجهها في رسالة قالت فيها للفتاة الخامسة:

- أنا لم أخترِكِ لمرافقتنا بتلك الرحلة كي ترحلي الآن وراء صوت وهمي يصدره المستنقع كي يعرقلنا..

أشارت (كايلا) نحو الفتاة ثم حركت أصبعين من أصابعها مشيرة مجددًا نحو الفتاة ذاتها ثم شبكت إبهاميها ورفرفت بأصابعها محركة إبهامها حول رقبتها فيما يعني:

- لو رحلتي الآن وراء ذلك الصوت ستقتلك تلك الخفافيش..

صمت الكل لحظتها منتظرًا رد الفتاة الخامسة، أشارت الفتاة الخامسة بسبابتها نحوها محركة بعد ذلك إصبعين

من أصابعها فوق كفها الأيسر ثم أطلقت سبابتها وكأنها تقول:

- سأرحل وحدي..

أمسكت يد (كايلا) قبل أن تمنعها وتحاول مجددًا إقناعها باستكمال الرحلة معنا، رسمت بيدي اليمنى مربعًا في الفراغ ثم حركت معصمي للأمام وللخلف كأنني أقول لها:

- أعطني صندوقكِ وارحلي.

تحركت نحوها وحملت الصندوق ولكني لم أعلم حينها إن ما فعلته ما كان إلا جلبًا للخراب، خراب برحيل الفتاة وإنذار بهلاكنا، فعندما اقتربت منها لأجلب الصندوق لم أدرِ أنني بذلك أقوم بتحريك المصباح وأمرر الضوء في المكان مما يؤدي لإيقاظ الخفافيش وهجومها علينا، حينما سمعنا أصوات تلك الخفافيش من حولنا بدأت (كايلا) تحثنا على الركض، ركضنا جميعنا لكن الخفافيش كانت خلفنا أو بمعنى أدق، كانت خلف الضوء، حينها أمسكت (كايلا) مني الصندوق وفتحته ثم وضعت مصباح الإضاءة به كي ينطفئ ويختفي ضوءه تمامًا، بنفس اللحظة احتلقنا جميعًا حول (كايلا)

جاثين على ركبنا وقابعين كالتماثيل في صمت وبلا حراك، في محاولة بائسة منا للاحتماء من تلك الخفافيش أملًا في أن يعودوا أدراجهم مجددًا، لكن للأسف كانت مئات من تلك الخفافيش جائعة مشتاقة لمهاجمة الضوء بشراهة..

بعد لحظات من احتمائنا هجمت علينا مئات الخفافيش، حينها أمسك كلا منا بصندوقه وبدأنا بتحريكها في الهواء يمينًا ويسارًا كي تبتعد عنا تلك الخفافيش، لكن نظرًا لكثرة عددهم لم يؤثر دفاعنا فيهم إطلاقًا، كما قامت أحد تلك الخفافيش بالإمساك بوجهنا، مما تسبب في سقوطنا بعد ذلك في سبات عميق، أجسادنا خملت وعيوننا انطفأت وعقولنا توقفت لفترة من الزمن..

* * * *

بعد وقت طال ولا أحد تمكن من إحصائه استيقظنا أخيرًا، عاد لنا الإدراك بأجسادنا وعقولنا، بدأت أتمالك نفسي وأشعر أن الدم عاد إلى عروقي مجددًا، فتحت عيناي وتركتها تتأمل سماء المكان للحظات

لكن للأسف كما هي العادة في هذا المستنقع لا تطول لحظات تأملي لأي شيء..

فسرعان ما قطع تأملي صوت للفتاة (الأولى من فريقنا حسب ترقيمي) وهي تقول بلهجة استطعتُ ترجمتها بسهولة تلك المرة:

- لقد تحولت فتاة المصباح إلى فتاتين متماثلتين في كل شيء..

قمت من جلستي سريعًا ونظرت يميني فوجدت فتاة ترتدي نفس ملابسي وبجوارها نفس المصباح وخلفها (كايلا) والثمانية الباقين..

منذ أن جئت إلى هذا المستنقع وأنا لم أرَ وجهي وتفاصيله، لذلك لم أكن أعرف إن كانت تلك الفتاة هي فتاة تشبهني حقًا أم لا، فأنا لا أعرف كيف هو وجهي وتفاصيله وشعري ولونه وغيرها من تلك التفاصيل..

تأملتها للحظات دوّن فيها عقلي شكلي الفعلي بجميع تفاصيله في مخيلتي.

هل سبق وواجهت نفسك من قبل، أم أنك ذلك الشخص الذي يكتفي برؤيته لانعكاسه في المرآة أو على المياه الراكدة في البركة!

ذلك الشخص الذي لا يرى في انعكاسه غير ملامح عابثة صماء ويظن أنه هكذا قد رأي صورة تعبر عن ذاته، صورة صممها كما أراد أن يرى نفسه في مخيلته كي يقنعها أنها الصورة المثالية الأكثر تجسيدًا له..

أيوجد رسام يا صديقي يستطيع رسم نفسه بنفس براعة رسمه للوحاته!

بعد لحظات من شرودي برفقة تساؤلات عقلي، التفت نحو تلك الفتاة التي يظنون أنها شبيهتي ثم سألتها باستنكار تام:

- من أنتِ؟

نظرت نحوي هي الأخرى للحظات متعجبة ثم سألتني:

- أنا من يفترض بها أن تسأل من أنتِ؟

قالت (كايلا) محطمة لكل جدران الشك التي شُيّدت داخل عقلينا:

- واحدة منكم فقط أنتم الاثنتان هي الحقيقية والثانية ما هي إلا مسخ، انقسمتم لاثنتين بسبب تأثير هجوم تلك الخفافيش علينا التي حذرتكم أنها تقوم بإدخالنا في دوامة طويلة الأمد من الهذيان والأوهام..

ترجم عقلي سريعًا بأن تأثير وهم تلك الخفافيش قد أزال عنا لعنة بلبلة الألسنة وأن الرحلة ربما تكون أسهل في مراحلها القادمة، لكن يبدو أنني كنت مخطئة، ففي لحظة شرود لعقلي في محاولة منه لترجمة ما يحدث لإيجاد حل ما أتعامل به مع تلك الشبيهة، وأجعل (كايلا) وباقي أفراد الفريق يصدقون بأنني صديقتهم الحقيقية. أشارت الفتاة الشبيهة لي نحوي وهي تقول:

- بالتأكيد أنتم تعلمون أنها هي هذا المسخ، أنا من مررت بتلك الرحلة معكم منذ بدايتها وأنا من أخذت حجر الأترينيوم من الفتى الذي كان معي في الغرفة السوداء.

قاطعتها أنا مستنكرة:

- لا تصدقوها، أنا أتذكر كل التفاصيل جيدًا، الفتى الذي كان معي قفز في حقل الطاقة وأحضر من فوق الشجرة حجر أترينيوم وأنا أخذته منه، هو استيقظ بالمستنقع هنا قبلي، (كايلا) ألا تتذكرين حينما أتيت كي تنقذيني ببطارية التنفس وأخبرتِني أن الفتى الذي كان معك ينتظرك في المستنقع..

قال الفتى الأول من فريقنا:

- كل واحدة منهم ستظل تسرد لنا تفاصيل صحيحة، لا أظن أن الحل هو أن نختار منهما شخصًا كي نصدقه ليكمل معنا الرحلة ونترك الأخرى هنا.

فكرت (كايلا) للحظات في حل مناسب ينهي هذا الصراع نتيجة خبراتها بالإضافة لإدراكها المسبق بأغلبية بقاع المستنقع ثم قالت:

- الفتاة الحقيقية هي بالتأكيد الطرف الأقوى بينهم، فالأقوى بينكما هي التي ستستطيع قتل شبيهتها..

قاطعتها الفتاة الخامسة والتي كانت تنوي السير وحدها سابقًا:

- لكن هذا يعد دربًا من دروب الجنون يا (كايلا)!

التفت لها (كايلا) وردت عليها بمنتهى الغضب:

- أنتِ آخر شخص يتحدث عن الجنون، فأنتِ السبب بكل ما نمر به حاليًا

بعد أن انتهت (كايلا) جملتها أسرعت الفتاة نحوي، اقتربت مني ودفعتني أرضًا بقوة فسقطت على ظهري، لكنني سرعان ما أمسكت بقدمها وقمت بسحبها ليختل حينها توازنها وتسقط على ركبتيها، لأقوم حينها سريعًا من جلستي لأمسكها من خصلات شعرها وأشدها وأنا أصرخ في أذنها:

- أخبريني من أنتِ؟

صرخت مرارًا من الألم ثم أجابت متألمة:

- أنا الأصلية..

ضربتني بكل قوتها بمرفق يدها في صدري، سقطت للحظات متألمة، كما أن جسدي كله كان عاجزًا مستلقيًا على الأرض، في حين أسرعت شبيهتي نحو جذع شجرة كان مُلقى على الأرض وسط أشجار الغابة، حملته

بصعوبة حال ضخامة حجمه..

أدركت حينها أنها تود أن تنهيني به عبر إلقائه عليّ، فتظاهرت بالألم حتى اقتربت مني، سحبت قدمها بمشط قدمي فاختل توازنها وسقطت..

لحسن الحظ كانت قد ألقت بالجزع من يدها قبل سقوطها، فاستطاعت تفاديه بإزاحة جسدي بعيدًا، لكن رغم ذلك اصطدم طرفه الأخير على ركبتي اليمنى، صرخت من الألم وشعرت حينها أنني فقدت التحكم بقدمي للأبد، رفعت جسدي مُزيحة للجزع بيدي، في حين قمتُ بجر نفسي للخلف سريعًا كي أبتعد عنها..

زحفتُ للحظات هاربة لا أدري خلالها أن كنت أهرب لأصنع لنفسي فرصة انتصار أم أني أهرب لأنني لا أعلم شيئًا عن نفسي وعن هذا الوجه الشرير المصنوع مني، ربما تلك أنا وجئت هنا هربًا لأصنع لنفسي هذا الانعكاس الذي أنا عليه الآن..

هل أعرفني!

أتلك هي أنا حقًا، هل أحمل في باطني جرعة الشر تلك المعكوسة في نظرات شبيهتي!

من هي أم من أنا؟

كانت تحمل شبيهتي نظرات قوة وثقة في نصرها في كل ثانية، أما أنا فلا أحمل في داخلي غير الخوف، الخوف من كل خطوة قادمة، لكني الآن أصبحت خائفة مني، أصبحت خائفة أن أصبح وحشًا مثلها يومًا..

اقتل حتى لا تُقتل يومًا، أهذا هو التبرير!

لو أردت أن تقتل انعكاسًا لصورتك في عيون الناس هل ستواجه انعكاسك وتقتله وينتهي الأمر أم سترسم بذلك انعكاسًا آخر تظهر فيه قاتلًا!

هل يؤذي النحل الدب حينما يتناول عسلها، أم أنه يدافع عن عسله!

استنكرت أنها تشبهني، لم أرد قتلها لكن يجب أن تكمل أحدانا فقط الرحلة مع الباقيين، لم أرد أن يروني قاتلة

لكني سأُقتل إن لم أقتلها..

زحفت، زحفت وقلبي ينبض رعبًا عند تخيلي للنهاية، زحفت حتى وصلت إلى أحد الأشجار فاستندت عليها حتى وقفت، أثناء ذلك حملت هي غصن الشجرة التي ألقته سابقًا على وتحركت به نحوي، وجدت غصنًا على يمين الشجرة بسُمك أشبه بسمك السكين، أمسكت به بيدي اليميني، ثم عرقلت قدمي اليمنى بقدمي اليسرى فسقطت، مع سقوطي فصل غصن الشجرة عن الشجرة ذاتها، صرخت شبيهتي فجأة وهي تتحرك نحوي:

- استعدي لملاقاة حتفك..

تحركت نحوي، في حين داريت الغصن المكسور وراء ظهري، دارت هي حول الشجرة حتى رأتني، لم تتردد في رفع الغصن عاليًا لتلقيه عليَّ، لكني طعنتها سريعًا بسن الغصن المدبب في قلبها، سقطت أمامي على ركبتيها وهي تنزف، استندت على الشجرة حتى استقامت وقفتي، بدأت أتحرك مستندة على الأشجار وعيوني لا ترى غير (كايلا) التي تتأملني بنظرة غريبة، نظرة شك وخوف وحيرة، نظرة لم أستطع تفسيرها لكني كنت أعلم سببها، أذني أصغت لصوت الثمانية الباقيين وهم

يقولون بصوت انتصار لقد قتلتها، أكملت تحركي عارجة نحوهم وهم ينتظرونني.

لم يهمني حينها أنني الحقيقية في نظرهم أم لا، فلا يوجد الآن غيري يكمل معهم الرحلة، كل ما همني أنني قد نجوت، نجوت من الموت لأغوص في بحر أعلم أنني سأغرق فيه قريبًا مهما حاولت، فجأة سمعت صوتهم يصرخون في نفس اللحظة قائلين:

- احترسي..

التفتُ لهم ثم شعرت بضربة في مؤخرة رأسي أسقطتني أرضا، فقدت التحكم بجسدي كله، على حسب تخميني قررت الفتاة شبيهتي -أي المسخ- أن توجه لي ضربة انتقامية أخيرة أسقطتني في إغماءة جديدة..

* * * *

الإغماءة السادسة

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال السادس في رحلتنا:

- من هو صانع الطفرات؟ هل الخالق وقت خليقتنا أم نحن حينما امتلكنا القدرة على الخلق؟

مياه سقطت على وجهي، كشلال صغير قام بصفعي كي أستيقظ..

سحبت نفسًا طويلًا من الأكسجين لأنعش صدري، فتحت عيوني وفردت ظهري مستندة على كفيّ، لم أجد من حولي أحدًا من أفراد الفريق غير (كايلا)، مما بعث في قلبي بعض الطمأنينة مؤكدًا لي أنني تمكنت أخيرًا من هزيمة الفتاة شبيهتي، حينها قالت (كايلا) وهي تقف حاملة صندوقها الخشبي الفارغ وتقوم بتفريغه من أي قطرة ماء متبقية فيه:

- استيقظي، فليس لدينا متسع من الوقت للانتقال للمحطة الجديدة.

بدأت بعد لحظات في استعادة الوعي والتحكم بجسدي كليًا مجددًا، جلست القرفصاء وبعد حوالي دقيقة من تأملي للمكان من حولي بحثًا عن بقية أفراد الفريق والذين لم أجد أيًا منهم في مرمي بصري سألت (كايلا) بعد أن اعترتني الحيرة:

- أين ذهب بقية الفريق؟

التفتت لي قائلة:

- لا تقلقي، لقد ذهبوا للبحث عن الجسر الذي يعتبر بداية المحطة القادمة من رحلتنا.

حينها طرأ في عقلي تساءل جديد نظرًا لأن المكان أصبح مكسيًا بالضوء فجأة على غير عادة أي من بقاع المستنقع، فسألت (كايلا) كي أتأكد أنني لست في نوبة من الوهم كالتي أصابتنا عقب هجوم الخفافيش:

- كيف أصبح المكان مضيئًا من حولنا هكذا؟

جلست (كايلا) بجواري ثم بدأت بوضع البطاريات مجددًا في الصندوق الخشبي الفارغ خاصتها وبعد أن انتهت، قامت بإغلاقه ثم أجابتني:

- بمجرد عبور الاختبار الخاص بأي منطقة فأنها تصير منطقة مضيئة لحين وقت الإمداد الجديد.

حينها لفت نظري وجود مصباحين إضاءة بجوار (كايلا) فسألتها:

- من أين حصلنا على هذا المصباح الآخر؟

ضحكت (كايلا) بسخرية استشفيت من خلالها سذاجة سؤالي ثم أجابت:

- تظهر المسوخ دومًا بتلك المنطقة وهم حاملين لمصباح إضاءة مماثل لمصابيحنا، فعند هزيمتهم كما فعلتي أنتِ مع المسخ الشبيه لك يمنحنا المستنقع مصباح إضاءة آخر، بالإضافة لعشرة صناديق بطاريات تنفس، فهذا هو العدد الموجود بكل منطقة من مناطق المستنقع أي كل منطقة من مناطق رحلتنا.

شردت حينها للحظات مسترجعة لكل ما حدث أثناء صراعي مع مسخ الفتاة الشبيهة لي، رغم ذلك كان هناك سؤال ما زال يحيرني وأحتاج أن تجيبني عليه، فالتفتُ نحو (كايلا) متسائلة:

- أأنتِ واثقة بأنني الفتاة الحقيقية التي بدأت معكم تلك الرحلة منذ البداية وأنني لست مسخًا؟

ضمت ركبتيها إلى صدرها وتأملت المصباح لوقت قصير ثم قالت:

- هل أنتِ وباقي أفراد فريقنا واثقين بأنني أستطيع مساعدتكم لجمع بطاريات التنفس لشعب المستنقع كي

ننقذهم جميعًا أم لا؟

قبضت حاجباي من غرابة سؤالها السابق لأجيبها باستنكار:

- بالتأكيد كلنا نثق بكِ ثقة عمياء، فأنتِ قائدتنا بتلك الرحلة ولا نستطيع السير خطوة واحدة دونك..

نظرت إليَّ وقالت بعيون ترقرقت فيها بعض الدموع:

- تلك القائدة القابعة أمامك الآن قد مرت بكل ما مررتِ به أنتِ بصراعك السباق، فقد كنت حينها برفقة صديقة لي منذ أسابيع من لحظة ولوجي بالمستنقع..

أخذت نفسًا عميقًا زفرت معه ألمًا نفسيًا أعترى روحها باللحظات التي بدأت فيها مخيلتها باسترجاع تفاصيل تلك الذكري ثم قالت:

- كانت المرة الأولي التي نسير فيها في هذا المستنقع بعد إدراكنا لإلزامية عثورنا على صناديق بطاريات تنفس جديدة بكل يوم جديد، واجهنا حينها أنا وصديقتي نفس هجوم الخفافيش لنستيقظ بعد ذلك متفاجئين

بوجود مسخ يشبهني قابع أمامنا، حينها لم تعرف صديقتي أي منا هو النسخة الحقيقية من صديقتها، لكنها شعرت بأنه لا يوجد حل آخر غير أن تقتل النسخة الحقيقية المسخ الشبيه لها، وبعد نجاحي في هزيمة المسخ المشابه لي قالت صديقتي بأنها كانت واثقة من قدرتي على هزيمة تلك المسخ، فأنا الوحيدة التي لو واجهت انعكاسها ستعرف بالتأكيد كيف تهزمه بناء على معرفتي لنقاط ضعفي..

جف بئر فضولي حال بترها للجزء الأهم من القصة التي قامت بسردها للتو، فقررت حينها إعادة ملئه مجددًا بسؤالي لها:

- ماذا حدث لصديقتك بعد كل ذلك؟

ابتسمت ابتسامة عبثية قالت بعدها:

- لا تستعجلي الأمور، فوارد جدًا بعد عبورنا للجسر الواصل بين تلك المنطقة والمحطة الجديدة برحلتنا أن ننتهي بنفس نهايتها..

تسلل الرعب إلى عروقي كالسم، فسألتها سريعًا قبل أن يتفشى السم في كل أنحاء جسدي:

- ماذا سنواجه بعد عبورنا لهذا الجسر؟

ردت (كايلا) سريعًا:

- وحوش، لديها القدرة على قتلنا.

صمتُ قليلًا، ثم قلت بتلعثم من رعبي:

- ويفترض بنا.. أن نعبر هذا الجسر و.. نقتل تلك الوحوش.. أليس كذلك؟

ضحكت نفس الضحكة العبثية مجددًا لتجيبني بعد ذلك قائلة:

- لا، تلك الوحوش لن نحتاج لقتلها، لأنها وحوش لا ترانا من الأساس.

قبضت حاجباي وسألتها مستنكرة مما قالته للتو:

- إذن فكيف تستطيع قتلنا؟

لتجيب (كايلا) بمنتهى الهدوء، الهدوء الذي اعتبرته بمثابة شهادة إجادة لدورها كقائدة لفريقنا ولرحلتنا ولشعب المستنقع أجمع:

- تلك الوحوش لا تمثل لنا أي خطر إطلاقًا، كما لا نمثل لها نحن أي خطر أيضًا، فهي وحوش عميان لا يمكنها رؤيتنا..

صمتت لوهلة ثم تنهدت، سالت دمعة من عينها حيرتني ولكنني كنت أعلم أن تلك الدمعة تحمل حكاية ورائها ستُسرد خلال لحظات، مرت ثوانٍ استطردت من بعدها مكملة:

- الخطر الحقيقي هو أن تلك الوحوش تنجذب لرائحة الدماء، ففي حال نزف أي من أفراد فريقنا عقب تعرضه لإصابة ما، فستشتم حينها تلك الوحوش رائحة دمائه سريعًا ولو على بعد ميل، ثم ستركض خلفه من أجل امتصاص دمائه بهدف تحويله لوحش مثلهم..

حينها التفت (كايلا) نحو السماء مدارية ضعفها في مواجهة تلك الذكري التي تنهش روحها كلما تذكرتها، مسحت دموعها التي هطلت على خدها دونًا عنها لتكمل قائلة:

- كانت المرة الثانية التي نأتي فيها إلى تلك المنطقة، عرفنا حينها أنهم عميان ولن يؤذوننا، تلك المرة واجهت

هي المسخ الشبيه لها، لكن للأسف تسبب ذلك بجرح في يدها، ضمدته وأكملنا طريقنا، حينها وجدنا تلك الوحوش العميان يركضون نحونا ولم نفهم السبب، سقطت صديقتي أثناء ركضنا، نظرت ليدها فوجدتها تنزف وصنعت خلفنا خطًا من الدماء كانت تلك الوحوش تسير خلفه، قالت لي اجمعي أنتِ صندوق البطاريات وأنا سأشغلهم، حينها لم أكن أعلم أنها تُضحي بنفسها لأجلي، ركضت هي بعيدًا والوحوش ركضت خلفها، في حين قمت أنا بجمع البطاريات منتظرة إياها عند بداية الجسر الذي يفصلنا عن محطتنا الجديدة، ظللت حينها أنادي عليها لساعات دون جدوى، لحظتها فهمت أنها المرة الأخير التي سأراها فيها..

سالت دموعها وقالت وهي تتنهد متألمة:

- أنا آسفة لكنني، افتقدتها..

قمت من جلستي مقتربة منها، جلست بجوارها ثم أملت رأسها على كتفي كي أنتزعها سريعًا من شرودها قبل أن تهاجمها سكاكين الذكريات التي لا تنتهي من هجومها إلا عندما تترك في روحها العديد من الندبات النفسية التي تمزق إياها لأشلاء مبعثرة تصبح غير قابلة للتداوي

بمرور الوقت..

ربتُّ على كتفها للحظات كي أهدئها وأنا أقول:

- المهم أن نجعل تلك التضحية حافزًا لنا كي نستكمل تلك الرحلة مهما واجهنا من أزمات..

هزت رأسها أن نعم في صمت، لنشرد حينها لفترة قصيرة أثناء جلستنا منتظرين عودة بقية أفراد الفريق من جولتهم التفقدية للعثور على الجسر الذي يعتبر مدخل محطة رحلتنا الجديدة، حيث شردت (كايلا) في ذكرياتها مع صديقتها بينما شردت أنا في ذكرياتي مع الفتى الذي كان يرافقني في الغرفة السوداء..

فللأسف أمواج بحر الذكريات الأليمة لا يمكننا النجاة منها مطلقًا، فكلما نازعناها كي لا نغرق في طياتها، نجد أنفسنا قد ضربنا بسياط ذكرى مؤلمة جديدة أي غمرتنا مياه موجة أخرى أكثر فتكًا من سابقتها، فبحر الذكريات المؤلمة لا يوجد له بر أمان مطلقًا..

قاطع شرودنا الذي دام لدقائق صوت باقي أفراد فريقنا وهم يقولون:

- لقد وجدنا طريق الجسر.

التفت لهم (كايلا) سريعًا وقالت وعلى وجهها ملامح جادة:

- أهم شيء، حتى لا نتعرض لأي خطر لقد وضعت خطة..

أشارت (كايلا) للباقين كي يجلسوا حولنا في شكل نصف دائري حتى تبدأ بشرح خطتها، رسمت (كايلا) على الأرض بسبابتها مربعًا بداخله دائرة صغيرة ظللتها ثم بدأت بشرح الخطة:

- سنتفرق إلى مجموعتين، مجموعة ستتحرك برفقتي ومجموعة ستتحرك معها.

قالتها مشيرة لي ثم استطردت في شرح الخطة:

- كل مجموعة سيكون معها مصباح، في كل مرة أتيت فيها هنا كانت الوحوش متواجدة عند تلك الدائرة بالضبط

(قالتها مشيرة للدائرة المظللة في منتصف المربع)

أكملت بعد ذلك:

- صناديق البطاريات ستكون موجودة على يمين ويسار المنطقة المظللة، سنجمع البطاريات ثم نتقابل عند الجسر الجديد، يجب أن تكون حركاتنا مدروسة وسريعة، لا أحتاج لتحذيركم أن الخطر الحقيقي يبدأ حينما تشتم تلك الوحوش رائحة دماء أي منا، لأن تلك الوحوش لا تمثل أي خطر فهي وحوش عميان لا تقدر على رؤيتنا..

قسمت (كايلا) بعدها الفريق إلى نصفين وقبل أن نتحرك قالت لي:

- أنا واثقة من نجاحكِ.

تأملت عيونها ثم قلت لها بنبرة ثقة:

- دون أن نخسر شخصًا آخر..

ابتسمت ابتسامة شعرت من عيونها أنها اطمئنت ثم قالت بنفس الثقة:

- دون أن نخسر شخصًا آخر..

سرنا بعد ذلك نحو الجسر، تحركت (كايلا) بمجموعتها يميناً بينما قدت أنا كتيبتي جهة اليسار، سرنا لفترة ليست بالطويلة حتى عثرنا على صناديق البطاريات، جمعوهم ووضعوهم في صناديقهم لأقودهم خلفي بعد ذلك منيرة لهم الطريق بواسطة المصباح..

بعد قطعنا لنصف المسافة تقريبًا والتي تفصلنا عن بلوغ جسر المحطة القادمة، سمعنا دوي صرخة بالخلف، كان صوت مألوف لأحد من أفراد مجموعتي، التفت سريعًا لأرى ماذا حدث فوجدت أحد أفراد مجموعتي ساقطة على الأرض بعد أن أصيبت قدمها بسهم فاقتربنا جميعًا منها، لنجدها ساقطة على الأرض تصرخ من الألم، تزحف خلفنا محاولة السير حتى لا نتوقف كي لا تلاحقنا تلك الوحوش، لكنها لم تستطع..

ما إن اقتربنا من الفتاة حتى نزعتُ السهم من قدمها سريعًا، فانطلقت حينها صرخة ألم عالية من جانبها إثر الألم الذي كان يعتصرها، ألم تبعه نزيف من قدمها أشبه شلال من الدماء، فصرخ الفتى الثاني من فريقنا:

- قدمها تنزف، يجب أن نتحرك قبل أن تحاوطنا تلك

الوحوش..

حتى الآن لم أرَ تلك الوحوش مع ثقتي التامة أنهم من أطلق ذلك السهم بالرغم من أنهم وحوش عميان، لكن كيف تمكنوا من إطلاقه؟

كنت في حيرة من أمري فكان عقلي يتساءل هل أترك الفتاة لأنها تنزف كما فعلت صديقة (كايلا) سابقًا أم نحملها ونرحل سريعًا؟

شعرت أن هذا القرار لم يعد يتحكم في مصير الفتاة فقط، بل في مصيرنا نحن وشعب المستنقع في حالة فشلنا في الوصول للجسر الثاني..

دارت في رأسي كل تلك الأمور حتى سألت الفتاة الثالثة من فريقنا:

- ماذا سنفعل؟

وقفت أنا محتارة لا أدري ماذا يفترض بي أن أفعل، فقررت أن أفعل الحل الأول الذي أتى في بالي، فصرخت مناديه:

- كايلاااا، كايلاااا.

قال الفتى الخامس من فريقنا:

- (كايلا) تبعد عنا كثيرًا فلن تسمعنا، كما أن هنالك احتمالية أن تهاجمنا تلك الوحوش في أي وقت بسبب الدماء التي نزفتها من قدمها.

(كان يقصد الفتاة المصابة)

صمت للحظات محاولة الوصول لأفضل الحلول، فأسندت الفتاة على كتفي وقلت لهم:

- أنا سأحملها وأنتم أحضروا صندوقها، سنتحرك ناحية الجسر..

تحركنا جميعًا نحو الجسر وقبل أن نتمكن من بلوغه، وجدنا ضوء مصباح يتجلى لنا، فأدركنا سريعًا بأنها (كايلا) وأن بقية أفراد الفريق ينتظروننا عند مقدمة الجسر، فأسرعنا خطأنا حتى اجتمعنا بهم مجددًا، نظرت ل(كايلا) وقلت بصوت لاهث:

- أطلقوا علينا السهام وأصاب واحد قدمها ونزفت،

حملتها أنا على كتفي حتى وصلنا إلى هنا، لكن السؤال الآن كيف امتلكت تلك الوحوش القدرة على رؤيتنا وتصويب السهام علينا وهم عميان كما ذكرتي؟

نكست (كايلا) رأسها وقالت بملامح يبستها الصدمة:

- كنت أظن أنهم حينما يقوموا بتحويل أحد من بشر المستنقع لوحش يصبح أعمي مثلهم، لكنني تفاجأت حينما رأيت صديقتي بينهم تقوم بتوجيههم لتصويب الأسهم علينا..

التفت لي ووجهها أصبح لوحة ملطخة بالدموع وقالت:

- صديقتي أصبحت مصدر قوتهم، أصبحت الطفرة التي كانوا ينتظرونها حتى يتمكنوا من إبادتنا، لا أقدر على تصديق أنها تقوم بمساعدتهم حتى يقتلوننا ويحولوننا لأفراد جديدة في جيشهم.

سقطت الدموع على خدها وانهار ضعفها كطفل توارى خلف ظهر البكاء، كما لو كانت تعيد تعريف معني البكاء أمامنا وهي تقول:

- إنها غلطتي منذ البداية، لم يكن من المفترض أن أتركها وأرحل.

بدت (كايلا) حينها أشبه بالشجرة التي نستند عليها جميعًا، كما أنه مهما ألقينا عليها من أحمال لن تميل أو تنكسر مطلقًا، لكن حينما تضعف وتبكي سنشعر حينها بأننا على وشك التحطم مثلها، فرفعت حينها وجهها المنكس وقلت لها بنبرة صارمة:

- (كايلا) يجدر بنا أن نتحرك، فلا نحمل وقتًا للندم على أخطاء قديمة اقترفناها، تلك الوحوش في وقت قصير جدًا سنجدها خلفنا تحاول اصطيادنا واحدًا تلو الآخر بسهامهم، (كايلا) من فضلك يجب علينا أن نتحرك الآن..

أغمضت عينيها للحظات، استجمعت القليل من قواها ومسحت دموعها ثم أعطت المصباح لفتاة من مجموعتها وقالت لها:

- اعبري الجسر وأضيئي لنا الجهة المقابلة ونحن سنتحرك خلفك واحدًا تلو الآخر.

حملتُ الفتاة المصابة على كتفي باعتبار أننا سنكون

أول العابرين، لكن (كايلا) دفعتني للخلف ثم قالت:

- نحن الثلاثة سنعبر من بعدهم، سنحملها سويًا - كانت تقصد الفتاة المصابة- كما سيكون بحوزتنا المصباح الآخر.

عبر الباقون جميعًا، تبقينا أنا و(كايلا) والفتاة المصابة بسهم في قدمها عبرنا ما يقارب منتصف المسافة حتى أوقفنا شيء أرعب أجسادنا وجعلنا نشعر بأن نهايتنا أصبحت قريبة جدًا، وجدنا سهم تم إلقاؤه بمسافة ليست بالبعيدة أمامنا على الجسر، التفتنا للخلف تلقائيًا فوجدنا الوحوش، وحوش تشبهننا في التكوين البشري باختلاف أن بشرتهم ناصعة البياض وشعرهم باللون الفضي ومقلتي عيونهم غير موجودة ويقف في وسطهم فتاة ذات شعر طويل وعيونها البشرية مختلفة عن عيون تلك الوحوش، فتُرجمت سريعًا أنها الفتاة صديقة (كايلا)، كانت تقترب منهم لتحدثهم في آذانهم ثم تضبط وضعية أجسادهم وبعدها يطلقوا علينا السهام والرماح، لكن ما زاد رعبنا ليست إمكانية أصابتنا بسهام من سهامهم بل أننا رأينا صديقة (كايلا) توقفت عن توجيههم وتوقفوا هم عن إطلاق الأسهم وقامت هي بقطع الحبل الذي يربط الجسر باليابسة، التفت

(كايلا) نحوي صارخة فيّ قائلة:

- تحركي سريعًا قبل أن تنقطع حبال الجسر..

قطعنا أكثر من ثلثي المسافة حتى هوينا ناحية يمين الجسر نتيجة نجاح صديقة (كايلا) في قطع حبل الجسر بالجهة اليمنى، تدلت (كايلا) من الجسر ممسكة بأحد حباله بينما تشبثت أنا بالفتاة وأمسكت بيدي اليسرى أحد الحبال والمصباح معًا، بينما يجذبني من ناحية اليمين ثقل جسد الفتاة المصابة، حينها صرخت (كايلا) مجددًا:

- تحركا أنتما الاثنان، لا تتوقفا، تحركاااا.

فهمت أنها تقصد أن نصرف نظر عنها ونتابع السير وأن نحاول الوصول للنهاية قبل أن يقطع الحبل الثاني للجسر وبعد قطعه نقوم بسحبها، لكن خطواتنا لم تطل فمع معاناة ثقل الفتاة واهتزاز دائم في الجسر تحركنا خطوات قليلة حتى نجحت صديقة (كايلا) في قطعها للحبل الثاني والذي تسبب في سقوط المصباح من يدي اليسرى في بركة المياه أسفل الجسر، في حين أمسكت بحبل مربوط بالجسر بينما أمسكت الفتاة المصابة بيدي اليمنى، أما على الناحية الأخرى فقد كانت (كايلا)

متشبثة بنهاية حبل ما متصل بالجسر وبيدها الأخرى تمسك بالمصباح الآخر، قالت الفتاة المصابة الخامسة في فريقنا:

اتركيني حتى أخفف عنكِ الحمل لتتمكني من الوصول لنهاية الجسر..

التفت لها وقلت سريعًا:

- لن أتركك، نحن فريق ولن نخسر أحد منا مهما حدث.

صرخت (كايلا) مخاطبة بقية أفراد فريقنا:

- ارفعونا، اسحبونا نحو الأعلى.

بعد لحظات من صراخ (كايلا)، بدأنا نرتفع لأعلى، شعرنا حينها أننا نجحنا واستطعنا عبور تلك الوحوش ولكننا كنا مخطئين تمامًا، فبعد أن ارتفعنا لمسافة ليست بالكبيرة ومرت العديد من اللحظات نسينا فيها أمر الوحوش كأننا هزمناهم سمعنا صراخ من أفراد الفريق عند نهاية الجسر:

- سهاااام، خذوا حذركم..

وفجأة ترك بقية فريقنا -المتواجدين على نهاية الجسر- الحبل فسقطت أنا و(كايلا) والفتاة المصابة نفس المسافة التي ارتفعنا لها بواسطة بقية أفراد الفريق، لحسن الحظ لا زلنا متشبثين بالجسر ولم نسقط..

صرخات وسهام أشبه بلوحة لسماء مملوءة بالغيوم، غيوم تسقط منها زخات المطر ولسعات البرق سويًا على الأرض الخضراء، لوحة تتركك في حيرة مع سؤال بسيط يطرح نفسه، كيف ستكون نهايتنا يا تُرى؟

تحرك باقي أفراد الفريق وقاموا مجددًا برفع الجسر

صرخت الفتاة المصابة (الخامسة من فريقنا) وسط غارة السهام:

- اتركيني، سيخفف ذلك الحمل وسترتفعون أسرع، أنا عبء عليكم..

رددت أنا بعصبية وعناد تام:

- لن أتركك، لقد بدأنا الرحلة معًا وسننهيها معًا.

بدأنا نرتفع مجددًا رغم وابل السهام من حولنا، اقتربنا من الوصول لكننا لم نقترب لحظة من النجاة، تبقت مسافة قليلة، غارات السهام ازدادت فازداد الصراخ والرعب والخوف ولكننا شعرنا بأننا اقتربنا من النهاية ولكن لا توجد نهاية للألم، فنهايته ما هي إلا بداية لألم جديد، كانت يد الفتاة المصابة متشبثة بي كامل أخير بائس أو ربما استعطافه ل(جينوس) كي لا يُبتر شريان حياتها الأخير..

صرخة ألم بنبرة صوت الفتاة ذاتها زلزلتني، عجزت عن النظر نحو الأسفل فكل ذرة بجسدي حذرتني قبلها من هول الصدمة، الصدمة التي أكدتها قبضة يديها الممسكة بيدي حين شعرت بها تتراخي، كل شيء حينها أصيب بسرطان السكون، أول تلك الأشياء كانت صرخاتي التي صارت أقرب لاستغاثة غواص يطلقها عقب شعوره بنفاذ أنبوب الأكسجين، ثانيهم بصري الذي تشوش بالكامل، آخرهم عقلي الذي أصيب بشلل كامل تسبب في عجز تام عن التفكير وتكوين أي قرار، لقد ماتت الفتاة، عبث القدر بنا ومكن المستنقع أخيرًا من تحطيم واحد من الأعمدة التي ترتكز عليها بناية الأمل في إنقاذ شعب المستنقع ونجاح رحلتنا..

صرخت (كايلا) بمنتهى الألم لحظتها، صرخت واستمرت في الصراخ علَّ أحدًا يُصغي:

- لاااا، لاااااا.

كان وقع الدقائق عليّ كقرن من الزمن تمكنت بعدها من تجميع شتات جسدي والنظر نحو الأسفل أخيرًا، لاصطدم حينها بعد رؤيتها كجثة مصابة بعدد من السهام اخترق ظهرها مهشمًا ضلوعه، تنزف كما تنزف فريسة تم اصطيادها بواسطة قطيع من الضباع الرعاع..

صرخت حينها بهيستيرية من هول المشهد:

- اسحبونااااا، اسحبونا بسرعة..

لحسن حظنا كنا قد أوشكنا على الوصول، سحبوا (كايلا) ثم قاموا بسحب الفتاة، أسندوها على جنبها في حين قام اثنان من فريقنا بنزع السهام من ظهرها، بعدها قاموا بسحبي، حملناها جميعنا (أي الفتاة المصابة) بينما حمل عاشرنا المصباح ليضئ الطريق، وضعنا الفتاة على الأرض وهي تنزف ومن حولها بركة دماء، دموعنا وصراخنا عليها لم يتوقف حتى تقطعت أحبالنا الصوتية،

لكن الفتاة حينها قد سقطت، سقطت في إغماءة بلا موعد استيقاظ جديد، سقطت في إغماءة الموت الأبدية..

* * * *

الإغماءة السابعة

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال السابع في رحلتنا:

- ألا يمكن أن يكون الموت مرضًا لم نكتشف علاجه بعد؟

التخيلات المستبعدة..

تلك التي تكون أسيرة مقبرة عقلك الباطن ومصدر إلهام كوابيسك طوال الوقت نظراً لسوداويتها، رغم ذلك فإن خطرها الفعلي يكمن حين تجد نفسك فجأة بطلًا لإحداها، حيث تصير حينها تلك التخيلات بمثابة طعنة مهشمة لضلوع قفصك الصدري، سلاسل مكبلة لأطرافك معجزة إياها عن الحركة، كابوس مؤرق مطارد لعينيك في سبات كانت أو مستيقظة..

تلك كانت مشاعر الجميع في تلك اللحظات والتي امتزجت بالألم والدموع والنيران الكاوية لقلوبنا بعد نظرة الوداع الأخيرة التي ألقيناها على الفتاة الخامسة بفريقنا، بالإضافة لأن صوتها لم يتوقف عن الهمس بأذني في كل لحظة متسائلًا:

- لماذا لم تنقذيني؟

كما كان دائم التأنيب لي قائلًا:

- لماذا لم تتركيني لأسقط، ربما كان هناك فرصة

لأعيش..

حينما أصبح مجبرة على نسيان كل ما مررنا به وأنجح في ذلك سأكون قد عرفت لكم ما هو معنى الموت تحديدًا..

هكذا كان تعريفي حينما قالت (كايلا) أن الفتاة قد ماتت، بينما كان تعريف (كايلا) للموت هو أنه النهاية الأبدية التي لا توجد عودة من بعدها..

كما أضافت لنا قائلة:

- كي نفهم ما آلت له النهاية علينا أن نتذكر حال بداياتنا، فقد كانت بداياتنا عيون مغلقة لا تبصر غير الظلام، فعيوننا ترى السواد وقت بداية حياتنا بالمستنقع ووقت نهايتها، أما الفترة التي نظل فيها على قيد الحياة على سطحه فما هي إلا تعريف للحياة ذاتها..

لذلك السبب خلقت الغربان باللون الأسود في اعتقادي، فالغربان هي من علمت أسلافنا ماذا يفعلون حينما يموت أحد منهم، فعندما يموت غراب تقوم بقية الغربان بحفر حفرة تتسع له ليحملوه بعد ذلك بمناقيرهم ملقين إياه في تلك الحفرة، ثم يهيلون عليه التراب

احترامًا لحرمة الموت..

قمنا جميعًا بحفر حفرة بحجم جسدها، ما إن انتهينا من الحفر حتى حملناها جميعًا وضعناها في حضن تلك الحفرة، لنهيل عليها بعد ذلك بالتراب ملقين عليها نظراتنا الأخيرة..

بعد ذلك أمسكت (كايلا) بالمصباح الآخر والذي كان بحوزتها أثناء عبورنا فوق الجسر الخاص بالمحطة السابقة من رحلتنا وبدأت بالتحرك للأمام وحيدة منفردة، فما إن رأى الفتى الثاني من فريقنا (كايلا) قد همت بالسير مبتعدة، حتى تساءل بسرعة متعجبًا:

- إلى أين أنتِ ذاهبة يا (كايلا)؟

التفت له (كايلا) بوجهها العابس وعيونها التي تحاول جاهدة كبت دموعها واللذان يرسمان معًا لوحة تعبر عن المعناة نتيجة ألم نفسي مكبوت بداخلها:

- لم يعد هذا فارقًا..

أكملت (كايلا) السير لعدة خطوات مبتعدة عنا كأنها تمهد إضاءة المكان قبل بعد أن سبقتنا بعدة أمتار،

فتساءل الفتى ذاته مرة أخرى منتظراً إجابة مقنعة منا تلك المرة:

- هل يُفترض على كل واحد منا الآن أن يسير وحيدًا ويفعل ما يشاء؟

- بالطبع لا..

قالتها الفتاة الثالثة من فريقنا باستنكار تام، ثم استطردت:

- لو أن كلامك صحيح كانت (كايلا) تحركت ناحية الجسر الخلفي مقررة العودة للمستنقع مرة أخرى.

صمتت الفتاة الثالثة لفترة قصيرة ثم أشارت بسبابتها في الاتجاه الذي سلكته (كايلا) وهي تقول:

- لو قمت بالتركيز ستجدها تتجه نحو الفنار، لكنها لا تستطيع أن تخبرنا أن نتحرك خلفها فهي ترى أن كل ما حدث قد حدث لأنها كانت قائدتنا، أرى أن علينا أن نتحرك خلفها لنجعلها تشعر أن ما حدث ليس خطأها وحدها، بل خطأ منا جميعًا.

قمت سريعًا من جلستي وقلت مؤيدة لحديث الفتاة

الثالثة:

- أؤيد كلامك، علينا أن نسير خلفها بسرعة.

تحركت غير مهتمة بمن قرر منهم التحرك خلفي ومن قرر البقاء قابعًا في مكانه، لكن وبعد فترة قصيرة من سيرى منفردة وجدتهم جميعًا قد لحقوا لنسير حينها جميعًا خلف (كايلا) صوب ذلك الفنار..

* * * *

أصبحنا أخيرًا على بعد عدة أمتار من الفنار والذي كان عبارة عن مساحة كبيرة مربعة مرتفعة عن سطح الأرض بارتفاع يقارب سور مبنى ضخم، على حوافه الأربعة توجد مساحة مربعة مرتفعة بارتفاع طابقين وفي منتصف المساحة المربعة يوجد مبنى مستطيل الشكل بمساحة أربع غرف متلاحمة في شكل مربع ويرتفع ارتفاع عشرين طابق تقريبًا، بالإضافة لأنه عند نهاية المبني توجد قبة بنفس ارتفاعه مستندة على أربعة جدران بكل منها فتحة على شكل نصف دائرة تشغل نصف الحائط تقريبًا كان يخرج من تلك القبة ضوء يمر على فتحة كل حائط من الجدران الأربعة على

الترتيب..

حينها طرقت (كايلا) الباب الخشبي الخاص بالفنار بواسطة المقبض النحاسي المثبت به، بينما وقفنا نحن مصطفين خلفها..

ما إن انفتح باب الفنار، حتى ظهرت من خلفه امرأة عجوز ترتدي رداء بلون السماء ويُغطي شعرها وشاح بلون الدماء، شعرها أشيب به لمعة سوداء وملامحها يبدو عليها العجز الشديد، كما أن ظهرها كان مصابًا بانحناءة ملحوظة..

ما أن رأت (كايلا) تلك السيدة العجوز قابعة أمامها، حتى تجمد وجهها للحظات ثم ألقت بنفسها في حضنها وبدأت بالبكاء، كأنها خزنت دموعها خصيصًا من أجل تلك اللحظة، بينما ربتت العجوز على كتفها ثم سألتها كأم تحاول معرفة سبب بكاء طفلتها الصغيرة:

- (كايلا)، ما الأمر يا عزيزتي؟

ظلت (كايلا) تبكي ولا تستطيع أن توقف دموعها التي كانت كالشلال الذي لا تنقطع مياهه، قالت

العجوز حينها:

- واضح أن لديك أشياء كثيره لتحكيها، سنستريح بالداخل قليلًا حتى تهدأي ومن بعدها تحكي لي كل شيء بالتفصيل..

تحركت (كايلا) والعجوز نحو الداخل وأشارت لنا العجوز بيديها قائلة:

- يا أولاد، تعالوا إلى الداخل.

كان الفنار من الداخل أشبه بغرفة متسعة تحمل منضدة كبيرة وحولها عدة كراسي، على اليمين توجد رفوف تحتوي على العديد من الكتب وفي الحائط المقابل للباب يوجد سلم على اليسار يرتفع لأعلى في شكل دائري، التفت لأعلى لأرى نهايته فلاحظت أنه سلم يصل بين هذا الطابق وقبة الفنار وعلى يمينه توجد مدفأة، جلسنا جميعًا على كراسي حول المنضدة الدائرية، بعدها بدأت (كايلا) في سرد ما حدث لنا سابقًا في رحلتنا:

- الحكاية بدأت حينما بدأ وقت الإمداد الخاص بهذا اليوم، كان شعب المستنقع يقف كعادته منتظرًا

أمام حقل الطاقة حتى يتمكن من الحصول على حجر أترينيوم، لكن فجأة خرجت من حقل الطاقة شحنات كهرومغناطيسية تشبه الأسهم صعقنا بها جميعًا، بعد ذلك أغمى على الجميع وحينما استعدنا الوعي، اكتشفنا أن كل شخص من شعب المستنقع أصبح يتحدث بلهجة مختلفة عن غيره، ظللنا جميعًا منبهرين مما حدث لنا ونسينا أنه بمرور الوقت سينغلق حقل الطاقة مجددًا ولن نستطيع الحصول على أحجار أترينيوم مجددًا، مما سيؤدي لهلاكنا بالمستنقع وظلامه، بالإضافة لفشلنا في البحث عن بطاريات جديدة للتنفس، لولا أن واحدًا من شعب المستنقع ركض سريعًا وقفز من فوق المسافة إلى كونها حقل الطاقة وتسلق الشجرة ليحضر حجر أترينيوم، لكنه للأسف لم يتمكن بعد حصوله على الحجر من الخروج أو القفز مجددًا فوق المسافة التي كونها حقل الطاقة حينها، فاقترب من الحقل ومرر يده بداخله وأعطى الحجر لتلك الفتاة..

أشارت حينها بسبابتها نحوي ثم استطردت:

- بعد عبورنا جميعًا أنا وبقية الفريق بأول مرحلة وقتلنا المسخ، أكملنا الرحلة نحو المحطة التالية التي كان علينا فيها تخطي تلك الوحوش العميان، ورغم ظني بأنهم ينجذبون

لنا ويشكلون خطراً بسبب رائحة دمائنا فقط، إلا أن هناك شيئًا ما حدث أعطاهم قوة وصنعت لهم طفرة في تكوينهم لم نتوقعها، فعندما هاجموا صديقتي وحولوها لواحدة منهم كنت أظن أنها ستتحول إلى وحش أعمى مثلهم، لكننا تفاجأنا بأنها تحولت لوحش مثلهم لكنه قادر على رؤيتنا، فلهذا السبب قد تمكنوا من هدم الجسر وتصويب سهامهم باتجاهنا، بالإضافة لإصابة فتاة من فريقنا، ففي أثناء حملنا لها على الجسر ضربتها تلك الوحوش برمح في ظهرها تسبب في موتها..

صمت (كايلا) تحاول منع دموعها وهي تتأمل لفترة قصيرة السيدة العجوز بصمت تام ثم قالت:

- المشكلة أن هناك مصباحًا سقط منا أثناء عبورنا للجسر..

قاطعتها أنا مستنكرة:

- نحن نمتلك مصباحًا آخر منذ بداية الرحلة فأين هي المشكلة؟

ردت العجوز بنبرة في منتهى العصبية والغضب:

- المشكلة أن هذا المصباح كان فرصتكم الوحيدة لتتمكنوا من جمع البطاريات الموجودة بتلك المنطقة..

سألت أنا مصدومة مما قالته العجوز:

- ماذا تعنين بكلامك؟

أجابت العجوز:

- لو أكملتم سيركم للأمام ووصلتم لنهاية الفنار كنتم ستجدون أنه على مسافة منه يوجد خط بلون الدماء ممتد بعرض المنطقة كلها، حتى تتمكنوا من عبوره يجب أن تبدلوا حجر الأترينيوم الذي يضئ الفنار بحجر جديد من أحجار الأترينيوم والمفترض به أن يكون حجر المصباح الذي حصلتم عليه عندما هزمتم المسخ، لأنكم لو لم تقوموا بذلك وقمتم بعبور خط الدماء وأنطفأ نور الفنار عليكم فجأة، ستتحول المنطقة كلها لغارة من غارات قوى الطبيعة، ستضرب المنطقة كلها بنيازك وصعقات رعدية وفيضانات وأعاصير، كأن المنطقة تبدأ ثورتها على عابري خط الدماء بدون التضحية بحجر من أحجار الأترينيوم ليضيئوا به الفنار، أعلمتي الآن أين تكمن المشكلة؟

قال الفتى الأول من فريقنا:

- معنى ذلك أننا حبسنا هنا ولن نتمكن من استكمال الرحلة!

قالت (كايلا) مستعيدة دفة الحديث:

- إنها ليست المشكلة الوحيدة..

سألت الفتاة الرابعة من فريقنا:

- ماذا تقصدين؟

أخذت (كايلا) نفسًا عميقًا وقالت:

- أثناء عبورنا للجسر سقط صندوقي الذي جمعت فيه بطاريات التنفس حينما قطعت الوحوش حبل الجسر..

صرخ في وجهها الفتى الخامس من فريقنا:

- الصندوق خاصتك سقط! الصندوق الذي جمعتي فيه كل البطاريات التي قمنا بجمعها بعد أول اختبار بأول مناطق المستنقع؟

قال الفتى الأول من فريقنا بنبرة استسلام واضحة:

- صندوقك كان به بطاريات عشرة صناديق، مما يعني أننا خسرنا عشرين بطارية لعشرين شخص في المستنقع..

ضرب الفتى المنضدة بقبضة يده وهو يكمل صارخًا في وجه (كايلا):

- عشرون شخص ذنبهم الوحيد أنهم وثقوا في نجاحنا بتلك الرحلة وعودتنا للمستنقع حاملين بطاريات تنفس لهم جميعًا يمكنها إنقاذهم ومنحهم فرصة كي يعيشوا ليوم آخر بالمستنقع..

قالت الفتاة الرابعة بعد أن سالت دمعة منها على خدها:

- أنتِ بالضبط أشبه بمن سجننا في سجن ملئ بالأسود وألقي المفتاح ناحية تلك الأسود ثم قال بأن الحل الوحيد هو أن نقتل تلك الأسود قبل أن تفترسنا، أنتِ السبب في كل ذلك يا (كايلا)، إنه خطأك وحدك يا قائدة..

أغمضت الفتاة ذاتها عينيها وعادت بظهرها للخلف

قائلة بنبرة ساخرة:

- الآن يجب عليكم أن تغمضوا أعينكم وتستمتعوا بلحظاتكم الأخيرة قبل تذوق لذة الموت.

أخرجت (كايلا) من جيبها الخريطة ووضعتها على المنضدة وقالت:

- تلك هي الخريطة، رسمت في كل منطقة رموز تساعدكم على فهم ما هو الخطر الذي ستواجهونه بالمناطق القادمة من الرحلة وكيف يمكنكم العبور عبر الاختبارات القادمة، فكل واحد منكم الآن لديه حرية الاختيار فيما سيقرر أن يفعل..

قامت (كايلا) من على مقعدها وقالت هي متحركة نحو الباب:

- بالنسبة لي فأنا اخترت الرحيل حتى لا أحملكم نتيجة أخطاء جديدة..

غادرت (كايلا) وأنا لا أدري ماذا يفترض أن نفعل، سأل أحد الفتيان:

- ماذا يفترض بنا أن نفعل الآن؟

ردت العجوز سريعًا:

- يفترض بكم أن تعثروا على حل وأن تكونوا واثقين تمامًا أنكم لم تأتوا للمستنقع كي تدفنوا فيه، بالإضافة بأنه يجب أن تفهموا أنه كان واردًا لأي أحد منكم أن يكون مكان (كايلا) ويُسقط صندوق بطارياته وهو يعبر ذلك الجسر، حينها كان سيكون سببًا في موت أناس بالمستنقع أيضًا، هذا غير أن ما حدث هو شيء وارد أن يحدث لأي أحد منكم في المراحل القادمة من رحلتكم بمناطق المستنقع المختلفة..

فجأة تذكرت حين منعتني (كايلا) من عبور الجسر وقالت أن علينا العبور في النهاية مع الفتاة التي أصيبت، حينها لم أجد حلًا غير أن أتبع (كايلا) وأطلب منها العودة، بعدها نحاول البحث عن أي حل لتلك المشكلة معا، لأن تفكير في حلول فردية أعتقد أنه لن يجدي نفعًا، فقد بدأنا الرحلة معًا كفريق وعلينا أن ننهيها كذلك أيًا كانت الضغوط..

خرجت سريعًا للبحث عن (كايلا) فوجدتها سارت لمسافة صغيرة بعيدًا عن الفنار، أسرعت نحوها وأنا

أناديها، التفتت لي (كايلا) ووقفنا على مسافة ليست بالبعيدة عن بعضنا ثم قالت:

- في الحقيقة لو تبعني أحد غيرك من أفراد الفريق وناداني لما كنت توقفت، فلا يمكنني تجاهل أنه بعدما قررتِ الرحيل وحدك في المستنقع للبحث عن صندوق بطاريات تنفس لكِ ولصديقك الذي منحك حجر الأترينيوم الوحيد الذي نمتلكه الآن، عدلتي عن قرارك لإنقاذ شعب المستنقع كله، فأظن أن كل ما فعلته يستحق أن أقف لسماعك..

قلت أنا بنبرة شخص يؤنب بنفسه بعد شعوره بالذنب:

- في الحقيقة قد اكتشفت أنني أخطأت مثلك بالضبط حينما سقط مني المصباح الثاني بالبِركة وحينما لم أجد أحدًا يوجه لي أي أتهام أو لوم أو أتهمني أنني السبب فيما حدث تعجبت جدًا واكتشفت أنك لو قررتِ الرحيل فيجب عليّ أن أرحل برفقتك، لكني وجدتني أقول لنفسي أننا بدأنا تلك الرحلة معًا ونحن نعلم جيدًا أنه وارد لنا أن نفشل فيها..

قاطعتني (كايلا) باستنكار:

- وكل ما حدث لنا، ألا يعتبر فشل بالنسبة لكِ!

صمت للحظة لأفكر في رد مناسب يمكنني أن أقنعها به فبعد تفكير قلت:

- فشل، لكننا نستطيع رغم ذلك أن نكمل.

أخذت (كايلا) نفسًا عميقًا زفرت بعده أنفاسًا امتزجت بالانكسار ثم قالت:

- أنا لم أقل أننا لا نستطيع أن نكمل الرحلة، لكننا لو قررنا المواصلة وارد أن نفشل وأنا لا أقدر على تحمل مسئولية أي فشل آخر.

تأملتها بعد أن أغلقت كل أبواب إقناعها، فقلت لها مستسلمة:

- أنتِ حرة في الرحيل أو العودة، لكنك لو أردتِ حقًا أن تردي لي الجميل حينما قررتُ تغيير رأيي وإنقاذ شعب المستنقع، فعليكِ العودة كي نفكر جميعًا في حل لتلك الأزمة يا (كايلا)..

تأملتني لفترة قصيرة وهي تفكر، مترددة بين الرحيل أو العودة وتحمل مسئولية أي فشل آخر، لكنها بعد فترة

تفكير قالت:

- سأعود، لكن عندي شرط يجب أن توافقي عليه أولًا..

سألت بتلقائية مع أنني كنت مقررة أن أوافق على كل ما ستقوله:

- أي شرط؟

لتقول بلهجة صارمة لا جدال بعدها:

- لو فكرنا وعثرنا على حل ما، فأنا من سأنفذه وحدي متحملة كل عواقبه.

لمحت في عينيها نظرة إصرار وأمل، نظرة كمتهمة في المحكمة تحاول إثبات براءتها وأنها غير مذنبة أو مخطئة فيما حدث، فقلت دون تردد:

- موافقة.

ابتسمت (كايلا) حينها ابتسامة تطرد فيها بعض الإحساس بالذنب الذي لم يفارق ملامحها منذ وفاة الفتاة، فحينما رأيت تلك الابتسامة فردت ذراعي

تلقائيًا كرسالة لها أقول فيها أنني أحتاج تلك اللحظة لأن أطرد الإحساس بالذنب وأنتِ بجواري وبين أحضاني، فأسرعت وارتمت في حضني في لحظة حاولنا فيها استعادة كل قوانا كي نستطيع بها إعادة توحيد الفريق مرة أخرى لنستعيد الأمل والإصرار لاستكمال تلك الرحلة وإنقاذ أكبر عدد من شعب المستنقع، التفت لها بعد ذلك وقلت:

- حان وقت العودة لباقي أفراد الفريق كي نفكر سويًا في حل ما..

قاطعتني (كايلا) قائلة بطريقتها القيادية:

- لا، نحن سنظل هنا حتى نعثر على حل ما، بعد ذلك سنعود للفنار.

أرادت (كايلا) حينها أن تبعث لهم أملًا وبشرى سارة أثناء عودتها أو أملًا ما لتخطي تلك الأزمة الراهنة، فكرت أنا للحظات في حل ثم قلت مقترحة:

- تقريبًا الحل الوحيد هو أن ينزل أحد منا لإحضار المصباح الثاني من تلك البركة التي سقط فيها، لكن كيف يمكننا فعل ذلك؟

صمتت (كايلا) لفترة تفكر في عواقب اقتراحي ثم قالت:

- الجسر، يمكننا النزول للبركة مجددًا عن طريق الجسر..

* * * *

عدنا مجددًا أنا و(كايلا) للفنار بعد اتفاقنا على خطة استعادة المصباح، اجتمع الجميع حول المنضدة الدائرية ثم بدأت (كايلا) بالحديث قائلة:

- لقد عثرنا على حل نستطيع من خلاله أن نستعيد المصباح الذي سقط في البركة..

رد الفتى الثاني من فريقنا:

- ما هو؟

قالت (كايلا) بثقة:

- سأقوم بالنزول لبركة المياه عن طريق الجسر، سأبحث حينها عن المصباح وأنتزع منه حجر الأترينيوم..

قاطعتها الفتاه الرابعة من فريقنا بطريقتها الساخرة:

- واضح أنكِ قد نسيتِ أن تلك وحوش العميان يمكنها رؤيتنا ومهاجمتنا مجددًا بمساعدة صديقتك..

ردت (كايلا) بنفس ثقتها ونبرتها القيادية:

- بالطبع لم أنسَ، لأجل هذا أنا متحملة لعواقب تلك المخاطرة بالكامل، بالإضافة لأنني من سأهبط للبركة بحثًا عن المصباح الثاني.

تأمل الجميع (كايلا) بعيونهم ثم نظروا إلى بعضهم البعض، بعدها أصابتهم نوبة من الصمت فسرت سببها بأنهم كانوا يسألون أنفسهم أن كانت فكرة (كايلا) ستنجح أم لا

قاطعت (كايلا) لحظات تفكيرهم قائلة:

- لا يحتاج أحد لأن يأتي برفقتي..

قاطعتها أنا سريعًا دون تردد:

- أنا سأرافقكِ يا (كايلا).

بعد فترة قالت الفتاتان في صوت واحد:

- سآتي معكِ.

نظر الفتى الأول بعيونه نحو الكل وقال:

- نحن فريق، يجب علينا أن نبقى معًا دائمًا..

قام الجميع من جلستهم معلنين انضمامهم لكايلا على أمل أن ينجح الأمر ونستطيع استعادة المصباح الثاني، حملت مصباحي وسرنا جميعًا خلفها متجهين نحو الجسر..

* * * *

ما إن وصلنا جميعًا نحو الجسر، حتى أمسكت (كايلا) بالحبل المتدلي عنه وبدأت بالنزول متشبثة به، فبعد فترة هادئة وهي تتدلى بجسدها بلا وجود لأي علامات تنبئ بهجوم جديد من تلك الوحوش العميان، وصلت (كايلا) في النهاية إلى تلك البركة والتي كان ارتفاع الماء فيها يصل إلى ركبتيها، سارت عدت خطوات تحاول البحث عن المكان الذي جُرف إليه على المصباح الآخر، بعد فترة من سير (كايلا) وبحثها في ثنايات البركة عثرت عليه على بعد خطوات منها، أمسكته ولوحت به لنا في الهواء لتعطينا إشارة على أنها نجحت

بالعثور عليه أخيرًا..

عادت (كايلا) بعد ذلك لتسلق الجسر وبدأت بالصعود وعيوننا تتأملها منتظرة وصولها للقمة لنكمل رحلتنا في تلك المنطقة ونجمع العشر صناديق الجديدة..

لكن للأسف أتت الرياح بما لا تشتهيه السفن، ففجأة ضُرب رمح منتصف الجسر في منطقة أعلى من رأس (كايلا) بمسافة تعادل طول زراع على حد وصفي، التفتنا جميعًا نحو الجانب الآخر من الجسر فوجدنا تلك الوحوش العميان مجتمعة وتقف مصطفة أمامنا، كان أحدهم يعد قوسه ليطلق واحدًا من سهامه وعندها صرخت الفتاة الثالثة من فريقنا محذرة:

- سهام، اختبئوا!!!!.

انبطحنا جميعًا على الأرض ظانين أن السهم القادم سيكون باتجاه أحد منا ولكنه للأسف كان باتجاه الجسر فقد قطع الناحية اليمنى من حبل الجسر الذي يربطه بقطعة خشب مثبته في الأرض، كانت (كايلا) متشبثة بحبل بالجهة اليسرى من الجسر، كان الجسر حينها يتمايل بها يمينًا ويسارًا، فأسرعت بنزع حجر

الأترينيوم من المصباح ثم قالت صارخة:

- اسمعوني، سأُلقي لكم حجر الأترينيوم الآن..

ألقت بالحجر فأمسك به أحد الفتيان من فريقنا، صرخت (كايلا) بعدها:

- اركضوا أنتم وأتركوني، الجسر سيسقط، لا تسمحوا لأحد آخر منكم أن يُصاب بأي من سهامهم..

أسرع اثنان من فتيان فريقنا ناحية الجهة اليسرى من الجسر وقاموا بالإمساك بالحبل المتشبثة به (كايلا) في محاولة لتثبيته كي تتمكن (كايلا) من التشبث به جيدًا والصعود من خلاله نحو القمة، فبدأت (كايلا) بالصعود بالفعل ولكن حدث شيء قد صدمنا جميعًا، أمسك أحد هؤلاء الوحوش العميان برمح وقام بتصويبه مباشرة نحو ظهر (كايلا)، لم ندرِ لحظتها ما ينبغي علينا أن نفعله، تصلبت أجسادنا وعقولنا فقدت قدرتها على الاستيعاب أو التفكير..

حينها تمنيت أن يحتوي هذا المستنقع -في أي من بقاعه- على مصل يجعل متجرعة مدمنا غارقًا في اللا شعور، نصل قادرًا على اقتلاع شريانك المسؤول عن

توليد المشاعر، بوق يسكت صوته كل شيء حولك كي يتمكن عقلك المشوش من استيعاب صدماته أو ربما عباءة تجمع في كنفها إشلاء روحك المبعثرة..

مرت لحظة سقوط (كايلا) أمام أعيننا بنفس بطء سرعة غرق رائد فضاء في خضم بحر الجاذبية، لحظة كان وقعها سمًا رفض أن يمهلنا الوقت لمداوته، لحظة سيظل ألمها يضربنا بسياطه كلما حاولت مخيلاتنا استيعابها أو ذاكراتنا تخطيها..

بعد دنوها لسطح البركة، تأملناها بالأسفل بملامح متيبّسة إثر صدمة ما رأيناه، حيث كانت (كايلا) مستلقية كجثة في بركة امتزجت فبها دمائها بالمياه ككيان واحد، أي بمعنى أدق قد كانت أشبه بفريسة تم اصطيادها بنجاح بواسطة رمح مطعون خلف ظهرها، أغفلت عقولنا في تلك اللحظة عن كل شيء، الوحوش وحجر الأترينيوم الذي استعدناه وشعب المستنقع الذي يجدر بنا انقاذه، إضافة لامتلاكنا فرصة لعبور تلك المرحلة وجمع بقية صناديق بطاريات التنفس، نسينا كل شيء ولم تبصر عيوننا غير دماء (كايلا) المُراقة فقط..

- انظروا سريعًا لما يحدث عند الجهة المقابلة.

قاطعت تلك الجملة من لسان الفتى الخامس من فريقنا شرودنا، التفت الجميع ليشاهد ما يحدث على الجهة المقابلة، كانت الوحوش تحمل على كتفها شجرة ضخمة وتقوم بسحبها بهدف إسقاطها للأسفل نحو البركة، لم تكن شجرة واحدة بل كانت مجموعة أشجار تم ربطها ببعضها بواسطة مجموعة حبال، كان طولها يصل إلى أضعاف طول الجسر حتى يمكن أن تصل للأسفل..

لم يكن هذا ما لفت نظرنا بل شيء آخر حدث بعد إسقاطهم لتلك الأشجار لتصل للبركة، حيث تحرك أحد تلك الوحوش إلى أسفل سيرًا على تلك الأشجار حتى وصل ل(كايلا) بالأسفل، نزع الرمح من ظهرها ثم سقط على ركبتيه ورفع رأسها ناحية فمه عن طريق شده لشعرها حتى أصبحت رقبتها أمام فمه مباشرة..

قام بتحويلها إلى وحش مثلهم فقد أصبحت بشرتها ناصعة البياض وتلون شعرها باللون الفضي إضافة لأن مُقلات عيونها صارت غير موجودة..

أعادت شرايين الحياة الخاصة ب (كايلا) ضخ الدماء

في عروقها، مانحة إياها لجام التحكم بجسدها من جديد، لكنها رغم ذلك استفاقت كوحش..

وحش سيقوم بإبادتنا واحدًا تلو الآخر ثم تحويلنا إلى وحوش مثلهم عبارة عن آلة إبادة ستبيد وتهلك كل بشري في هذا المستنقع..

أمسكت (كايلا) بيد الوحش ذاته وتحركا فوق الجسر الشجري متجهين بخطى حذرة نحو الجانب الذي تقبع عنده زمرة تلك الوحوش..

ما إن وصلت (كايلا) والوحش لسطح الحافة المقابلة، حتى اصطفت الوحوش جميعًا وأخذوا في تأملنا للحظات لم يطل عمرها، فسرعان ما انطلقت صرخة مدوية من قبل صديقة (كايلا) والتي ما أن قامت برفع يديها لأعلي، حتى أمطرنا وابلًا من السهام والرماح من جانب كتيبة تلك الوحوش العميان..

انبطح الجميع زاحفين كالأفاعي نحو -بحرنا الآمن- الفنار، بعقول أدركت بأن ارتباطنا ب(كايلا) صار كبرزخ مائي بذكرياتنا، حيث تمثلت مياهه المالحة في

الفترة التي صارت فيها (كايلا) أحد تلك الوحوش، بينما مثلت الفترة التي كانت فيها قائدة شعب المستنقع وربان أحدي رحلات إنقاذه مياه البرزخ العذبة، فمهما التهمت إيمانًا من ثوانٍ سيظل هذا حدث ذكرى منشطرة إلى مشهدين لن يتحدوا مطلقًا فيما بينهما، فمهما تُنشب (كايلا) من خراب ودمار بهذا المستنقع لن تتذكر عقولنا غير ذكرى لأعمالها البطولية التي قدمتها في سبيل شعب المستنقع المخضبة بلحظة سقوطها، سقوط القائدة التي لم تهب ذرة في ملامحها أي من أهوال هذا المستنقع قط في إغماءة الموت التي لا تستثني مشنقتها رقبة أحد..

* * * *

الإغماءة الثامنة

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال الثامن في رحلتنا:

- هل لغضب الطبيعية سلطان يمكّنها من إبادة البشرية يومًا؟

هل تسمعني!

نعم، إنه ذلك الصوت، صوت همسي في أذني وأنا أصرخ كما لم يصرخ أحد من قبل..

أُناجيني واتسأل، لماذا لا أجيب بالرغم من سماعي لهذا الصوت؟

أصمت لحظات ثم أعاود صراخي مجددًا..

أصرخ إلى أن تجرح أحبالي الصوتية وتقسم أن أذناي قد سمعتني ولكني أظل مكاني..

أصمت ولا أجيب..

أين أنا في خضم نفسي؟

لا أعلم، لكنني رحلت هاربًا..

رحلت هاربًا بعيدًا عن كل جديد مؤذٍ، وكل تكرار

بنهايات معروفة

أعلم أني هذا الطفل الصغير الذي يصرخ مستنجدًا بي ولكنني أخاف..

أخاف أن يضربني الهواء في أذني وأسمع طنينه الذي يعذبني كلسعات سياط جلدي مُنسل..

هربت من عذاب هذا العالم وضوضاءه كي لا أواجهه..

لذا عليّ الرحيل سريعًا..

سأرقد!

نعم.. سأرقد هربًا كما رقدت سابقًا مرارًا

ما هي اللا نهاية يا صديقي؟

إنها كل ما بدايته هي نهايته ويتركك بداخله حائر تركض..

تركض ولا تعلم هل ركضك سيوصلك إلى البداية مجددًا أم إلى النهاية التي تنتظرها..

لكني أهرب عبثًا يا صديقي.. ما رأيك.. أترافقني!

أترافقني في رحلة إنقاذي؟

دم يسري لجسدي العاجز الذي فقدت تحكمي فيه فجأة..

هل دومًا ما نكون ممسكين بلجام أجسادنا في أيادينا؟

أصوات تتخلل لأذني كرسالة أنني ما زالت على قيد الحياة

أصوات الهمهمة هي الأصوات الوحيدة التي استطعت إخراجها من فمي

لا أذكر شيئًا مما حدث بل لا أذكر شيئًا إطلاقًا..

ماذا حدث يا تُرى؟

هل تلك هي بداية استعداداتي للنهاية بالمستنقع!

عيوني بدأت تتفتح، حينما امتلكت قوة لفتحها كلها أبصرت لوحة مظلمة يضيئها نور خافت أتى من مصدر مرتفع عني لعدة أمتار ويزينها تراب المكان كلون آخر يمتزج مع لون سوادها..

همهمات وهمهمات كالزئير، زئير أسد حرم من الطعام لمدة شهور

بعد فترة قصيرة شعرت بالدماء تعود لعروقي، ما زال الخدر يجعلني عاجزًا كالفريسة التي تقاوم عجزها عن الهروب بسبب شباك صيادها، بالكاد سمحت قواي أن أحرك رأسي يمينًا حتى يعتدل مرمي بصري، وجدت أمامي على مسافة بعيدة حقل الطاقة، تأملته عيناي للحظات، تذكرت ما حدث وقفزي فوق الحقل لجلب حجر أترينيوم من الشجرة، لكن أين الفتاة التي أعطيتها حجر الأترينيوم؟

أين الفتاة وسط كل هؤلاء الراقدين أمامي من شعب

المستنقع؟

الجميع مُمدد على الأرض بعيون مغلقة وبلا حراك..

رأسي تتحرك بصعوبة يمينًا ويسارًا أملًا في إيجاد أي شخص لا تزال الدماء تسير في عروقه، لكن الكل كان بنفس تلك الحالة..

بعدها عاد لي الشعور بأطرافي، حملت جسدي على يدي اليمنى محاولًا الوقوف، لكنني سقطت بعدها بعد أن خارت قواي..

- أستسلم..

هذا ما قاله عقلي حينها، استسلم واستمتع بنشوة الموت طالما لا تستطيع أن تقاوم وتعيش، لكني تحاملت، وقفت بيدي وقمت برفع جسدي وفردت ظهري محاولًا تفادي جاذبية الألم التي تحاول جذبي لأسقط مجددًا..

بعد أن فردت ظهري وثبت كفي وقدمي على الأرض، صرخت بهمهمات محاولًا الوقوف على قدمي مرارًا وتكرارًا أحاول وأفشل..

لا جدوى!

قدماي بلا قوة تتحمل ثقل جسدي..

كنت أحتاج لشيء أستند عليه، تأملت المكان فلم أجد غير شجرة أحجار الأترينيوم العملاقة من خلفي، زحفت بجسدي نحوها وأسندت ظهري على الشجرة وأمسكت غصنًا لها بيداي محاولًا رفع نفسي، شعرت ببعض الألم في البداية مع مزيد من الهمهمات التي تحولت بعد عدة محاولات إلى صرخة مقاومة أحاول فيها استعادت قواي، رفعت نفسي ولا يزال ظهري مستندًا على الشجرة..

الكل موتى!

لم تريعني الفتاة التي أعطيتها الحجر من بينهم..

هل ماتت؟

صرخ عقلي قائلًا أنها ماتت مثلهم لكن الحقل يجعلك لا تراها..

صرخ قلبي قائلًا أنها لن تموت مطلقًا، منحتها حجر أترينيوم كبطاقة حياة ليوم جديد فيستحيل ألا تعود مجددًا لتنقذني..

ماذا أصاب الجميع؟

أحيانًا طاقة رفضك لتصديق حقيقة صادمة (على الرغم من عدم وجود تفسير آخر) يجعلك تأبى أن تفسر تلك النكبة، لتخلق بعد ذلك من العدم أملًا ما بأن تفسيرك المناقض تمامًا للتفسير المنطقي الوحيد هو التفسير الملائم الذي يجدر بعقلك الاقتناع به في ذلك الحين..

أحجار الأترينيوم تضئ تلك الشجرة العملاقة، حجر واحد هو فرصة جديدة ليوم آخر في هذا المستقبل الذي لا يحمل أي معالم، لذلك قررت دون تردد الصعود للشجرة لأجلب منها أحد الأحجار..

أمسكت بفروع الشجرة وبدأت التسلق..

ستتألم!

كواني الألم.. ليس ألم جسدي.. بل ألم المقاومة..

قدم فقدم أرفعها مع صراخ بهمهمات، غصن فغصن أمسكه خوفًا من السقوط..

وصلت عاليا حيث الأوراق المزينة بأحجار الأترينيوم، مددت يميني لأحمل الحجر وبعدما أمسكته شعرت باختلال في توازني تابعه فقدان مجدد في سيطرتي على أطرافي، قررت النزول سريعًا دون تردد، خطوة تلو خطوة، قدم تلو قدم..

أبكيت!

لا، لأنني علمت حينها ما هو الفرق بين أن تبكي وبين أن تدمع عيناك..

فالبكاء صرخة تنهديه لجسدك حينما يفقد قدرته على تحمل عذابًا آخر أما الدمع فهو شكوى عيونك حين تشعر أنها تريد أن تتجرع معك نفس العذاب

أسقطت!

سقط جسدي، لقد سقط وحده حينما انزلقت قدمي عندما انكسر الغصن الذي كان يحملها..

بين يدي حجر الأترينيوم وجسدي ساقط مُمدد بجوار الشجرة العملاقة

رفعت عيني بما تبقى لي من قوة لألقى النظرة الأخيرة على شعب المستنقع، كان جميعهم مثلي، مُمددًا وساقطًا على الأرض..

* * * *

ألم ويأس أصابنا جمعينا في طريقنا نحو ملاذنا الأخير (الفنار)..

نجري، فنهرول، فنسقط، فنرفع بعضنا خوفًا من أن نسقط في كثبان الهلاك الرملية التي امتلأت بها صحراؤنا، صحراؤنا التي كانت أرض خضراء قبل أن تهجرها (كايلا)، الأمل الذي كان ينير طريقنا في

رحلة استكشافية مجهولة العواقب بكهف الظلام الحالك المسمى بالمستنقع..

كنت حينها ألوم نفسي متسائلة:

لماذا أصبحت وحشًا ولماذا أكملت الرحلة، لماذا تحملت مسئولية القرار وحدها، لماذا سقطت ولماذا ماتت، لماذا حدث كل هذا؟

أيعاتب جندي قنبلة انفجرت فيه بالخطأ رغم حمله لها ليفجر بها أي شيء تقع عيونه عليه!

كلنا أبطال حكاية الحياة، معطياتنا هي أننا خلقنا لنعيش داخل سيناريو تتطور أحداثه بواسطة قرارتنا مع بعض إضافات الحياة التي تضيف نكهة الصراع بالإضافة لبعض من الإبداع الفني الذي تضفيه مشاعرنا..

* * * *

الجميع كان ساقطًا في إغماءة عدا فتاة لمحتها عيني بعد

السقوط..

فتاة صغيرة لكني لم أستطع تمييز ملامحها بدقة بسبب بعدنا عن بعضنا فقد كنت عند شجرة الأحجار وهي تقف أمام حقل الطاقة، تتأملني بتلك الملامح الطفولية البريئة التي تجبرك أن تتعاطف معها حتى لو كانت ملامح لوجه فتاة مرتكز على جسد وحش يهدد بفناء المستنقع..

أتناديك!

نادتني بعيوني البريئة الحائرة وسط هؤلاء النيام، تظن أنني مفتاح خروجها الوحيد من هذا السجن وتتمني لو أنني أستطيع إنقاذها

لكنني محبوس بقفص حقل الطاقة وهي بالخارج في حقل ألغام..

خطوتها القادمة إما للحياة أو للموت..

ما الفارق؟

في ذلك المستنقع ربما الموت هو أول خطوة في طريق الراحة، الفارق هو أن كل يوم جديد نعيشه في ذلك المستنقع يزيد من حظوظ الموت في إمكانية هلاكنا..

لماذا لا ينير ضوء الأمل إلا في وقت نكون مقيدين فيه في سجن العتمة؟

بشجاعة محارب منزوع السلاح ضد أعدائه بلا خوف مع القليل من الأمل، لكن هذا الأمل ربما يشفيها، فقررت التحرك نحوها لأخبرها أنني أستطيع مساعدتك، فقط يفتح هذا الحقل ونذهب في رحلة لجلب بطاريات تنفس أو ربما للبحث عن فتاة الغرفة السوداء التي أعطيتها حجر الأترينيوم..

زحفت على بطني متجها نحوها، قدماي تيبسًا ولكنني ظللت زاحفًا مقاومًا في محاولة فاشلة للوصول لها لمنحها الأمل الذي تفتقده..

ما إن وصلت لها وأصبح ما يحول بيننا هو حقل الطاقة فقط، اكتشفت أنها لا تحتاج إلى أمل بل تحتاج إجابة لسؤال يحيرها..

أشارت بسبابتها يميناً ويسارا نحو كل من كان ساقطًا في المستنقع في إغماءة ثم ضمت أصابعها مطلقة إبهامها الذي مر على رقبتها في سؤال بالإشارات تتساءل فيه:

- هل سنموت جميعًا؟

شعرتُ لحظتها بسم الخدر يجتاح جسدي كله، سم مفعوله لحظي سيؤدي إلى هلاكي مثل باقي أناس المستنقع الساقطين في إغماءة ربما لا توجد استفاقة بعدها، لكن برغم ذلك كان يجب أن أجيبها..

بداية إجابتي كان محاولة للإشارة نحو الشجرة لأخبرها أنه طالما تلك الشجرة العملاقة موجودة وتقوم بإنتاج أحجار أترينيوم لشعب المستنقع فربما هناك أمل في أن نجد بطاريات تنفس جديدة تمكن من الاستمرار على قيد الحياة ليوم آخر..

قررت نسيان الألم وعصيانه، ثنيت ركبتي وفردت ظهري وضممت أصابعي مطلقًا إبهامي، أشرت للخلف نحو الشجرة العملاقة وفي أثناء إشارتي شعرت برعشة في يداي ثم تشنج، تشنج استشرى بعد ذلك في جسدي

كله، سقطت أرضًا وجسدي يهتز بحركات عنفوانيه..

شعرت كأن أحدًا غيري هو من يقوم بالتحكم في حركات جسدي، وسط حركات واهتزازات جسدي العشوائية وقعت عيني بالصدفة على الفتاة..

نزعت هي مني قدرتي على التحكم بجسدي ونزعت أنا من تلك الفتاة الأمل التي كانت تنتظره، لم ترحل يائسة فقد قررت أن تترك لي رسالة ما كانت دمعة أطلقت من عينيها زفرت معها كل ما فيها من ألم ويأس..

* * * *

بلغنا الفنار أخيرًا..

أبصرتنا السيدة العجوز من قبة الفنار بالأعلى فنزلت إلينا سريعًا وسؤال واحد كان عقلها يردده حينها:

- ما الذي حدث لكم وأين هي (كايلا)؟

رد الفتى الثاني من فريقنا باستسلام:

- ماتت (كايلا)..

قاطعه الفتى الخامس من فريقنا معترضًا:

- لا، (كايلا) لا تزال حية، لكنها تحولت لأحد تلك الوحوش وهي تجلب حجر الأترينيوم من البركة، لكن هذا ليس كل ما حدث..

قاطعته الفتاة الثالثة من فريقنا مكملة:

- ما حدث باختصار أننا حصلنا على حجر الأيترنيوم وتحولت (كايلا) لأحد تلك الوحوش، غالبًا تلك الوحوش تتحرك خلفنا الآن إلى هنا بعد أن قاموا بقطعٍ العديد من الأشجار وربطها ببعضها صانعين بذلك جسرًا يعبرون من خلاله نحو الفنار ليقوموا بتحويلنا إلى وحوش مثلهم، خصوصًا وأن (كايلا) وصديقتها وحوش يمكنها الرؤية والوصول لمكاننا بسهولة ليصوبوا سهامهم ورماحهم للفتك بنا، فيجب علينا التحرك سريعًا، فلو انتظرنا أكثر من ذلك سننضم جميعًا لجيش هؤلاء الوحوش العميان..

أعطى الفتى الأول من فريقنا حجر الأترينيوم الذي حصلنا عليه من (كايلا) حينما ألقته لنا للعجوز ثم قال:

- أنا أرى أن الحل هو أن تضيئي الفنار بحجر الأترينيوم ونحن سنذهب سريعًا لجمع بطاريات التنفس من الصناديق، بعد أن ننتهي ونصل للناحية المقابلة من للجسر التي تعتبر بداية محطتنا الجديدة برحلتنا سنعطيكِ إشارة حين نرفع المصباح ونلوح بضوئه، حينها ستنزعين حجر الأترينيوم من الفنار لتواجه تلك الوحوش قوى الطبيعة بتلك المنطقة حينما تعبر خط الدماء ونحن بدورنا فسنكون قد جمعنا البطاريات وعبرنا نحو منطقتنا الجديدة، بذلك نكون قد عطلنا الوحوش وأبعدناهم عنا أن لم يكن قد دمرناهم نهائيًا من المستنقع..

برقت العجوز بعيونها مُمررة بصرها علينا جميعًا، ثم هذت رأسها نفيًا واستنكارًا، لتقول بعد ذلك بنبرة تحمل بعض التأنيب والعنف:

- يستحيل أن أوافق على تلك الفكرة وأعرض (كايلا) لخطر مثل هذا، كما أنني واثقة بأن (كايلا) لو كانت مكان أيًا منكم كانت سترفض هذا الجنون الذي تريدون القيام به..

قالت الفتاه الرابعة من فريقنا:

- لكنها قالت أنها متحملة لمسئولية هذا القرار كاملًا قبل أن نقرر أن نذهب جميعًا للبحث عن حجر الأترينيوم الخاص بالمصباح الثاني..

قال الفتى الأول من فريقنا مكملًا:

- بالإضافة لأن (كايلا) ستظل على هذا الوضع بكونها وحشًا وستظل تحول أناس آخرين من سكان المستنقع لأنه لا يوجد علاج نستطيع أن ننقذ به هؤلاء البشر التي يتم تحويلهم إلى وحوش عميان!

صمت الجميع مفكرين في التراجع في قرارهم لكنني كنت أرى أن التضحية هي ملاذنا الوحيد الآن، فقلت أنا مخاطبة الجميع:

- نحن لن نضحي ب(كايلا) فقط، فتلك الوحوش ما هي إلا بشر من شعب المستنقع كانوا يبحثون عن صناديق بطاريات تنفس ليعيشوا يومًا جديدًا بالمستنقع قبل أن يتم تحويلهم لتلك الوحوش، لكننا الآن مجبرين على التضحية حتى لا نصبح نحن الضحايا، فبموتنا نكون قد ضحينا بفرصتنا في إنقاذ شعب المستنقع الذي يعتبر عدده أضعافًا لتلك الوحوش ويضع كل آماله علينا في أن نعود بعدد كافٍ من بطاريات التنفس يكفي لإنقاذ

شعب المستنقع أجمع..

اقتربت العجوز نحوي عدة خطوات، عيوني لا ترى غير وجهها الغاضب الرافض وهو يعاندنا صائحًا بحنق:

- أنا لن أضحي ب (كايلا)، أتفهمين! لن أضحي بها..

مهما جادلت وقدمت تبريرات مقنعة في النهاية هي صاحبة القرار، فهي من ستصعد لأعلى وتضئ لنا الفنار بحجر الأترينيوم، لكنها لم تعلم أنها بلحظة اقترابها مني وتأملي لها عن قرب مع بعض التدقيق، اكتشفت بطاقة ربما تجعلني أربح هذا الجدال وأحول دفة القرار النهائي لمرسانا، فحين تأملتها لم أجدها تحمل جهاز تنفس، أي أنها لا تحتاج لتغيير بطارية التنفس في كل يوم مثلنا، فأسرعت بطرح هذا السؤال دون تفكير:

- كيف لك أن تتنفسي وليس لديك جهاز تنفس مثلنا؟

عادت عدة خطوات للخلف ممسكة بصدرها بنظر للأسفل برأس منكسة، بعد فترة قصيرة أجابت:

- هذا السؤال لا يفترض أن تعرفي إجابته الآن..

أمسكتها بقبضة يدي وقلت لها بلهجة تهديد:

- لا يوجد وقت كي نتجادل في قرار يخص مصيرنا ومصير بقية شعب المستنقع، إما أن تنفذي ما أخبرتك به أو تجيبيني على سؤالي الآن..

شغف تلك الإجابة كان سيشفي العديد من تساؤلاتي منذ بداية استيقاظي في المستنقع أن لم يكن كلها، لكنني في تلك اللحظة لم أكن أحتاج تلك الإجابة بقدر احتياجي لأن تصعد العجوز وتنفذ ما قلنا لها عليه..

ردت العجوز بمنتهى الضعف الممزوج ببعض الثبات:

- أنا لن أجيبك، لأنه لا يجب أن أجيبك الآن على سؤال لم يحن وقت إجابته بعد، بالإضافة إلى أنه يستحيل أن أنفذ ما تطلبينه وأقوم بقتل (كايلا) وبقية الوحوش المتحولين من شعب المستنقع بدم بارد..

قاطعتها الفتاة الثالثة قائلة:

- هناك حل سيريحنا جميعًا..

التفت الجميع لها بأصغاء تام راجيين أن يكون حل

ينقذنا وتوافق عليه العجوز قبل أن يداهمنا الوقت ونجد الوحوش تحاوطنا، فقالت مكملة:

- أنرى الفنار ولا تطفئيه، بعد أن نقوم بجمع البطاريات سنقوم بقطع حبال الجسر بعد أن نعبر من خلاله لمحطتنا الجديدة، فبتلك الطريقة لن تأتي تلك الوحوش خلفنا مجددًا، بالإضافة لأننا نعرض (كايلا) وبقية تلك الوحوش للأذى طالما لن ينطفئ الفنار..

وافق الجميع على هذا الحل حتى العجوز، كان أنسب حل نظرًا لضيق الوقت وعدم سماحه بأي مجادلات أخرى خوفًا من أن تحاوطنا الوحوش في محاولة لأخذ خطوة تسبقهم كي نتمكن من جمع البطاريات وربح فرصة لعبور الجسر قبل أن تلاحقنا تلك الوحوش، أسرعت العجوز نحو الفنار مغلقة خلفها بابه السفلي الذي يعتبر مدخلًا للفنار كي تقوم بحمايته من خطر إتلافه بواسطة تلك الوحوش، أما نحن فتحركنا سريعًا نحو الخط الضخم المرسوم بلون الدم ووقفنا على بعد عدة خطوات منه، مضيئين لمصباحنا منتظرين أن تقوم العجوز بإضاءة الفنار..

* * * *

وصلنا بعد فترة من السير نحو الخط الضخم المرسوم بالدماء، كانت العجوز قد أنارت المكان عن طريق إضاءة الفنار فقمت أنا بإطفاء المصباح وتحركنا سريعًا إلى الأمام لداخل تلك المنطقة، لم يكن ضوء الفنار يغطي المنطقة بأكملها بل كان يضئ بقعة دائرية ضخمة من المكان تنتقل من بقعة لأخرى من بقاع تلك المنطقة في كل ثانية لتغطية بقاع المنطقة بأكملها..

بالطبع كان علينا أن نظل تحت تلك البقعة التي يضيئها الفنار لنا، كانت الصناديق على مسافات متباعدة وهناك بعض منها كان يقع في البقاع المظلمة، فكان على بعض منا الانتظار حتى تتحرك البقعة المضيئة للفنار لتضئ بقعة جديدة تحمل صندوق بطاريات تنفس أو أكثر..

هذا ما قام بتفريقنا وتباعد المسافات بيننا، لكننا انتهينا سريعا وكان كل من يقوم بجمع البطاريات في صندوقه يقترب مني منتظر الباقين حتى يجمعوا بقية البطاريات، اجتمع حولي ستة منهم تحت إضاءة مصباحي وتحرك الفتى الأخير تحت البقعة المضيئة للفنار ليجلب بطاريات الصندوق الأخير، أنتهي الفتى من جمعها ثم تحرك عائدا نحونا، لكن فجأة أظلم المكان كله

واختفت بقعة الفنار كما أصبحت عيوننا لا تبصر غير السواد الحالك بالمكان كله، سأل الفتى الخامس بتلقائية:

- ما الذي حدث؟

رد عليه الفتى الثاني قائلًا:

- يبدو أن هناك مشكلة في إضاءة الفنار..

قلت أنا بنبرة اتهام ممزوجة بغضب:

- بل واضح أن العجوز قررت أن تنتقم منا بسبب ما حدث ل(كايلا)، المهم الآن أنه يجب أن نتحرك بسرعة ونصل للجسر قبل أن تأتي تلك الوحوش خلفنا..

قالت الفتاة الرابعة من فريقنا بنبرته الساخرة:

- تقصدين قبل أن نموت هنا بسبب نيزك أو إعصار أو أي شكل من أشكال غضب قوى الطبيعة التي ذكرتها لنا العجوز..

لقد نسيت، نسيت ذلك الخطر والموت المحتم الذي حذرتنا منه العجوز قائلة بأن من يعبر خط الدماء دون الاحتماء بإضاءة الفنار سيهلك بسبب غضب قوي

الطبيعة، أسرعت بإضاءة المصباح ورفعت يدي التي تحمله عاليا حتى يستطيع الفتى الأخير رؤيتنا ورؤية الطريق في ظل لعتمة التي حلت على المكان، بحثت عنه بعيني فوجدته على مسافة ليس بالبعيدة عنا، هو أيضًا رأي ضوء المصباح فهرول نحونا، لكنه قبل وصوله سقط مغمى عليه نتيجة صعقة كهربية، ركضنا نحوه سريعًا بعد أن شاهدنا ما حل به، التف الكل في حلقة حوله متكئين ركبهم، محاولين إفاقته لكن الصعقة كانت بضرر أكبر بكثير مما تخيلناه، وضعت الفتاة الرابعة من فريقنا أذنها على الجانب الأيسر من قلبه ثم أسرعت قائلة:

- قلبه لا يزال ينبض..

حينها قلت أنا:

- احملوه، فيجب أن نتحرك سريعًا ناحية الجسر قبل أن نضرب مجددًا بضربة أخرى تقضي علينا.

حمله الأربعة فتيان وحملت الفتاتان صناديق البطاريات، كنت أتحرك مسرعة أنظر للأمام وللخلف وللسماء محاولة تجنب خطر ضربتها القادمة، بعد السير لعدة خطوات باتجاه الجسر وقعت عيناي على السماء

ولسوء حظي كانت تحضر ضربتها الجديدة بالفعل، فقد خرج من السماء عدة نيازك مسرعة نحو الأرض، نيزك واحد كان كفيلًا بنسف معالم المنطقة نهائيًا، كان أحد تلك النيازك يسقط من السماء متجها نحونا مباشرة، التفت لأفراد الفريق من خلفي وصرخت فيهم:

- نيااااااازك.

هرولت متحركة جهة اليمين والباقون يعدون خلفي، محاولين بقدر الإمكان تجنب خطر اصطدام النيزك بأي منهم..

ابتعدنا مسافة صغيرة عن مربع قصف ذلك النيزك، لكن رغم ذلك أطاحت بنا قوة اصطدامه بالأرض لعدة أمتار..

هل أنهت الطبيعة ثأرها أم ما زال في جعبتها المزيد؟

بعد السقوط سمعت أذاننا صوت حركة هواء عنيفة، كان ألم السقوط لا يطاق كأننا ضُربنا بالسياط في كل مناطق جسدنا إلى أن تحول لون جلدنا إلى لون الدماء، فقد ارتفعنا لعشرات الأمتار ثم سقطنا على الأرض،

لكن رغم ذلك تحاملنا للوصول للجسر الجديد الذي سينقلنا للمنطقة التالية، جالت عيناي متأملة المكان بحثًا عن اتجاه السير نحو الجسر، وجدت خلفنا الوحوش العميان تستعد لإطلاق أحد رماحها علينا وفي الوسط بيننا حركة غير معتادة للهواء، الهواء يجتمع ويلتف في حركات دائريه منتظمة، نظرت حينها عاليًا للسماء فوجدت السماء كلها قد تم تغطيتها بالغيوم وسالت الأمطار بغزارة، أسرعنا بالركض نحو الجسر دون تفكير وسهام الوحوش تمطر خلفنا..

فجأة شعرنا بهزات في الأرض وأنشقت الأرض التي كنا نركض عليها إلى نصفين ثم اهتزت الأرض مجددا فسقط الجميع، لحظتها أطلقت الوحوش رمحا سقط في مساحة الأرض التي تم انشقاقها إلى نصفين، ألقينا نظرة لحظتها للخلف فوجدنا فيضان المياه قد اندمج مع حركة الهواء التي تضاعفت إلى أشُدها، لم أدرِ ما هذا الشيء حتى صرخ الفتى الأول من فريقنا قائلًا:

- يجب أن نتحرك سريعًا قبل أن يبتلعنا هذا الإعصار..

عرفت حينها ماذا تعني كلمة إعصار، حين صرخت قائلة لهم أن هناك نيزكًا سيصيبنا لم أكن أعلم ما هو

النيزك لكني صرخت بتلك الكلمة لكي أحذرهم أن يبتعدوا، يبدو أننا نجهل العديد من الأشياء وتعريفات مسمياتها أو ربما أنا من يجهل تلك الأشياء..

منذ يومي الأول في ذلك المستنقع أصبحت أمل سكانه في العيش ليوم جديد، كانت تلك لحظة شرود قطعها عدو الوحوش العميان نحونا، يسيرون للأمام رغبة في اصطيادنا فحسب أيًا كانت النتيجة، من خلفهم كانت (كايلا) وصديقتها يقومون بتوجيههم..

أسرعت تلك الوحوش نحو الإعصار بينما هرولنا نحن جهة الجسر..

فابتلع الإعصار تلك الوحوش واندثروا في طياته إلى أن تلاشوا تمامًا عن أنظارنا، في حين تضخم الإعصار وزادت سرعته وبدأ بالاقتراب منا كي يبتلعنا نحن ايضا، اما نحن فقد بدأنا بالعدو مُلاَحقين بالإعصار إلى ان وصلنا للجسر، عبرنا بالتتابع وخلفنا الفتية وهم يحملون الفتى المصعوق..

ما إن وصلنا إلى نهاية الجسر حتى ألقينا نظرة سريعة

للإعصار الذي كان يعدو خلفنا، فما أن وصل الاعصار إلى بداية الجسر حتى توقف عن حركته نحونا عائدًا أدراجه نحو الخلف أي نحو قلب المنطقة ذاتها، لنتمكن نحن أخيرًا من التهام أنفاسنا بشكل طبيعي، متناسين لدقائق كل ما عبرنا به للتو..

لكن فترة السكينة تلك لم تدم طويلًا، فسريعًا ما شوَّه الألم ملامحنا جميعًا، كما دفننا الخوف من فقدان الفتى المصعوق بنجاح في نعوشه، متكفنين بالصمت من هول الصدمة، حيث كان الفتى ذاته مستلقيًا أمامنا على الأرض بلا حراك، غارقًا في حضن إغماءة جديدة..

* * * *

الإغماءة التاسعة

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال التاسع في رحلتنا:

- هل أبشع ما في مستقبلنا هو حينما نعرفه، أم حينما لا نستطيع تغييره ونصبح مجبرين أن نعيشه كما كتبه لنا قدرنا؟

ركضنا عبر الجسر كما نفعل دومًا، لكننا لم نتمكن من الهروب من رحلتنا أو مصيرنا، فقد كانت استراحة محارب بالنسبة لي، كنت أحمل ثقة عمياء أن الفتى المصعوق مصيره أن يستيقظ ويُكمل تلك الرحلة برفقتنا..

ربما يموت، لكنني لم أضع لهذا التوقع احتمالًا، ليس خوفًا، إنما أملًا خلق ثقة تلاها انتصار، هزمنا جولة، لكننا بالتأكيد سننتصر في هذا الصراع..

عبرنا ثلاث محطات خسرنا فيهم اثنين منا إلى الآن، فبرأيك يا صديقي أأخبرهم أن نكمل أم ننسحب؟ أسألك لأنني في تلك اللحظة أحتاج إلى من أناجيه لأتخذ قرارًا مصيريًا..

كان الكل صامتًا بيننا بعيون منكسرة ودمعة لم تفارق خدودهم، كنا نقف جميعنا في حلقة حوله (أي الفتى المصعوق) منتظرين أن تخبرنا الفتاة الرابعة التي اتكأت على ركبتيها ووضعت أذنها على قلبه لتفقد النبض آخر التطورات عن حالته، تنهدت وعيونها تلمع بدمعة اندثرت:

- لا يزال على قيد الحياة..

تنفسنا الصعداء، لكن الفتاة الرابعة من فريقنا أجهشت بالبكاء، اتكأت أنا على ركبتي بجوارها ثم أسندتُ رأسها على كتفي وقلت أنا مواسية لها:

- سيعيش ليكمل معنا تلك الرحلة، لا تخافي، لن نخسر أحد آخر أعدك..

صمتُ أنا للحظات ظلت فيها الفتاة تبكي، أمسكت بوجهها بين كفي وأزلت دموعها بإبهامي وقلت لها بثقة:

- الرحلة أوشكت على النهاية، أنا مقدرة لحزنك وخوفك..

أزاحتني الفتاة الرابعة من فريقنا بيديها بعيدًا وقالت:

- أنتِ لا تشعرين بأي شيء.

صرخت الفتاة ذاتها في وجهي مجددًا:

- أنتِ لا تشعرين بألم أي شيء نمر به..

وقفت على قدمي ونظرت لها، تأملت نظرات بقية الفريق التي كانت تنهال عليَّ غضبًا ولومًا كأنني متهمة في أحد المحاكم، أكملت الفتاة ذاتها بنبرتها الساخرة:

- أتشعرين بألمي! هل أنا ذات أهمية لديكِ؟ لكن كيف؟

كيف وأنتِ لم تكملي يومًا واحدًا في هذا المستنقع من الأساس؟ بماذا تشعرين أو ما الفارق بنسبة لك لو مات أحد منا وأنتِ لا تحملين له أي ذكريات غير تفاصيل رحلتك بهذا اليوم فقط؟ يستحيل أن تشعري بما نشعر به لأن موت أي منا لن يكون فارقًا بالنسبة لكِ..

كنت حينها كالفراشة التي سقطت في شباك عنكبوت دون جرس إنذار مسبق، القاضي هو العنكبوت الذي حكم عليها بالموت متغذي عليها في شرنقته، أطراف الشبكة كانت بمثابة شهود أدانت جرمها بتحليقها بجوار الشباك، فمهما صرخت لتبرئ نفسها من تهمة انتهاكها لحقوق العنكبوت، لن يعلو صوتها عن صوت الشهود (أطراف الشبكة) المنتهك حقهم..

نظرت لهم للحظات، أبلغ لغة للتعبير عن الألم هي الصمت، بعد نفس عميق زفرت من بعده ألمي بدلًا من الدموع قلت لهم بانكسار واضح:

- أن موت (كايلا) والفتاة يحطمني أكثر منكم جميعًا، لكنني منذ بداية تلك الرحلة لم أضع أي نهاية لها غير أننا سنستطيع انقاذ كل فرد من شعب المستنقع مهما كلفنا ذلك من خسائر..

قاطعتني الفتاة ذاتها صارخة في وجهي:

- لا ينبغي أن يكون ثمن إنقاذنا لشعب المستنقع أن نضحي نحن بحياتنا، فمثلما لا يرغبون هم في الهلاك، نحن أيضًا لا نريد أن نموت..

سألتها أنا بتلقائية:

- هل تعتقدين أنه عند رحيلك وعدم استكمالك للرحلة ستمنعين الموت عنك أو ستحمين نفسك من الخطر؟

أكملت الفتاة ذاتها ساخرة:

- في الحقيقة منذ أن جئت إلى المستنقع والموت بالنسبة لي أشبه بالصياد الذي ينتظر أفضل فرصة لاصطيادنا.

صمتت لفترة تفكر ثم قالت:

- سأرحل لكي..

قاطعها صوت الفتى المصعوق (الرابع من فريقنا) قائلًا:

- لا ترحلي.

مشادتنا معًا أنستنا أمر ذلك الفتى والاطمئنان عليه، حينما صدر صوت منه تحركنا جميعًا، اتكأنا على ركبنا للاطمئنان عليه، اغرورقت عيون الفتاة الرابعة بالدموع وقالت للفتي المصعوق:

- لن أرحل، لن يرحل أي أحد منا، نحن بجوارك لا تقلق.

سأل فتى الخامس من فريقنا قائلًا:

- طمئنا عليك، هل أنت بخير الآن؟

أخذ الفتى نفسًا عميقًا وفرد ظهره ثم حاول الوقوف فلم يستطع، جر نفسه للخلف بواسطة يديه ثم قال:

- لا أشعر بقدمي..

قالها مستسلمًا دون أي ألم، كمحارب بتر قدمه التي أصيبت بالرصاص لينتهي من صداع الألم ويكمل الحرب، مرر عيونه علينا متأملًا لنا للحظات ثم قال:

يبدو أنني من يجب عليه الرحيل حتى لا يصير عبئًا عليكم..

ردت الفتى الأول من فريقنا:

- لا تقلق، لن يرحل أحد وسنكمل الرحلة طالما أنك معنا، كل ما هنالك أنه عندما كنت أنت بين الحياة والموت قررت هي ألا نكمل تجنبا لخسارة أي أحد آخر، فيكفينا ما خسرناه منذ أن بدأنا تلك الرحلة..

نظر الفتى الذي كان مصعوقا للفتاة الرابعة من فريقنا وقال مبتسمًا:

- أتمنى فقط أن يظل مخزون الشجاعة هذا لديك حتى تنتهي تلك الرحلة..

ابتسمت الفتاة ابتسامة عريضة في صمت دون تعليق، ظلت تتأمل وجهه بعد أن عادت الحياة إليه، عودته للحياة بثت الدماء في عروقنا جميعًا كما أعطتنا أملًا وقوة لنكمل رغم كل ما واجهناه وسوف نواجهه في المحطات القادمة من الرحلة..

ساعدت الفتاة الرابعة الفتى (الذي كان مصعوقًا) في الوقوف مستندًا على كتفها ثم التفتت لي وقالت:

- آسفة على الطريقة التي حدثتك بها، لكن هذا لا يعني أن نخسر أحدًا آخر منا أو نعرضه للخطر في سبيل أن ننهي رحلتنا..

ابتسمت أنا ورددت بثقة -لم أعلم مصدرها- دون أي تفكير:

- بالتأكيد، أعدك..

حملت أنا المصباح من على الأرض وتأملت الجميع ثم قلت:

- حسنًا، أظن أنه حان الوقت كي نستكمل رحلتنا..

قاطعتني الفتاة الرابعة من فريقنا قائلة:

- لحظة واحدة قبل أن نكمل.

حينها التفتت كل الأنظار لها فأكملت قائلة:

- لفت نظري أنك تخرجين الدفتر والقلم بعد نهاية كل اختبار من الرحلة كي تدوني كافة الأحداث التي مررنا بها، لكنني تذكرت أيضًا بأن الوحيدة التي أخبرتكِ باسمها كانت (كايلا)، لذلك أعتقد بأننا حينما نعاود قراءة ما دونته بعد مدة، لن نتمكن من تمييز بعضنا البعض، لذلك أقترح أن يخبرك كل منا بالاسم الذي اختاره لنفسه بأيامه السابقة في المستنقع، كي تدوني فيما بعد الجمل الخاصة بكل منا بالأجزاء القادمة بالرحلة، فبالتأكيد حينما تنتهي تلك الرحلة سنرغب جميعًا بتذكر تلك الأحداث التي مررنا بها بأدق تفاصيلها..

رددت أنا ضاحكة:

- اقتراح جيد، فليخبرني أذن كلا منكم باسمه وأعدكم أنني

سأحاول أن أتذكره وأدون كل جملة ستقال بالأسماء الجديدة.

سألني الفتى الثالث من فريقنا:

- ماذا عنك، ألن تختاري لنفسك اسمًا لنناديكِ به؟

صمت بعد ذلك السؤال، تريثت للحظات قبل الإجابة، هل لي الحق في أن أقوم بمنح نفسي اسم أختاره أم أن هذا الحق لك أنت فقط يا صديقي، أنت يا من رافقتني منذ اللحظة الأولي التي دبت فيها الحياة إلى جسدي، يا من وعدتني أنك لن تتركني مهما حدث، يا من ضحيت بحياتك لتمنحني فرصة في أن أعيش لنكمل ما بدأناه سويًا، يا من وعدتني أننا لن نموت في هذا المكان، لكنهم جميعًا يريدون أن يصيروا مميزين في قصتي التي أدونها في دفتري، فاعذرني فسأختار اسمًا لي من أجلهم، لأجل عهد الذكريات الذي قطعوه معي..

حسنًا فلنختر لي اسمًا ما، اسمًا سيعبر عني فيما تبقي من الرحلة، اسمًا سيكون معناه أنني سأسفك دماء من كان سببًا في وجودنا هنا جميعًا، فكرت لوقت قصير ثم نطقته لهم بتلقائية:

- دومينيكا.

التفت لي الكل وابتسموا معجبين بنغمة أسمي في

آذانهم، أخبرني كل منهم بعد ذلك باسمه الجديد، لكنني لن أستطيع الآن أن أصف كل واحد منهم بالاسم الذي أخبرني به، لكنني سأفعل ذلك حينما أتحدث معهم كل واحد على حدا، أما الآن فقد حمل كلًا منهم صندوق بطارياته، بينما حملت أنا مصباحي كالعادة وتحركنا في طريقنا نحو المحطة التالية من رحلتنا..

* * * *

كانت المحطة الجديدة عبارة عن سور حجري ذي ارتفاع شاهق يلامس السحاب تقريبًا، بالإضافة لوجود باب خشبي ضخم في منتصفه، باب نقشت على سطحه لوحة جدارية لمجموعة من بشر المستنقع اللذين يقفون على بعد أمتار من حقل الطاقة بأجساد تلاشت أجزاء منها بدرجات متفاوتة فيما بينها، أما عن الجزء المتلاشي من تلك الأجساد فقد تشكل في صورة غربان محلقة..

على يمين ذلك الباب كانت توجد مرآة زجاجية بلون أزرق أسفلها لوحة من الحجر محفور بها رسمة لكف يد غائر، يعلوها نحت بارز لوجه ممثل صامت منزوع الملامح ومنشطر لنصفين، النصف الأول لوجه تتجلى به ابتسامة واسعة، بينما النصف الآخر كانت شفتاه تعكس الحسرة كما انهمرت من عينه بعض الدموع، إضافة لأنه كان بدرجة لون

أكثر قتامة من نظيره..

حينها التفت الجميع نحو (أرون) الفتى الأول من فريقنا، صاحب البشرة السمراء نوعًا ما، بالإضافة لشعره الأسود وعيونه الواسعة ولحيته القصيرة، كما كان صاحب طول مميز وطباع هادئة والذي قال مذهولًا بعد رؤيته للمكان الذي لا أعتقد أنه بلغه في أي يوم سابق له بالمستنقع:

- إنها المرة الأولى التي أرى فيها هذا المكان منذ أن جئت إلى المستنقع..

الكل كان يقف متأملًا لتفاصيل المكان وارتفاعاته الشاهقة في ذهول مستمتعًا بنشوة وصوله لهذا المكان الذي يراه للمرة الأولى منذ قدومه للمستنقع، ذهولنا الذي استمر للحظات إلى أن قاطعه صوت (ليديا)، الفتاة الثالثة في فريقنا حسب ترقيمي، ذات الطول المتوسط والجسد المثالي، والبشرة البيضاء، والوجه الأبيض المستدير ذو الأنف المتوسط، والشعر البني المسترسل الممتزج بلمعة الذهب كما تصل نهايته إلى منتصف ظهرها والتي قالت شاردة بتفاصيل المكان من حولها:

- بوابة المصير، لقد جئت إلى هنا مرة من قبل برفقة (كايلا)..

حينها التفتنا جميعًا نحو (ليديا) والتي تقدمت منفردة نحو ذلك الباب الضخم. بمنتصف السور وهي تقول:

- خلف ذلك الباب يوجد جسر طويل من الحجارة المهدومة والتي سترمم نفسها تلقائيًا بمجرد فتحنا لذلك الباب..

قاطعها (أرون) متسائلًا:

- وكيف يمكننا فتح ذلك الباب من الأساس؟

أجابت (ليديا) أثناء سيرها نحو ذلك الباب دون أن تلتفت ل(أرون):

- بمجرد أن يضع أحد منا يده في الجزء الغائر من لوحة الكف الحجرية سينفتح الباب تلقائيًا، مع الأخذ في الاعتبار بأن كفه لن يتحرر إلا عندما تنتهي تلك المرآة الزرقاء من عرض أبشع جزء بمستقبله وهو كيفية موته في هذا المستنقع، كأنه فيلمًا قصيرًا يعرض أمامه دون فرصة لحجب بصره..

ما إن أصبحت (ليديا) على بعد خطوات من الباب، حتى شردت للحظات أثناء تأملها لتلك المرآة الزرقاء الموجودة عن يمين لوحة الكف الحجري، فقاطعت شرودها حين سألتها:

- أهكذا ينتهي الاختبار! أعني حينما يتمكن فرد منا من رؤية كيفية موته بالمستنقع؟

التفت (ليديا) نحوي وهي تضحك ضحكة ساخرة نظرًا لسذاجة سؤالي ثم قالت:

- بالطبع لا، فعلى جانبي الجسر الحجري توجد ستة منارات ضخمة ممتدة على جانبيه سيضيئها المصباح تلقائيا لحظة فتحنا له لمدة ثلاث دقائق فقط، بالإضافة لوجود تماثيل حجرية لمجموعة من العماليق كل منهم يحمل مطرقة ضخمة من الحديد المصقول.

أسندت (ليديا) ظهرها على ذلك الباب الخشبي الضخم ثم قالت بنبرة شابها قليل من الخوف:

- المشكلة تكمن في أنه بعد مرور دقيقتين بالضبط من فتحنا لهذا الباب سيتحطم الجسر الحجري مجددا بواسطة تلك التماثيل التي ستضربه بمطارقها بهدف تهشيمه بالكامل، كما أن أنوار المنارات ستضعف بالتدريج حتى تنطفئ كليًا، إضافة لوجود باب آخر مماثل لذلك الباب بالضبط عند نهاية الجسر، فينبغي على من يضع يده على لوحة الكف المحفور في البداية أن يكون هو نفسه من يضع يده على لوحة الكف المحفور في الباب المقابل كي نتمكن من إنهاء الولوج لمحطتنا التالية..

صمتت (ليديا) وهي تتأملنا واحد تلو الآخر كأنها تتسأل في صمت قائلة:

- ألديكم القدرة على عبور كل هذا يا تُرى؟

فسألت لتنزع عنا عبئ التفكير:

- من منكم لديه استعداد أن يعرف كيفية موته بالمستنقع؟

الكل صمت بما فيهم أنا، فمن شجاع لتلك الدرجة!

ليس فقط ليعلم طريقة موته بل ليعلم أنه سيموت في هذا المكان قبل أن يعثر على إجابة للسؤال الذي نسعي لمعرفتها منذ قدومنا إلى هنا وهو ما سبب الذي أتى بنا لهذا المستنقع من الأساس..

قاطع صمتنا لفترة صوت (ألمو)، الفتى الرابع حسب ترقيمي لفريقنا والكسيح نتيجة تعرضه للصعقة الرعدية، الأصلع الرأس ذو الجسد الضخم والمنكبين العريضين والوجه الدائري ذو الدقن الكثيفة والبشرة البيضاء، حسب تخميني قد أختار اسم (ألمو) كلفظ مشتق من الألم الذي لا يزال يشعر به بعد أن صعق وقال:

- أنا مستعد لمعرفة كيفية موتي، فأنا ميت منذ أن شلت

قدمي، ربما بعد معرفتي القليل عن مستقبلي وكيفية موتي سأعرف كيف يمكنني أن أنقذ نفسي أو على الأقل سأكون مستعدًا لتلك اللحظة..

التفتت لي (ليديا) ثم قالت:

- العبء بأكمله سيكون مسلطًا عليكِ، فبعد أن تنيري لنا المنارات الستة بمصباحك سنقوم بجمع صناديق البطاريات، بعدها ستتحركين سريعًا حاملة (ألمو) على كتفك قبل أن تنتهي الدقائق الثلاث حتى يفتح لنا باب الخروج بالجهة المقابلة..

رددت أنا بتلقائية وثقة:

- لا تقلقي، قابلتنا أشياء أصعب بكثير وقد نجحنا بتخطيها.

تسند (ألمو) على ظهري حتى وصلنا إلى لوحة الكف المحفور والمرآة الزرقاء، تركته هناك ثم وقفت مع البقية عند الباب، وضع (ألمو) كفه مكان الكف المحفور في اللوحة.. انفتحت البوابة الضخمة تلقائيًا بعد ذلك، التفتت بعدها (ليديا) نحوي وقالت:

- تحركي أمامنا وارفعي مصباحك عاليًا..

تحركت للأمام رافعة للمصباح فخرج منه ستة إشعاعات صغيرة أضاءت الست منارات، بدأت بعد ذلك الأحجار المحطمة من السور الطويل تعيد ترميم نفسها تلقائيًا حتى أصبح السور مكتملًا، انطلق بعدها البقية سريعًا يبحثون عن الصناديق المنتشرة بامتداد السور.

مر ما يقارب نصف المدة أثناء بحث بقية الفريق عن صناديق البطاريات حتى جمعوها كلها وأشاروا لي بأن أقوم بحمل (ألمو) سريعًا نحو الباب الموجود عند نهاية السور، تحركت سريعًا نحو (ألمو)، كان وجهه مذهولًا، لكنني كنت أعلم أن هذا نتيجة ما علمه عن مستقبله وكيفية موته، بعد أن تسند على كتفي وبدأ السير نحو باب النهاية سألني:

- ألا تريدين أن تعرفي كيف سأموت؟

التفت له وقلت:

- الشيء الذي لم تخبرني به بنفسك لا أظن أنه مهما لي معرفته..

صمت (ألمو) لفترة قصيرة ثم قال:

- سبب موتي ليس شيئًا، سبب موتي سيكون شخصًا يا (دومينيكا).

قبضت حاجباي شاردة فيما قال وسألته محتارة:

- شخص! من تقصد؟

وقبل أن يفكر حتى في الإجابة سقطنا أنا وهو نتيجة هزة أرضية أتت من خلفنا، بتلقائية التفت نحو الخلف في محاولة لتفسير ما حدث، فسرعان ما استنتج عقلي أن التمثال الحجري العملاق قد تحرك وضربت مطرقته العملاقة سطح الجسر، كأول جرس إنذار يعلمنا بأنه ينبغي علينا الإسراع بعبور ما تبقى لنا من الطريق قبل تحطم الجسر بالكامل..

التفت ل(ألمو) سريعا كي أطمئن عليه، في أثناء ذلك شعرت بيد تمسك بشعري وتهوي برأسي لتصطدم بالأرض، صدمة أفقدتني الوعي تمامًا..

كل ما كان يدور في رأسي هو (ألمو) وأنني يجب عليَّ إنقاذه، زحفت بخطوات ورأسي تنزف وأنا أنادي (ألمو) وهو لا يجيب، بعد فترة من الزحف خوفًا من الموت بضربة من المطرقة العملاقة وصراخ متتالٍ مناديه ل(ألمو)، سمعت صوته من بعيد يصرخ قائلًا:

- اتركوها تلقي حتفها، ستسبب في موتنا جميعًا، لقد رأيت

المستقبل، ستسبب في موتنا جميعًا صدقوني..

لم أفسر شيئًا مما قاله، لم أشعر بنفسي أو بجسدي حينها، خارت قواي كلها وسقطت، لم يمكنني مخزون القوة الذي تبقى لي إلا من سماع صراخ (ألمو) طالبًا منهم تركي لأموت وصوت (بوكيو) الفتى الثاني من فريقنا حسب ترقيمي، صاحب الطول المتوسط والشعر الأسود الداكن المسترسل، البشرة القمحية، الوجه الوسيم ذو العيون البنية والشارب الطويل وهو يصرخ في وجه (ألمو) قائلًا:

- أفتح ذلك الباب وأنقذنا قبل أن نموت هنا جميعًا.

صراخ صراخ صراخ، نزيف لا يتوقف، ألم يهشم رأسي بمطرقته وموت يستقبلني بمنتهى البهجة والترحاب..

أغمضت عيني وتركت نفسي للقدر، لم أشعر بشيء غير يد شخص تحملني وتسير بي بسرعة، بالإضافة لهزتين أرضيتين لحسن الحظ لم نسقط بعدهم، بعد ذلك لم أشعر بأي شيء، لقد فقدت الوعي تمامًا غارقة دون أي مقاومة تذكر في إغماءة جديدة.

* * * *

الإغماءة العاشرة

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال العاشر في رحلتنا:

- أي جيش تفضل أن تنضم له في المعركة.. جيش الحظ أم جيش المنطق؟

عاد لي الوعي أثر وغز أصابني نتج عن صداع كان يحطم دماغي أو ربما كان يحاول تهشيمها بمطرقته، كنت ممددة على الأرض ورأسي مسنود على أقدام (ليديا)، البقية كانوا حولي وفي مواجهتي كان (ألمو) مستندا على كتف (داشا)، الفتاة الرابعة حسب ترقيمي للفريق والتي كانت ترغب في إنهاء الرحلة وعدم استكمالها في المحطة السابقة من الرحلة، فتاة مسلمة للنهايات السوداء، جملها عبثية ساخرة دومًا، شعر أصفر مصبوغ بلمعة الذهب، عيون واسعة وأنف طويل ووجه دائري صغير غلفته بشرة قمحية اللون..

تأملت الجميع للحظات بنظرة عبثية سريعة ثم سألتهم بتلقائية وبصوت منخفض نتيجة الألم المستمر في رأسي:

- أين نحن وماذا حدث؟

لم أكن حقًا أتذكر أي شيء من أحداث المحطة السابقة من الرحلة غير أنني سقطت أنا و(ألمو) نتيجة هزة في المكان نتجت عن تحرك مطرقة العملاق الحجري واصطدامها بالأرض في محاولة لتحطيمنا بعد نفاذ وقت عبورنا للجسر الحجري، أجاب (كلينت) الفتى الخامس حسب ترقيمي للفريق، صاحب الشعر البني والطول

المتوسط والعيون الضيقة والبشرة البيضاء:

- لم يحدث شيء..

قاطعه (ألمو) غاضبًا:

- لا، لقد حدث شيء.

قبل أن يكمل وضعت (داشا) يدها على فمه وقالت:

- أظن أننا اتفقنا أنه حينما يُفتح هذا الموضوع لا تفتح أنت فمك مطلقًا، أليس كذلك؟

أزالت يدها وقال بعدها بهدوء:

- على راحتكم.. لكن تذكروا كل ما قلته لكم..

قبضت حاجباي وتساءلت بعد أن تملكتني الحيرة مما قاله (ألمو):

- ماذا تقصد؟

لم يجب، ظل صامتًا وظللت أنا بين الألم الذي يهشم رأسي وحيرة ما يحدث، لم أستطع أن أجادل وأسأله مجددًا وأنا بتلك الحالة، ساعدتني (ليديا) على الوقوف وهي تقول:

- لا تشغلي بالك، لم يحدث شيء أكثر من أنك سقطتي أثناء حملك ل(ألمو) حتى تصلوا للباب لتفتحوه وتنقذوننا جميعًا نتيجة هزة أرضية حدثت فجأة، بعدها ركضنا نحوكم سريعًا وتمكنا من إنقاذكم وها نحن الآن بالمحطة الجديدة من رحلتنا..

هززت رأسي مجبرة على تقبل كلامها على أنه حقيقة مسلمة، نفذت طاقة جدالي وانطفأت شرارة تساؤلاتي بعدما رأيت أن أي إجابة لن تضيف شيئًا طالما لم يحدث ما يجعل أيًا منهم يقرر عدم استكمال الرحلة، كأنني سفينة قرر ربانها أن يظل مبحرًا دون تحديد وجهة معينة..

* * * *

عبرنا الجسر الجديد نحو محطتنا الجديدة في رحلة إنقاذ شعب المستنقع، رفعت المصباح عاليًا لأضيء أربعة منارات كانت موجودة عند رؤوس المكان المربع الشكل، بعد إضاءة المكان وجدنا أمامنا ثلاث ساحات دائرية الشكل مرتفعة عن مستوى سطح الأرض ويتم الصعود عليها عن طريق عدة درجات رخامية، على مسافة قريبة منهم كانت توجد ساحة دائرية أكبر حجمًا منها -أي الساحات الثلاثة- بحوالي خمسة أو ستة أضعاف تقريبًا، كما وجدنا على سطحها عشرة صناديق من صناديق بطاريات التنفس، خلف

تلك الساحة ذاتها كان هناك ثلاث ساحات دائرية أخرى مماثلة، حيث بدت الساحات الثلاثة كما لو كانت ساحة خاصة بنزال ما، من يربح به سيظفر بصناديق البطاريات العشرة..

بعد تأمل تفاصيل المكان للحظات سأل (أرون)، الفتى الأول حسب ترقيمي للفريق، صاحب القامة القصيرة والشعر المجعد ذو الطول المتوسط نوعا ما والبشرة القمحية اللون:

- هل أتى أحد منكم إلى هذا المكان من قبل؟

الكل صمت بما فيهم أنا، حتى تحدث (رالث) الفتى الثالث في فريقنا صاحب الطول الفارع والجسد النحيل والشعر ذو اللون الأسود المسترسل والبشرة القمحية قائلًا:

تلك الساحة تسمي بساحة الحظ، يُلعب عليها لعبة تدعي (سُرداي) معتمدة بجزء كبير على الحظ والتوفيق في اختيار الأوراق، يفترض بنا أن نربح بتلك اللعبة حتى نحصل على الصناديق الموجودة أمامنا..

فجأة قاطع حديثه تجلٍ مفاجئ لثلاثة ظلال سوداء، ظلال تشكلت على هيئة ثلاثة أجساد بشرية قبع كل منها بواحدة من تلك الساحات الثلاثة الموجودة خلف الساحة الوسطي،

أجساد غلف وشاح الظلام القاتم ملامحها ذات الهيئة الضبابية كليًا، قالت (داشا) بعد انتهاء ذلك المشهد السابق بنفس النبرة الساخرة المتهكمة على كل ما نمر به بهذا المستنقع:

- يبدو أن اللعبة قد بدأت..

تأملنا (رالث) بعينيه للحظات مفكرًا ثم قال:

- (أرون).. (كلينت).. (ليديا).. أصعدوا على الساحات الثلاث كي تلعبوا الجولة الأولى..

رد (أرون) مستنكرًا:

- لكنني لم ألعب تلك اللعبة من قبل..

رد (رالث) بعد ان أمسك بدفة قيادة الفريق كي يمنحنا عنصر الخبرة من جديد والذي افتقدناه جميعًا بعد موت (كايلا):

- سأكون خلفكم كي أعطيكم التعليمات، بالإضافة إلى أن اللعبة عبارة عن ثلاث جولات، يفترض بنا أن نربح اثنين منها فقط، فخسارتنا بالجولة الأولى ليس مهمًا، المهم ألا نخسر أكثر من جولة، هذا بالإضافة لأنه عند خسارتكم سيتم استبدالكم بثلاثة آخرين تلقائيًا، فلا أريدك أن تقلق..

صعد الثلاثة على المنصات وكنا نحن نقف من خلفهم، ظهرت بعد ذلك ثلاث أوراق محجوبة وبعدها أكمل (رالث) شرح اللعبة لهم قائلًا:

- المفترض أن الظلال الثلاثة لديهم أيضًا ثلاث أوراق عشوائية من بين الثلاث عشرة ورقة، كي نربح يجب أن نلعب ورقة تكون قيمة الفارق بينها وبين الورقة التي ستلعبها الظلال من واحد حتى خمسة، لأنه لو كان الفارق أكبر من خمسة ستعتبر تلك اللعبة لاغية..

فجأة انكشفت لنا الأوراق الثلاثة، الأولى كانت ورقة الرقم ثلاثة أمام (ليديا) والثانية ورقة الرقم تسعة أمام (أرون) بينما الورقة الثالثة كانت ورقة الفتاة -التي تعادل الرقم اثني عشر بأوراق الكوتشينة- أمام (كلينت)، أكمل (رالث) قائلًا:

- هناك شيء آخر يسمى رصيد الجولة، يُخصم من هذا الرصيد الفارق بين الورقتين في حال كان قيمته أقل من الخمسة سواء من رصيدنا أو من رصيد الظلال، القاعدة الأخيرة هي أننا حين نلعب ورقة قيمتها أعلى من الرقم تسعة سنضطر الجولة التالية أن نلعب ورقة بقيمة أقل من التسعة لنحاول أن نجعل الفارق بين ورقتنا وورقة الظلال أكبر من الخمسة..

سألت (ليديا):

- حسنًا بأي ورقة يفترض بنا أن نبدأ؟

فكر (رالث) لوهلة ثم قال:

- (أرون) ألعب ورقة الرقم تسعة.

قال (أرون):

- ألعب بورقة الرقم تسعة.

تحركت الورقة ذات الرقم تسعة مع ورقة الظلال التي كانت تحمل صورة الشايب والتي تعادل الرقم ثلاثة عشر طبقًا لقواعد لعبة الورق الشهيرة (الكوتشينة) نحو الساحة الدائرية الكبيرة ليراهما طرفي النزال، كان الفارق بين الورقتين أربعة لصالح الظلال، مما أدي لخصم أربع نقاط من رصيدنا بتلك الجولة، سأل (كلينت) متوترًا:

- نلعب بورقة الفتاة أم الثلاثة؟ ركز حتى لا نخسر مجددًا بتلك الجولة..

شرارة خوف اشتعلت في قلوبنا لوهلة خوفًا من الخسارة بتلك الجولة والجولة التالية بالطبع، فستكون حينها الخسارة لا تعوض، لأننا سنخسر حينها عشرة صناديق

تحمل عشرين بطارية تنفس، ففكر(رالث) ثم قال:

- بما أن الظلال قد لعبت بورقة (الشايب) فستلعب الآن ورقة قيمتها أقل من الرقم تسعة، بالنسبة لنا فسنلعب بورقة الفتاة..

أكمل (رالث):

- المهم أن يدعمنا الحظ بأن يكون الفارق بين الورقتين أقل من العدد خمسة حتى لا تُلغي تلك اللعبة..

لعب (كلينت) ورقة الفتاة بينما كانت ورقة الظلال هي الرقم سبعة، فكان الفارق بينهم بقيمة خمسة، فأصبح رصيدنا في تلك الجولة نتيجة لذلك ستة نقاط ورصيد الظلال خمسة نقاط، مما يعني تفوقنا عليهم حتى الآن قال (رالث) حينها مكملًا:

- بالتأكيد ستلعب الظلال ورقة أكبر من الرقم تسعة لو لديهم من الأساس، أعتقد أن فارق الورقتين سيكون أكبر من الرقم خمسة وبالتالي سنربح تلك الجولة..

لعبت (ليديا) الورقة بالرقم ثلاثة وللأسف كانت ورقة الظلال هي الرقم ستة والفارق بين الورقتين كان ثلاثة نقاط تُخصم من رصيدنا في تلك الجولة ليصبح رصيدنا حينها ثلاثة نقاط ورصيد الظلال خمسة نقاط مما يعني فوز

الظلال في تلك الجولة..

اختفت الأوراق وبعدها مباشرة دُفع (كلينت) و(ليديا) و(أرون) بقوة ما أدت لإزاحتهم من على المنصة، قال (رالث) مفسرًا:

هذا ما يحدث نتيجة خسارة الجولة، الساحة تمنعكم من اللعب لجولة أخرى ويفترض الآن أن يلعب ثلاثة آخرين منا..

نظر (رالث) لي ثم التفت نحو (بوكيو) وقال:

- (دومينيكا) و(بوكيو)، أصعدوا للساحة وأنا سألعب معكم..

أعطيت المصباح ل(كلينت) ثم صعدت الساحة، نبضات قلبي تسارعت وتضاعفت خوفًا من الخسارة في أي جولة، فيجب أن نربح بالجولتين القادمتين، في لعبة تعتمد كل الاعتماد على الحظ..

كانت أوراقنا في تلك الجولة هي الرقم اثنان ناحية (بوكيو) والرقم عشرة ناحيتي والرقم أربعة ناحية (رالث). التفت (رالث) خلفه لبقيتنا وقال:

- الأوراق التي تستخدم بالجولات السابقة يتم حذفها وتوزع علينا أوراق جديدة عشوائيا من الأوراق التي لم نعلب بها من بين الأوراق الثلاثة عشر وكذلك الظلال، أرجو أن تحفظوا الأوراق التي لعبناها وسنلعب بها؛ لأن ذلك سوف يساعدنا في الجولة الأخيرة..

التفت لنا بعد أن تأمل ورقنا وفكر في الورقة التي سنقوم بلعبها وقال:

- أعتقد أنه يفترض بنا أن نلعب ورقة الرقم أثنين، فأنا أظن أن الظلال بالتأكيد ستلعب ورقة برقم كبير في البداية ليكون الفارق أكبر من الرقم خمسة..

لعب (بوكيو) الورقة بالرقم أثنين وكانت ورقة الظلال هي ورقة (الفتى) والتي تعادل قيمة الرقم إحدى عشر، مما يعني أن الفارق بين الورقتين هو تسعة وهو فارق أكبر من الرقم الخمسة فبالتالي سيلغي فارق تلك الجولة، قلت أنا ملتفتة ل(رالث):

- جيدة جدًا تلك الخطوة، الآن الظلال بالتأكيد ستلعب ورقة بقيمة أقل من الرقم تسعة، يفترض بنا الآن أن نلعب ورقة بقيمة أكبر حتى نحدث فارق ينقص من رصيد الظلال..

قال (رالث):

- بالضبط، فلتلعبي ورقة الرقم عشرة..

لعبت أنا ورقة الرقم عشرة كما قال (رالث) ولحسن حظنا كانت ورقة الظلال هي ورقة الرقم خمسة، مما يعني أن رصيد الظلال قد خصم منه خمس نقاط أي أصبح خمسة نقاط، قال (بوكيو):

- بالتأكيد ستلعب الظلال ورقة بقيمة أكبر من تسعة حتى يتمكنون من الربح وبما أننا نحمل ورقة بالرقم أربعة فستلغي تلك الجولة.

رد (رالث) بنبرة قلق:

- أتمنى فقط أن تلعب الظلال ورقة أقل من الرقم تسعة..

لعب (رالث) ورقة الرقم أربعة وكانت ورقة الظلال بقيمة الثمانية مما يعني أن الفارق بقيمة أربعة نقاط، يتم خصمها من رصيدنا الذي أصبح بعدها ستة نقاط، مما يعني انتصارنا في تلك الجولة، لأننا نحمل الرصيد الأكبر وهو ست نقاط مقابل خمس نقاط في رصيد الظلال..

تفاءل الجميع وملئ الأمل قلوبنا جميعا لانتصارنا في تلك الجولة التي أنقذتنا من مشنقة الحظ التي كانت على مشارف إعدامنا..

جولة أخيرة تبقت، نصر آخر أخير لنا أم طعنة من نصل الحظ تقتل آمالنا في مواصلة الرحلة لإنقاذ شعب المستنقع، هل ستكون الجولة فقط لعبة حظ وتخمين للأوراق أم ستكون نهاية المطاف لرحلتنا؟

كان الخوف من الخسارة ينتابني أنا وحدي، البقية أخرجوا احتمال الخسارة من حسابتهم بعد انتصارنا في الجولة السابقة..

نظرًا لربحنا أكملت أنا و(رالث) و(بوكيو) اللعب في تلك الجولة الجديدة

كانت أوراقنا هي الرقم واحد أمامي والرقم ستة أمام (بوكيو) وورقة الفتى -التي تعادل الرقم أحد عشر بالكوتشينة- أمام (رالث)..

لعب (رالث) دون تفكير بورقة الفتى في توقع ساذج منه هذه المرة في أن الظلال ستلعب ورقة بقيمة أكبر من الرقم تسعة، مما سيحدث فرقًا أقل من الرقم خمسة مما يؤدي لتفوق رصيد الجولة لنا عن رصيد الظلال، لكن ذلك لم يحدث للأسف، فكانت ورقة الظلال هي ورقة الرقم ثلاثة، مما أربك حسابتنا تماما حيث أن الفرق أصبح لاغي لأنه

أكبر من الرقم خمسة، غير أننا الآن سنصبح مضطرين للعب ورقة بقيمة أقل من الرقم تسعة بالإضافة إلى أننا لا نمتلك من الأوراق غير ورقة الرقم ستة والرقم واحد، مما قد يتسبب في خسارة في رصيد الجولة لنا دون إلحاق ضرر في رصيد الجولة لدى الظلال..

فكر (رالث) بصمت لفترة قصيرة في ورقتنا التالية، بالنسبة لي كانت الخسارة حتمية، لكني تركت الدفة لخبرة (رالث) بقواعد تلك اللعبة، فقال (رالث) ل(بوكيو) بأن يلعب ورقة الرقم ستة، تعجب (بوكيو) متسائلًا:

- هل سنلعب المرة القادمة ورقة الرقم واحد؟

رد (رالث) بثقة محقونة بقليل من التردد:

- ستلعب الظلال بالتأكيد ورقة أقل من الرقم تسعة، أخمن أن ورقة الظلال ستكون أما ورقة الفتاة لأنها الورقة الوحيدة التي لا زال لم يُلعب بها بعد من الثلاثة عشر ورقة للظلال، بذلك يكون الفارق أكبر من الرقم خمسة ليصبح هذا الدور لاغٍ، حينما نلعب نحن بعدها ورقة الرقم واحد، ستلعب الظلال ورقة أقل من الرقمين تسعة ورقم واحد، حينها سيصبح هذا الدور لاغي، في تلك الحالة سنتعادل وسيتم إعادة الجولة من جديد، لأن رصيد الجولة الخاص

بنا سيكون هو نفسه رصيد الظلال، أي شيء غير ذلك يعني خسارتنا..

(رالث) هو الوحيد الذي لعب تلك اللعبة ويعرف كيفية الربح، كان يضع في حسابته إمكانية خسارتنا في الجولة الأولي وكان يعرف كيف سيجعلنا رغم أي شيء نربح في الجولة الثانية، فأصبح الكل واثق بأننا سنصل في تلك الجولة إلى التعادل باتباع تعليماته أيًا كانت درجة المجازفة فيها..

لعب (بوكيو) الورقة بالرقم ستة وكانت صدمتنا حينما كانت ورقة الظلال هي ورقة الرقم تسعة..

نعم، خُصم من رصيدنا في تلك الجولة ثلاث نقاط فأصبح سبع نقاط مقابل عشرة نقاط للظلال، بالإضافة إلى أننا لا نمتلك غير ورقة الرقم واحد..

قالت (داشا) بسخرية كعادتها:

- الآن سنلعب ورقة الرقم واحد ونخسر..

صفقت ثم أكملت:

- استنتاجاتك في منتهى الروعة يا (رالث).

نظرت أنا ل(رالث) الصامت الذي نكس رأسه بعد تقلص رصيد الجولة لنا في تلك الجولة وسألته:

- هل خسرنا؟

لم يجبني فصرخت في وجهه بعصبية شديدة:

- أجبني، هل خسرنا؟

صرخ (رالث):

- أيمكنكم السكوت جميعًا، لا زال أمامنا فرصة كي لا نخسر..

قاطعه (أرون) من خلفنا معقبًا:

- نحن خاسرون مهما حدث، فورقتنا هي ورقة الرقم واحد لو لم تلاحظ..

قال (رالث) بذكاء الثعالب حين تنتظر لحظة الفتك بفريستها:

- من قواعد اللعبة أن الجولة الأخيرة من اللعبة الأخيرة يمكننا فيها أن نستبدل ورقتنا بورقة عشوائية من الأوراق الأربعة التي لم نلعب بها في الجولات السابقة..

بثت (ليديا) الأمل في أواصلنا مجددا كالأفعى التي تضخ السم في عروق فريستها حينما قالت:

- نحن لم نلعب ورقة الرقم سبعة والرقم خمسة والرقم ثمانية بالإضافة لورقة الشايب

فجأة انكشفت لنا ورقة الظلال قبل أن نلعب، فقال (رالث):

- في تلك الجولة أيضًا من حقنا أن نعرف ما هي ورقة الظلال وبناء عليها سنختار إما أن نلعب ورقتنا أو نقوم بتبديلها، بعد حساب احتمالات سحبنا لورقة من الأربعة أوراق التي لم نلعب بها، سنجد أن الورقة لو كانت الرقم سبعة سيحدث ذلك تعادل، لأنه حينها سيصبح الفارق بين الورقتين ثلاثة ويصبح رصيد الجولة للظلال سبع نقاط مثلنا، أما لو كانت الورقة بالرقم خمسة فهذا يعني خسارتنا، أما في حالة كانت الورقة بالرقم ثمانية فسنربح، أما ورقة الشايب فستجعل هذا الدور لاغٍ وسنخسر أيضًا..

التفت (رالث) لي وقال:

- (دومينيكا) نحن في كل الحالات خاسرين، الموضوع متوقف الآن على حظك حين تستبدلين تلك الورقة..

صرخ (ألمو):

- إنها الرؤية التي شاهدتها، سنخسر ولن نقدر على استكمال الرحلة، سنموت جميعًا بسببها..

صرخ (أرون) في وجه (ألمو):

- يكفي يا (ألمو)، نحن في كل الحالات خاسرين لا محالة.

قال (كلينت):

- (دومنيكا) فرصة الفوز أو الخسارة متساوية، لن نخسر شيئًا لو قمتِ باستبدال الورقة.

كان نقاشهم بالنسبة لي بمثابة تنازع جرزان على قطعة جبن فاسدة..

الآن يا صديقي القرار ملقى على عاتقي، حياة شعب المستنقع تتوقف على حظي ودرجة سوءه، أود أخبارك يا صديقي أنني في تلك اللحظة لم أختر ألا أن يلازمني حظًا جيدًا؛ حتى لا يكون حظي سبب هلاك أي شخص في ذلك المستنقع، فقررت أنني سأغير الورقة، فاختفت ورقة الرقم واحد من أمامي وظهرت أمامي أربعة أوراق، قال (رالث) لحظة ما كانت الأوراق الأربعة محجوبة:

- واحدة منهم قادرة على جعلنا نربح، اهدأي وركزي واختاري ورقة من بين الأوراق الأربعة..

فكرت للحظات لكنني احترت، فقلت سأختار الثانية من جهة اليمين لأنهي كل تلك الحيرة التي تعتريني، فإما أنقذنا وأنقذ شعب المستنقع من هلاك محتم أو تخسر بعض أفراد شعب المستنقع فرصة استكمال حياتهم ليوم آخر..

انكشفت الورقة وكانت ورقة الرقم سبعة، مما يعني أننا لحسن الحظ قد تعادلنا..

ارتسمت على وجوه الجميع علامات الفرح وعاد لهم الأمل، عدا (ألمو) الذي ينظر لي نظرة كراهية وثقة بأنني سأكون سبب هلاكنا في اللحظات القادمة، لم يحكِ كيف سأتسبب في ذلك، لكنه قال أنني سأكون سببًا في موته هو وبقية فريقنا، شردت للحظة سألت فيها نفسي:

- هل بداخلي جانب مظلم يجعلني أتسبب في موتهم؟

لم أستطع الإجابة يا صديقي، شعرت أن اجابتي ستكون مضللة وغرضها تهدئتي فقط، سأتركك لتجيب أنت على هذا السؤال حين أقوم بإنقاذك كما أنقذت حياتي سابقًا، أريدك أن تتذكر أنني مشتاقة إليك الآن ودومًا، تذكر أنني سأفعل المستحيل لإنقاذك كما وعدتني أنت سابقًا أنك لن

تتركني..

قطع شرودي ظهور أوراق الجولة الأخيرة، الثلاثة أوراق المتبقية التي لم نقم باللعب بهم من الثلاث عشرة ورقة وهم ورقة الرقم ثمانية أمام (رالث) والرقم خمسة (أمامي) وورقة الشايب أمام (بوكيو)..

دون تفكير قال (رالث) ل(بوكيو) أن يرمي الشايب ولحسن حظنا كانت ورقة الظلال هي الرقم عشرة مما خصم من عدادهم لتلك الجولة ثلاث نقاط، فأصبح رصيد بتلك الجولة سبع نقاط مقابل عشرة نقاط لنا، لعب (رالث) ورقة الرقم ثمانية ليحقق فارقا أقل من الرقم خمسة؛ لأن ورقة الظلال ستكون بقيمة أقل من الرقم تسعة، فإما أن ينقص الفارق من عداد الظلال لتلك الجولة أو يصبح الفارق أكبر من الرقم خمسة، فتصبح تلك الجولة لاغي..

لحسن الحظ كانت ورقة الظلال هي الرقم أثنين مما يعني أن تلك الجولة ألغيت..

أصبح الأمر الآن متوقفا على حظي مجددا، حين قال لي (رالث) قبل أن ألعب ورقتي بمنتهي الثقة ظنا مني أن تلك الجولة قد انتهت لصالحنا:

- الآن هناك أمكانية للظلال أن يعرفوا ورقتنا ولو لم يكن معهم ورقة تساعدهم على الربح، يمكنهم استبدالها بالورقة التي لم يلعبوا بها في الجولات الأربعة السابقة، لكن لحسن حظنا ورقتنا هي الرقم خمسة والأوراق التي لم تلعب بها الظلال هي الرقم واحد أو ورقة الفتاة وأي كان ما سيختارونه من الورقتين فقد ربحنا..

اختارت الظلال ورقة الفتاة بعد أن قاموا بتبديلها مع ورقة الرقم واحد، بذلك كان الفارق أربعة نقاط تخصم من رصيدهم لتلك الجولة، فأصبحت النتيجة ثلاث نقاط برصيد الظلال وعشرة نقاط برصيدنا لتلك الجولة، مما يعني أننا قد ربحنا بتلك اللعبة أخيرًا..

* * * *

تحرك الجميع بعدها نحو الساحة الدائرية بالمنتصف لملء صناديقهم بالبطاريات الجديدة التي حصلنا عليها، ظللت أنا و(داشا) التي تحمل (ألمو) على كتفيها في أماكنا، فأنا كالعادة مهمتي هي حمل المصباح بينما أصبحت مهمة (داشا) هي حمل (ألمو)، أما بقية الفريق فمهمتهم جمع البطاريات الجديدة في صناديقهم، كنت لحظتها أود التحدث مع (ألمو) ليس لمعرفة ما رآه في تلك المرآة أو بسبب ما قاله أثناء لعبنا لعبة (سرداي)، بل لأنني لن

أتحمل أن أكون سببًا في أذية أحد آخر، أهدافي معروفة وهي إنقاذ أكبر عدد يمكن إنقاذه من شعب هذا المستنقع، لنتمكن من خوض الرحلة الأصعب وهي رحلة إجابة أسئلتنا، نظرت ل(داشا) للحظات ثم قلت لها:

- أيمكنني أن أريحك قليلًا وأحمل (ألمو) على كتفي لبعض الوقت؟

رمقتني بابتسامة ساخرة، كانت تعلم ما يدور في عقلي ولكنها تعلم أن حديثنا سينتهي بتصفية الأمور وأنه سيكون شرارة الوصول لأنسب نهاية بيننا، فحملت (ألمو) على كتفي وقررت (داشا) الذهاب مع بقية أفراد فريقنا والذين قرروا السير عبثًا من أجل البحث عن مكان الجسر الذي سينقلنا للمحطة التالية من رحلتنا، نظرًا لأن الإضاءة قد عادت بتلك المنطقة بعد تمكننا من عبور الأخبار الخاص بها أي لعبة (سرداي)..

ما إن غادرت (داشا) حتى التفت نحو (ألمو) قائلة:

- أنا لا أريد أن أعرف ماذا شاهدت في تلك المرآة.

تأملت نظرة عيونه المستنكرة لما قلت ثم أكملت:

- أنا فقط لا أريدك أن تكون خائفًا وتشعر في كل لحظة

أنني سأكون المتسبب في موتك..

لم يعرني أي اهتمام مجددًا، لذلك قررت لفت انتباهه بنبرة استعطاف:

- لو سأكون أنا المتسبب في موتك مثلما شاهدت بالمرآة، فلماذا لم أخسر في الجولة الثالثة من اللعبة بدلًا من أن التعادل!

التفت لي (ألمو) أخيرًا وقال مبتسمًا:

- أجمل ما في أن تعرف تفاصيل مستقبلك قبل حدوثها، سواء كانت نهايته سعيدة أو مأساوية، هو امتلاكك حينها لميثاق يذكرك دومًا بأنه لا يزال لديك رصيد من الأيام بتلك الحياة لا زلت لم تعشها بعد..

تنهد تنهيدة طويلة أكمل بعدها:

- أنا لست مستاء أو خائفًا منكِ، أنا فقط متعجب من استمرارك بالمكابرة، ففي اللحظة التي قد حطمنا فيها ضعفنا، فرغم مكابرتك كنت في محاولة منك كي تظهري قوية أمامنا وأمام نفسك أيضًا، كنتِ في الحقيقة ميتة من قبلنا بكثير، أما حينما وصلنا للجولة الثالثة خفت من أن نخسر بسبب أنك متمتعة بالمكابرة، فقط كي تثبتي لنفسك بأننا سنربح بتلك الجولة مهما حدث، رغم أنه كان من

الوارد لنا أن نخسر كل شيء لولا الحظ..

ابتسم بعدها في وجهي على طريقة مرضى السرطان المؤمنين أن نهاية حياتهم أصبحت مسألة موت ليس إلا قال:

- أنا أعلم أن كل هذا الهراء لا طائل منه، إضافة لأنه ليس هذا هو الحديث الذي تنتظرين سماعه كي ترتاحي، لكنني الآن سأخبرك بما قد يشعرك ببعض الراحة، فربما لا أستطيع أن أخبرك به في وقت لاحق.

التفت حينها ببصرة نحو السماء وهو يقول شاردًا فيها:

- لو كانت نهايتي على يديكِ سأرتاح..

ترقرقت الدموع الحبيسة في عينيه وهو يستطرد صارخًا بصوت متألم:

- أنا أكتر الأشخاص خوفًا وسطكم، فكلما أنهينا مرحلة من مراحل تلك الرحلة يزداد خوفي، كما أتخيل كم سيكون الموت بالمحطة الجديدة أكثر ألمًا وصعوبة، من حسن حظي أنني علمت كيفية موتي، فأتمنى أن أموت كي أرتاح من تمثيل دور البطل الذي لا يزال قادرًا على استكمال تلك الرحلة، فكل ما أفعله معكِ هو مجرد انعكاس لما يعتريني من خوف، خوف من الموت ذاته وليس من أن تكوني أنتِ

السبب فيه..

انهمرت الدموع من عينيه دونًا عنه، رغم ذلك رفض مداراة وجهه عني كما يفعل الجميع حينما يعتريهم ضعف أو خوف، تأملت لدقائق تعابير وجهه التي كانت مليئة بالندوب التي أضرمتها مخالب الخوف التي نهشت روحه بصمت تام..

فكم خلابة لغة الدموع التي تحمل ردودا أبلغ بكثير من الرد بآلاف الكلمات في لحظات الألم والانكسار!

بعد ذلك أسندت كفيه فوق كتفي كي يتمكن من الوقوف متزنًا تجنبًا لسقوطه كي أتمكن أنا من مسح دموعه التي انهمرت فوق خده قائلة:

- الموت والحياة شيئين عكس بعضهما، فمن يخاف الموت يصبح شخصًا فاشلًا بتلك الحياة، أما فشلنا في الحياة يتمثل في عجزنا عن الوصول لإجابات لأسئلتنا وكشف كل أسرار ذلك المستنقع..

وضعت وجهه بين كفي قائلة كمحاولة بائسة لمنحه سببًا للاستمرار:

- لا تخف من شيء غير فشلك في الاستمرار على قيد

الحياة مثلما نفعل نحن، فلو لم نصل لإجابات الأسئلة وكشفنا أسرار المستنقع للأسف لن يصل أحد، في تلك اللحظة يجب أن نخاف، نخاف من فشلنا ومن فشل الوافدين الجدد بالمستقنع، فلن يكرر أحد تلك الرحلة طالما هناك أشخاص سبقته بذلك وفشلت حتى لو الثمن ذلك الموت..

ابتسم مقتنعًا بكلامي في صمت، جلسنا أنا وهو مُمدّدين على الأرض نتأمل السماء، مظلمة كما هي كل أماكن المستنقع، كانت سماء بائسة لا تحمل روحًا، أمال (ألمو) رأسه ناحيتي وسألني:

- ماذا ستفعلين حينما نعرف كيف تم ولوجنا إلى المستنقع ولأي سبب؟

رددت وأنا لا أزال أنظر لتلك السماء الكئيبة:

- بعد كل ما مررنا به هنا أنا متأكدة أنني لم آتِ إلى هنا باختياري، أنا مُيسرة للعيش في هذا المستنقع، فأنا لا أريد أن أعيش وهناك أحد يتحكم بحياتي وكيف أعيشها، بالإضافة لشعوري أنني مجبرة على دفع ثمنًا لحياتي بالمرور في محطات يمكنها التسبب في موتي كي أحضر فقط بطارية تنفس وبعد مدة أضطر لتغييرها، ماذا عنك؟

التفت (ألمو) للسماء مثلي وصمت للحظات يفكر في رد

ثم قال:

- أنا مثلك أرى أنه إحساس صعب حين يتحكم أحد بمصيرك، رغم ذلك فأنا أرى أن كل ما مررنا به على مدار تلك الرحلة ثمن أقل بكثير من ثمن استمرار حياتنا ليوم آخر، أعتقد أنه لا يوجد شيء في هذا العالم بلا ثمن.

اقتنعت جدًا بجملته الأخيرة، فكل فرد لديه أسبابه ليستمر في تلك الحياة، فاختلافاتنا طفيفة لكن الهدف واحد دومًا في هذه الحياة وهو أن نعيش لنحقق أهدافنا.

شردنا حينها في السماء البائسة بتلك للحظات حتى أتت (داشا) وقالت:

- سنتحرك الآن، لقد عثرنا على الجسر الجديد.

حملت (داشا) (ألمو) بينما حملت أنا المصباح وسرت أنا من خلفهم وبعد فترة سير قصيرة وجدنا الجسر لكننا لم نجد بقية الفريق..

تأملنا المكان حولنا بتمعن لدقائق بحثا عنهم لكن دون جدوي، كما أننا لم نجد تفسيرًا منطقيًا لذلك غير أنهم سبقونا بعبور الجسر وأن علينا البحث عنهم في الجانب الآخر منه، كان جسرًا طويلًا هذه المرة، كنت أنادي عليهم

واحدًا تلو الآخر دون جدوى..

بعد عبورنا للجسر وسيرنا لعدة خطوات وجدنا خمس توابيت رخامية مرصوصة أمام الجسر، أسندت المصباح أرضًا في حين أنزلت (داشا) (ألمو) من على كتفها، تحركنا بعد ذلك أنا و(داشا) ووقفنا عند طرفي أحد تلك التوابيت وقمنا بحمل وإزالة غطائه الرخامي معًا..

بعد فتحنا للتابوت الأول صرخت (داشا) بهستيرية وسقطت من هول صدمة ما رأته بينما تصلبت أنا في مكاني صامتة..

تأملنا (ألمو) مصدومًا ثم تحرك زاحفًا بتلقائية نحو التابوت لينظر إلى ما رأيناه بداخله..

كان (كلينت) بالتابوت ووجهه مغطى بقناع حجري فضي اللون، وضعت يدي على وجهه في محاولة عبثية لنزع القناع عنه لكن دون جدوى، كأن وجهه قد تحجر بالكامل..

مر وقت حتى تمالكنا أنفسنا، في صمت تام تحركت أنا و(داشا) نحو بقية التوابيت، أزلنا غطاءها وأخرجنا بقية أفراد الفريق منها وتركناهم مُمددين على الأرض، ساقطين بلا حراك في إغماءة جديدة..

٣:٥٣ ٥٨٪

الجزء الثالث:

(أرض الأسلاف)

الإغماءة الحادية عشر

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال الحادي عشر في رحلتنا:

- لو اعتبرنا أن مخاوفنا هي أحد الأسرار في حياتنا ففي أي بئر سنقوم بإلقائها؟

قلوبهم تنبض..

كان ذلك الشيء الوحيد الذي طمأننا وأعاد تدفق الدماء إلى عروقنا مجددًا لنفكر ونبحث عن تفسير لما حدث لهم..

لكنني للحظة انتابني شعور كأنني سلحفاة تشعر بأمان في صدفتها ودائمًا ما تذكر لنفسها بأن مفترس الغابة لا تقدر أنيابه على افتراسك، وأنتِ محتمية في صدفتك وسيفكر الفيل مليًا قبل أن يخطو محاولًا تحطيم صدفتك بقدمه الضخمة وثقل وزنه..

لكن رغم ذلك أشعر بأنني غير مواكبة لسباقات هذا العالم، فأنا الرخوية البطيئة، النباتية يا متصارعي اللحم، المسالمة يا مفترسين، المحتمية في صدفتي يا غوغائيين، المسالمة التي أرغب في إنقاذ شعب المستنقع من بطش أسلحة دماره المنتشرة في كل أرجائه..

أنا (دومينيكا)، الشيطان الذي سيحرقك في جحيمه قريبًا يا (جينوس)..

- افتحي الخريطة وأخبرينا ماذا كتبت (كايلا) عن هذا المكان.

قالها (ألمو) ليخرجني من شرودي الذي استمر لفترة قصيرة، فتحت الخريطة لأقرأ ملاحظات (كايلا) عن هذا المكان لكن دون جدوى، لم تكتب (كايلا) عن هذا المكان أو عن أي محطة قادمة في رحلتنا، نحن الآن تحت رحمة بقاع المستنقع المجهولة لنا، نصف رحلة قد مرت، نصف رحلة امتزجت فيها المعرفة مع الإصرار، نصف رحلة آخر سيمتزج فيها الجهل مع الخوف مما هو قادم من مفاجآت ببقاع المستنقع..

حملت المصباح وتحركت متجولة في المكان أحاول تأمل تفاصيله في محاولة عابثة أخرى لترجمة ما حدث مع بقية أفراد الفريق، كان المكان عبارة عن ساحة دائرية ضخمة الحجم موجودة ناحية الشمال الشرقي من المكان المظلم (كما هي عادة أماكن المستنقع) على بعد عدة أمتار منا، ساحة دائرية ضخمة بالأمام وخمس توابيت في الخلف وظلام يعم أحد بقاع المستنقع المجهولة لنا وخريطة صماء لا تحمل عنها أي معلومات..

فكانت الساحة في مخيلتي اشبه بلوحة لصحراء تم تلوينها باللون الأسود بدرجاته المختلفة ورسم بها شخص يحتضر بعد موت ناقته ونفاذ مخزون مياهه وضياع خريطة طريقه..

تحركت عائدة لهم أملًا في أن يكونوا عثروا على شيء يساعدنا في تفسير ما حدث لبقيتنا، كانت عيونهم تخبرني أنهم لم يعثروا على شيء جديد له قيمة تذكر وأن النهاية قد اقتربت وأننا نحتضر فيما تبقى لنا من وقت في تلك الساحة، بعد لحظات سادها الصمت والحيرة.

قالت (داشا) بسخريتها العبثية المعتادة بعد أن استلقت على الأرض باسطة ذراعيها:

- ما رأيكم بدفن أنفسنا في تلك التوابيت مثلهم، صدقوني سنرتاح..

رد (ألمو) بنبرة توبيخ:

- (داشا)، هذا ليس وقت مناسب لسخريتك إطلاقًا.

رغم عبثية ما قالت (داشا) إلا أنه مع بعض التمعن يبدو الوحيد أمامنا، فالتفت نحو (ألمو) بعد أن ترجمت ما كانت تقصده (داشا) وقلت:

- أتعلم أن ما قالته (داشا) هو الطريقة الوحيدة التي يمكنها أن تفسر لنا ما حدث معهم وتجعلنا نصل لتفسير ما.

قبض (ألمو) حاجبية متعجبًا ثم تساءل قائلًا:

- ماذا تقصدين؟

- أقصد أن الشيء الوحيد المنطقي لجميعنا حتى الآن هو أن بقية أفراد فريقنا قد دفنوا بالفعل في تلك التوابيت، فلكي نفهم ما حدث لهم بعد ذلك، أظن أن علينا دفن أنفسنا في تلك التوابيت حقًا..

تأملاني هما الاثنان بنظرة تعجب وعدم فهم، لكن (داشا) قالت:

- هذا هو الحل الوحيد بالفعل، فلنجرب، فربما نصل لشيء قد يساعدنا على فهم ما حدث لهم..

حملت أنا و(داشا) (ألمو) وأغلقنا التابوت عليه ثم أغلقت أنا التابوت على (داشا)، بعدها وضعت نفسي داخل تابوت آخر وسحبت فوقي غطائه الرخامي، أغمضت عيني منتظرة حدوث أي شيء..

مرت فترة طويلة دون أن يتغير أي شيء، بعد ذلك سمعت أذني صوت مألوف لها، لم أتذكر من هو صاحب الصوت تحديدًا، لكنني ميزت أنني قد سمعته من قبل بالمستنقع، كان الصوت أنثويًا يقول:

- افصلوا أرواحكم عن أجسادكم ولا تخافوا..

حركت يديَّ نحو غطاء التابوت لأزيحه وهنا كانت الصدمة، فقد تحولت يداي أو بمعني أدق جسدي كله إلى جسد هلامي كجسد الأشباح، كانت أطرافي تخترق غطاء التابوت، تكرر بعد ذلك الصوت الأنثوي في أذني:

- افصلوا أرواحكم عن أجسادكم ولا تخافوا..

خرجت بجسدي الهلامي خارج التابوت، تأملت المكان من حولي فوجدت (ألمو) و(داشا) واقفين خارج توابيتهم بأجساد هلامية، لم أتعجب من رؤيتي ل(ألمو) واقفًا على قدميه فتلك كانت روحه وليس الجسد، خرجت من التابوت متجهة نحوهم، تكرر الصوت الأنثوي الذي سمعناه -وقت ما كنا داخل التوابيت- من خلفنا:

- هل لا زلتم تتذكرون صوتي؟

التفتنا جميعًا ناحية الصوت، كانت صدمتنا لا توصف لحظتها ولم نقدر على التعبير بأي شيء لفترة قصيرة..

كم مر من الوقت على فقدانها؟

لا تزال جميلة كما كانت، بشرتها البيضاء وعيونها الضيقة وقامتها القصيرة وأنفها الطويل وشعرها ذو اللون الأسود وجسدها النحيف، كانت تظهر أمامنا كأحد الأرواح وجسدها

يشع باللون الأزرق، نعم هي ذاتها دون تغيير، الفتاة الخامسة في فريقنا والتي أصيبت برمح في ظهرها بواسطة تلك الوحوش العميان وقمنا بدفنها..

ابتسمت أنا ورددت في نفس اللحظة التي ردت فيها (داشا) و(ألمو):

- بالتأكيد نتذكر..

قالت (داشا) بعبثيتها المعتادة:

- أيمكنك أن تشرحي لي كيف جئتي إلى هنا، فلم أعد قادرة على استيعاب أي شيء..

ردت الفتاة الخامسة في فريقنا مفسرة:

- هذا المكان يدعي ساحة أرض الأسلاف، الأرض التي تنتقل لها الأرواح بعد موتها بالمستنقع، كل روح يكون لها طاقة تستمدها من الأحياء اللذين يدفنون في تلك التوابيت..

قاطعها (ألمو) متسائلًا:

- وما الذي يجعل الأحياء يقررون دفن أنفسهم في تلك التوابيت؟

ردت الفتاة الخامسة في فريقنا قائلة:

- هم لم يقرروا، لقد تم السيطرة عليهم عن طريق نوع من السحر تستخدمه أرواح أرض الأسلاف أشبه بالتنويم المغناطيسي..

سألت (داشا) بتعجب:

- تسحرهم بالتنويم المغناطيسي، ماذا تقصدين بالضبط؟

أكملت الفتاة الخامسة في فريقنا قائلة:

- أي جسد يموت بالمستنقع تنتقل روحه لهذا المكان، كل روح بالمستنقع لها مخزون طاقة لو انتهى تهلك تلك الروح وتختفي للأبد، فحتى لا تهلك تلك الروح تحاول تجديد مخزون الطاقة عن طريق طاقة الأجساد التي تدفن في تلك التوابيت باستخدام نوع من السحر أشبه بالتنويم المغناطيسي، يتم عن طريق قلادة لا تمتلكها غير روح من أرواح أرض الأسلاف، تمكن تلك القلادة الروح التي تحملها من السيطرة على عقل الأحياء لإجبارهم على دفن أجسادهم في التوابيت، فطاقة الأجساد المدفونة تجدد مخزون طاقة أرواح أرض الأسلاف، هذا بالضبط ما حدث مع بقية أفراد الفريق.

تساءلت أنا:

- حسنًا، ماذا يفترض بنا أن نفعل كي ننقذ بقية أفراد الفريق؟

أشارت الفتاة الخامسة في فريقنا نحو الساحة الضخمة الموجودة ناحية الشمال الشرقي من تلك المنطقة وقالت:

- ستتحركون نحو تلك الساحة، بإشارة من المصباح ستستدعون أرواح أرض الأسلاف الموجودة للساحة، ستعبرون بثلاثة اختبارات، لو نجحتم بتخطيهم ستتمكنون من استعادة أرواح بقية الفريق، بالإضافة إلى أنكم ستحصلون على الخمسين صندوقًا المتبقية لكم بتلك الرحلة..

سأل (ألمو) بنبرة خوفه المعتادة:

- وماذا لو فشلنا؟

ردت الفتاة الخامسة في فريقنا قائلة:

- أجسادكم المدفونة في تلك التوابيت ستتحجر، بالإضافة إلى أجساد بقية أفراد الفريق، كما أن طاقتها ستضاف لمخزون طاقة أرواح أرض الأسلاف، كما أن أرواحكم ستصبح من أرواح خدام أرض الأسلاف، أرواح سيكون لها

مخزون طاقة يتجدد بالسيطرة على طاقة أجساد جديدة عن طريق تنويمها مغناطيسيًا ودفنها في تلك التوابيت..

سألت أنا ونار الخوف مما سنواجهه تلتهمني:

- هذا يعني أننا لو خسرنا سنحبس هنا للأبد كأرواح في أرض الأسلاف!

ردت الفتاة الخامسة في فريقنا بنبرة يائسة:

- بالضبط..

التفتت (داشا) نحو الفتاة وسألتها:

- ألا يمكن أن تكوني أنتِ أيضًا تحاولين أن توهميننا لتتمكني من تنومينا مغناطيسيًا حتى تستفيدي بطاقة أجسادنا؟

نظرت ل(داشا) وقلت معنّفة:

- ما هذا الذي تقولينه؟

ردت (داشا):

- أليس هذا وارد؟ بالإضافة لأن (كايلا) لم تكتب أي شيء في الخريطة عن هذا المكان

ردت الفتاة الخامسة في فريقنا بلهجة استنكار:

- كلامك صحيح، لكن برأيك ما هو السبب الذي يجعلني أشرح لكم كل تلك التفاصيل ولماذا لم أقم بتنويمكم مغناطيسيًا من اللحظة التي رأيتكم فيها؟

التفت الفتاة نحوي مكملة بنبرة أكثر هدوء:

- أما بالنسبة لأن (كايلا) لم تكتب أي شيء عن هذا المكان، فهذا لأن المكان عبارة عن مقبرة للأموات ثمن دخولها هو الموت بالدفن في تلك التوابيت فتذكروا دومًا أنكم موتي وتحاولون إنقاذ أنفسكم من سجن الموت قبل إنقاذكم لبقية أفراد فريقكم، هذا بالإضافة إلى أن روحي ليست من أرواح أرض الأسلاف لأنني لم أدفن في تلك التوابيت، فبالتالي لن أحتاج لطاقة أرواحكم لأنني لا أمتلك قلادة من قلادات أرواح الأسلاف..

قلت للفتاة سريعًا في محاولة لإصلاح ما أفسدته (داشا):

- لا تغضبي منها، هي لم تقصد..

كم قاسٍ هو شعورها ونحن لا نثق بها بعد محاولتها لإنقاذنا، فكان يمكن لنا أن نهلك أو نتحرك في المكان عبثًا حتى تصادفنا أرواح من أرض الأسلاف تستنزف طاقة أجسادنا وتحولنا إلى أرواح مثلهم تهيم بحثًا عن الأجساد

لامتصاص قوتها كي تعزز مخزون طاقتها..

مرَّت فترة صمت علينا منتظرين فيها (داشا) أن تغير قرارها وتقرر المجازفة والإقدام على الحل الذي قالته الفتاة لنا، فترة صمت طالت كنا نتأمل فيها بعضنا البعض، فترة صمت قطع استمرارها حديث الفتاة قائلة:

- في أرض الأسلاف الأرواح لا تشعر بحزن أو فرح، الأرواح تشعر فقط بالخوف، بالمناسبة أين هي (كايلا)؟

نظرنا لبعضنا مجددا ثم قلت أنا إجابة قصيرة شافية تنهي فرصة السؤال عن باقي التفاصيل بعدها:

- (كايلا) تحولت لواحد من تلك الوحوش العميان..

صمتت الفتاة ونكست رأسها حزنا من صدمة ما سمعت، ثم التفتت لنا قائلة:

- خسرت في تلك الرحلة نفسي و(كايلا)، احتمال أن أخسركم أنتم أيضًا.

قالت (داشا) ساخرة مما قالته الفتاة:

- يبدو أنها ستنافسني في الكآبة.

ابتسمت الفتاة الخامسة في فريقنا وابتسمنا نحن جميعًا، أطلقنا ضحكة من القلب أزالت كثيرًا من خوفنا لو خسرنا كل شيء بفشلنا في اختبارات تلك الساحة..

فليس فقط كلما ابتعدت المسافات ازداد العشق بل كلما ازداد ألم القلب ازدادت الضحكة التي تليه جمالًا..

بعد فترة ضحك قصيرة كنا حقا في حاجة ماسة إليها قالت الفتاة:

- جاهزون؟

هز ثلاثتنا رؤوسهم تأييدًا، تحركنا برفقة الفتاة الخامسة في فريقنا ناحية الساحة الدائرية، صعدنا عدة درجات رخامية ثم رفعت يدي لأرفع المصباح وأبعث بنداء لأرواح أرض الأسلاف، لكن الفتاة أمسكت يدي الحاملة للمصباح وقالت بنبرة تحذير:

- قبل أن تستدعوا أرواح أرض الأسلاف أريد أن أنبهكم بأن الاختبارات في منتهى الصعوبة، أنا لا أعلم تفاصيلها بالكامل، لكن ما أريد أن أقوله لكم أنه مهما حصل في تلك الاختبارات إياكم والخروج خارج حدود الساحة، فالساحة هي المكان الوحيد التي لا يمكن لأرواح أرض الأسلاف أن

تقوم فيه بتنويمكم مغناطيسيًا إلا لو خسرتم في الاختبارات الخاصة بكم..

نظرت أنا لعيونهم مستشفة لقرارهم النهائي، فكانوا (كما أخبرتني عيونهم دومًا) مستعدون وكما هي العادة متحدون للموت ومجازفون بحياتهم في اختبارات تلك المنطقة لإنقاذ بقية أفراد فريقنا بالإضافة لبقية شعب المستنقع بالتأكيد..

رفعت المصباح عاليًا، خرجت منه شرارة ضوئية ارتفعت عاليا وأضاءت أربعة أعمدة إنارة ضخمة كانت على حدود الساحة الدائرية، انتظرنا بعد ذلك ظهور أرواح أرض الأسلاف..

لو قسمنا الساحة الدائرية لنصفين، نصف نقف فيه نحن الأربعة ونصف مقابل، فقد بدأت أرواح الأسلاف تصعد -من النصف المقابل لنا- واحد تلو الآخر للساحة الدائرية..

كانت أرواح أرض الأسلاف أرواح بنفس هيئتنا البشرية مع اختلاف أن وجوههم كانت تغطيها أقنعة حجرية، وجوه عابثة متشابهة مصممة بنمط واحد يعلوها شعر رؤوسهم الذي لا يعتبر شيء يميزهم عن بعضهم، أما عن ملابسهم فقد كانت عبارة عن معاطف طويلة باللون الأحمر الدموي يتدلى من كتفه الأيسر -من جهة الظهر- وشاح قماشي باللون الأسود،

إضافة لسراويل وأحذية جلدية طويلة الرقبة ترتفع حتى مستوي الركبة، كما أن كل روح منهم كانت مرتدية لقلادة دائرية الشكل مكونة من حجر دائري بلون السماء تعلو سطحه نجمة فضية براقة، بعد وصول عددهم إلى ما يقارب الأربعين، تقدم أحدهم عدة خطوات للأمام قائلًا بنبرة مسرح كلاسيكية:

- مرحبًا بكم في ساحة أرض الأسلاف، الملاذ الأخير بعد أن تموت الأجساد وتدفن، لكن الحقيقة أنه ليست كل الأرواح مميزة أو تصبح من ضمن أرواح أرض الأسلاف على العكس، بل إنها الأرواح التي تدفن في تلك التوابيت هنا فقط، هذا ما لم تستطع (كايلا) أن تترجمه لكم للأسف..

تقدمت بعد ذلك امرأة أخرى من أرواح أرض الأسلاف، كانت ترتدي نفس القناع الحجري الأصم العابث الذي يعلوه شعر أسود مسترسل وقالت:

- (كايلا) هي أول من أكتشف هذا المكان، لكنها لم تقدر على كشف سر اختفاء الأجساد التي تدفن بداخل التوابيت، أنا أول شخص انتقلت روحه لهذا المكان، كنا نلعب لعبة (سُرداي) وخسرت، بعدها لحسن حظي دفنتني (كايلا) في تابوت من التوابيت الخمسة لأرض الأسلاف..

قاطع المرأة صوت روح لرجل آخر من أرواح أرض

الأسلاف قائلًا:

- الأرض التي تهب للموتى المدفونين في توابيتها الخمسة فرصة للرجوع للحياة مجددا، الفرصة التي في نفس الوقت تعتبر طريقة لجعل روحهم روح خالدة في أرض الأسلاف، ملاذ الأرواح من الهلاك..

أكملت بعدها المرأة التي كانت تتحدث سابقًا من أرواح أرض الأسلاف:

- أنتم ستمرون باختباركم الأول، ضد خوفكم..

قال الرجل الذي بدأ بالحديث معنا من بين أرواح الأسلاف وقال مشيرًا نحوي:

- سنبدأ بالفتاة التي تحمل المصباح..

ما إن أنهى جملته الأخيرة حتى انشطرت كتيبة أرواح الأسلاف إلى مجموعتين، مجموعة تحركت عدة خطوات جهة اليمين والأخرى جهة اليسار، محدثين خلفهم فراغًا اخترقه خطوات شخص مألوف الملامح بالنسبة لنا أنا و(داشا) و(ألمو) والفتاة الخامسة بفريقنا جيدًا، لكن رغم ذلك كان ظهوره المفاجئ مصدر يضخ الخوف في أوصالي، لا أعلم إن كان خوفًا عليه أم خوفًا لعدم وجود تفسير منطقي يفسر كيفية ظهوره أمامنا بتلك الساحة، لكن باللحظة التي

كنت أعيش فيها تلك اللحظات كان خوفي عليه هو الأكثر تأثيرًا..

لم يكن غريبًا علينا جميعا ظهوره في أرض الأسلاف، لكن ما كان غريبًا على الجميع هو أن ظهوره له علاقة باختبار ضد خوفي..

سألت (داشا) مستنكرة:

- أليس هذا هو الفتى الذي كان برفقتك في الغرفة السوداء وأتيتم بنفس اليوم معًا إلى المستنقع؟

قال الرجل الذي بدأ بالحديث معنا من بين أرواح الأسلاف:

- بالضبط، الغرفة السوداء، بالتأكيد أنتِ تتذكرين كل ما حدث بينكم في تلك الغرفة أليس كذلك؟

رددت أنا بتلقائية:

- نعم، أتذكر كل شيء.

قال رجل آخر من أرواح الأسلاف:

- لكنكِ لا تعرفين إلى الآن ما الذي حدث حينما فقدتِ

وعيك بعد أن فتحتما باب الغرفة، فكل ما تتذكرينه هو أنك وجدتِ نفسك فجأة..

مغتصبة، فتلك هي اللحظة التي كُسرت فيها ثقتي به ثم قام بتجديدها، تلك اللحظة التي قطعنا فيها عهدًا أنا وهو بأننا لن نموت في هذا المكان..

أكمل الرجل ذاته من أرواح الأسلاف حديثه قائلًا:

- وجدتِ نفسك فجأة بملابس مهترئة وجسد به بعض الجروح الدامية، لكن أتعرفين ماذا حصل حينها بالضبط؟

قلت ورأسي منكسة تنظر للأرض في منتهي الخجل والانكسار:

- لا أعرف ولا أريد..

صرخ الرجل ذاته قائلًا:

أأغتصبك، كذب عليكِ وقال أنه كان مغمى عليه مثلكِ بالضبط..

صرخت أنا في وجهه مقاطعة:

- كذب..

قالت الفتاة التي قالت أنها كانت أول من دفنوا في توابيت أرض الأسلاف بواسطة (كايلا):

- إن كنتِ تظنين أن ما قاله كذب، بالتأكيد لن تخافي من رؤية حقيقة ما حدث وقتها.

صعدت لحظتها فتاة شبيهة لي، أظلمت الساحة تمامًا بعد ذلك كما كان لون سواد جدران الغرفة السوداء ومن خلف شبيهتي والفتى الذي كان معي بالغرفة السوداء ظهرت نفس الجدران الأسود بالغرفة الذي اكتشفناه ثم فتحناه سويًا أنا والفتى، في حين قامت شبيهتي والفتى بفتح ذلك الباب مجددًا، مما تسبب في ظهور نفس الضوء الأبيض الذي حجب الرؤية عنا والذي تسبب في سقوطنا في إغماءة جديدة..

بعد أن اختفى تأثير الضوء الأبيض من الغرفة وجدت شبيهتي تصرخ أثناء محاولتها البائسة في مقاومة الفتى وهو يقوم بسحلها من شعرها مستنزفًا لآخر ما يحتويه جسدها من طاقة لمقاومته..

حينها اعتراني الرعب خوفًا من أن تكون تلك الرؤية حقيقة بالفعل، حيث تسبب مشهد سحل الفتى لشبيهتي في تمزق ملابس شبيهتي بالضبط كما حدث لملابسي، إضافة

للجروح التي أصابت جسدي، أما الفتى فقد شرع حينها باغتصابها، في حين ظلت شبيهتي تقاومه بما تبقي بجسدها من طاقة، ليقرر الفتى بعد حوالي دقيقة بأن يمسك برأس شبيهتي ويضربها بقوة في الحائط اليميني من الغرفة كي تتوقف عن مقاومته كليًا، لتغيب حينها شبيهتي عن الوعي كدمية قماشية دون أي مقاومة تذكر، في حين يتلذذ الفتى بمهمة اغتصابها..

هل ما أراه الآن حقيقة أم كذب ووهم من نسج أرواح الأسلاف بالساحة؟

أهذا المشهد هو ما حدث لي حينها حقًا؟

أقام ذلك الفتى باغتصابي بالفعل بالغرفة السوداء؟

هل سبب قفزه بداخل حقل الطاقة -كي يمنحني حجر أتربنيوم- يعد بمثابة تكفير لما سببه لي من أذى بعدما نهشته أنياب غريزته!

حينها صرخ رجل آخر من أرواح الأسلاف مقاطعًا لشرود عقلي في كل تلك التساؤلات قائلًا:

- ما ترينه الآن هو ما حدث وأنتِ غائبة عن الوعي، ما

حدث هو أكثر شيء تخافين إلا يكون وهمًا نحن صناعه، لكن صدقيني تلك هي الحقيقة..

أصعب أنواع الخوف هو خوفك من فضح سر لطالما حاولت طمسه عن الآخرين، يليه صعوبة الخوف من صدمة أن يكون ما تعتقد بأنه وهم -في قرارة نفسك- ما هو إلا حقيقة مطلقة أصبحت شيئًا مسلَّمًا به في نظر كل من حولك..

هل أنا الآن خائفة أم مستحية مما أشاهده أنا وكل المتواجدين بالساحة يا ترى؟

اختفت شبيهتي بعد فترة وأصبح الفتى مرتديًا نفس ملابسه ويقف أمامي وجهًا لوجه بالساحة، يدي اليمنى ظهر بها فجأة سكين صغير اما يدي اليسرى فكعادتها كانت تحمل المصباح..

كان الفتى الذي كان برفقتي في الغرفة السوداء لا يتحدث بفمه بل بعينية التي تتحداني لأخرج ذئاب خوفي كي تلتهمه..

صرخ رجل آخر من أرواح الأسلاف:

- خوفك أمامك، اقتليه..

ضممت قبضتي على السكين بمنتهي العنف وكأن الفتى هو من تعتصره قبضتي، سقط المصباح من يدي اليسرى دونًا عني، صوت سقوطه الذي دوي في أذني كان إشارة لانطلاق سلسال من أسهم غضبي لتخترق ثناياي..

صرخت بأقصى قوة يمكن لحنجرتي أن تصرخ بها ثم ركضت بعدها نحو الفتى الذي كان برفقتي في الغرفة السوداء..

لم أعلم كيف حملت كل هذا الغضب والكراهية والغل نحوك بتلك اللحظة يا صديقي، لكني أرجوك أن تسامحني، أرجوك أن تتذكر أنني لم أعد قادرة على السيطرة على أي شيء، فالغضب تملكني وقادني في رحلة عبر سفينة في محيط يسمونه الانتقام..

هل يا ترى سأقتلك انتقامًا مما فعلته بي وقت سقوطي في إغماءتي الأولى، ولا أسامحك على هذا الخطأ؟

أم سأقتل ما بداخلي من غضب يحركني دونًا عني؟

كل ما أريده يا صديقي هو أن تسامحني..

ركضت نحو الفتى والغضب يشتعل في جسدي، صراخي يتعالى ولا يهدأ والخوف يقودني، ترمقني نظرات من كل من بالساحة، اقترب الآن من الفتي، ارفع السكين واصرخ في وجهه معاتبة، اضربه بالسكين، يدي تهوى، اطلب أن تسامحني يا صديقي بدموع تسيل دون عني، فجأة..

اختفى الفتى من أمامي..

فقدت بعدها التحكم بجسدي وبكل حواسي، جسدي يهرول للأمام بلا توقف، خطوات وأخرج من الساحة، خطوت خطوة ثم الثانية للأمام نتيجة اندفاعي نحو الفتى، صرخت لكن جسدي لم يستجِب، الغضب كان يحركني والموت ينتظر سقوطي، السكين يشتعل كاللهب في يدي كلما تبحث عيناي عن الفتى ولا تجده أمامها..

أرجوك أوقفني يا صديقي فقد فقدت السيطرة وتبقت لي الآن أربع خطوات وأخرج خارج الساحة..

ثلاث خطوات فقط..

خطوتين..

خطوة واحدة..

السكين يشوه يدي عقابًا، وقدمي تعدو دون سيطرتي..

السكين!

نعم، لقد انتقمت يا صديقي، توقفت قدماي عن العدو وسقطت..

لا تقلق فلا زلت بالساحة..

آخر قوة لدي كانت طاقة للسكين ليطعنك يا صديقي، كل ذرة بجسدي كانت تقاومني (دون أن أعرف السبب) إلا لحظة طعني لقدمي بالسكين بدلًا من طعنك انتقامًا لما أرتني إياه أرواح الأسلاف بالساحة وأشك بمصداقيته..

علمت حينها أنني لم أكن أصارع خوفي مما رأيته، بل كنت أصارع خوفي من أن أطعنك أنت بالسكين وأنا لا أقدر على ذلك، فأنا أحبك يا صديقي..

سأقاوم الموت لأجلك، سأنقذك كما قاومت أنت كل شيء وقفزت في حقل الطاقة، لم يهمك إنقاذ شعب المستنقع فهمك الوحيد كان إنقاذي من موت محتم، لأننا تعاهدنا

على أننا لن نموت هنا بالمستنقع مطلقًا..

نزعت السكين بعد أن طعنت بها قدمي وأنا أصرخ من شدة الألم، لكنني أدركت بعدها أن الروح لا تشعر بالألم بل لا تشعر الروح إطلاقًا بأية مشاعر، ففي لحظة شعوري بالألم علمت أنني قد نجحت أخيرًا بالاختبار وهزمت خوفي..

تأكدت من ذلك حينما أسرع نحوي (ألمو) و(داشا) والفتاة الخامسة بفريقنا، تحركت بعد ذلك -بعرجة بسيطة بقدمي- نحو النصف الخلفي من الساحة مجددًا، صفق لي رجل جديد من أرواح الأسلاف قائلًا كما لو كان يلقي خطابًا ما:

- مخاوفنا لها العديد من الأشكال، الخوف من كشف سر ما بحياتك كان النوع الأول شفافية الروح حين تصل لدرجتها القصوى، الروح تسمو وتتحرر من كافة قيودها، روح بدون مخاوف، روح طاهرة، لقد نجحتِ في اختبارك وروحك عادت مرتبطة بجسدك مرة أخرى..

تقدمت للأمام سيدة أخري من أرواح الأسلاف وقالت:

- الآن شكل آخر من أشكال مخاوفنا، الخوف من فقدان

شخص عزيز علينا..

صعدت حينها فتاة صغيرة بعمر الست سنوات إلى الساحة من النصف المقابل لنا بالساحة، أكملت السيدة وهي تشير نحو فتاة الصغيرة بإبهامها وتنظر ل(داشا):

- تلك الفتاة هي محور مخاوفك، يصيبك الرعب لو أخطأت في أحد الأيام وقررت أن تتحرك في المستنقع دونك، الفتاة الصغيرة الوحيدة في ذلك المستنقع والتي قررتِ اعتبارها ابنتك، خوفك يزيد عليها كلما تجولتما سويًا بالمستنقع للبحث عن صندوق بطاريات تنفس، بالأخص حينما لا تعثرين على صناديق بالمنطقة الأولى من مناطق المستنقع وتقررين بعد ذلك الذهاب للمناطق الأخرى أو بمعنى أدق منطقة الوحوش العميان، هجمت وحوش عليكم وأطلقت عليكِ سهمًا في كتفك، امسكتِ بيد الفتاة وركضتي للهروب بها وكل همك أن تنقذيها، فالخوف دائمًا ما يقيدنا..

ضحكت (داشا) ضحكة ساخرة وقالت لتلك السيدة من أرواح الأسلاف:

- أتريدين مني أن أقتل تلك الفتاة؟

ابتسمت السيدة وهزت رأسها نفيًا ثم أكملت:

- أنا أريدكِ أن تقتلي خوفك عليها..

نظرت السيدة للخلف، كان هناك وحش من الوحوش العميان التي رأيناها في المحطة الثانية من رحلتنا، صعد الوحش نحو الساحة وهو يحمل بين يديه قوس وخلف ظهره جعبة من السهام، التف بجسده نحو الفتاة الصغيرة وأخرج سهمًا وشد وتر قوسه مصوبًا سهمه نحوها..

صرخت (داشا) وركضت نحو الفتاة أملًا في إنقاذها قبل أن يخترقها سهم من هذا الوحش الأعمى، صرخت السيدة و(داشا) تركض نحو الفتاة:

- اقتلي خوفك..

ركضت (داشا) صارخة تصارع الزمن، الوحش أطلق أول سهم، سقطت الفتاة وسقطت (داشا) على ركبتيها، الفتاة غارقة في بركة دماء ووجه (داشا) غارق في بركة من الدموع.

تحركت السيدة ذاتها من أرواح الأسلاف التي كانت تتحدث مع (داشا) مقتربة منها، وقفت خلفها مباشرة وحملتها من إبطيها لتساعدها على الوقوف مجددًا، أعطتها سكينًا في يديها وهمست في أذنها وقالت:

- اقتلي خوفك..

عادت السيدة عدة خطوات للخلف وقالت بانفعال مخاطبة (داشا) مجددًا:

- اقتليه..

أخرج الوحش سهمًا آخر من جعبته، فصرخت (داشا) حينها صرخة المحارب الذي يأبى الاستسلام رغم أن جيشه نظريًا قد هُزم..

شد الوحش وتر قوسه و(داشا) تركض نحوه غير مبالية، صوب الوحش قوسه نحو (داشا) وهي على بعد خطوات منه..

شد الوحش وتر السهم وأطلق سهمه الثاني ليخترق كتف (داشا)..

ارتدت (داشا) عدة خطوات للخلف عقب اصطدام السهم بكتفها الأيسر، أسقطت السكين وأمسكت مكانه بذيل السهم الذي اخترق كتفها لتحاول انتزاعه..

كانت تصرخ من الألم وهي تسحب السهم من كتفها النازف كبركان ثائر..

كان الوحش حينها يستعد لسحب سهمه الجديد من جعبته، أمسكت (داشا) السكين في يمينها مجددًا، سحب الوحش وتر القوس، حاولت حينها (داشا) الوقوف مجددًا رغم ألم كتفها النازف، وجه الوحش قوسه نحوها إما هي فوقفت صامتة بوجه منكس ينظر للأرض، أعاد الوحش شد وتر القوس و(داشا) تتحرك نحوه بخطوات بطيئة وهي لا تزال برأس منكّس لا ينظر له، فأطلق الوحش سهمه الثاني..

ابتعدت (داشا) بخطوتين سريعًا نحو اليمين فمر السهم بجانب كتفها، سحب الوحش سهمًا جديدًا من جعبة سهامه في حين أصبحت (داشا) على مقربة منه، وجه الوحش قوسه نحوها، سارت (داشا) غير مكترثة بنفس الرأس المنكس لكن بخطوات أسرع بعض الشيء، شد الوحش وتر القوس فصرخت (داشا) راكضة نحوه، فأطلق هو سهمه الجديد.

أصاب السهم قدمها هذه المرة وسقطت على ركبتيها، سحب الوحش سهمه الجديد من جعبته، سحبت (داشا) حينها السهم من قدمها في مرة واحدة بمنتهى العنف بدون أي صرخة ألم وهي جاثية على ركبتيها..

شد الوحش وتر قوسه مجددًا، وقفت (داشا) على قدميها وفي يدها السهم الملوث بدمائها ووقفنا نحن جميعنا في الساحة نتأمل المشهد في صمت وتركيز..

تحركت (داشا) نحو الوحش بخطوات بطيئة، بعد ثوانٍ أطلق الوحش سهمه الجديد نحوها فقفزت سريعًا ناحية اليسار لتتفادى السهم وفي نفس اللحظة أطلقت السهم الذي كان في يدها ليصيب الوحش في يده التي يسحب من خلالها أسهمه من جعبتها..

ألقى الوحش بالقوس من يده الدامية وحاول نزع سهم (داشا) من يده..

أمسكت (داشا) بالسكين مجددًا وصرخت أثناء ركضها نحو الوحش في سرعة جنونية وهي تقفز وتضرب السكين -بكل ما في يدها وجسدها من عزم- في رأسه لتسقطه أرضًا..

أمسكت (داشا) بعد ذلك بالقوس وجعبة السهام اللذين سقطًا من الوحش وأخرجت أربعة أسهم من الجعبة، سحبت وتر القوس وأطلقت الأسهم الأربعة دفعة واحدة ليخترقوا جسد الوحش في أماكن متفرقة..

صرخت (داشا) مجددًا صرخة زفرت معها كل ما بقلبها من خوف وألم..

نزفت (داشا) من كتفها وقدمها، لقد شعرت بألم جسدها، أخيرًا نجحت في اختبارها ولم تعد روحًا بعد الآن..

أسرعت نحوها وحملتها نحو نصف الساحة الخلفي مجددا، بعدها تحرك رجل جديد من أرواح الأسلاف عدة خطوات للأمام في النصف المقابل من الساحة ونظر لنا وقال:

وقت الختام، اختبار الخوف الأخير ل (ألمو)..

تحرك عدة خطوات للأمام وهو يتأمل (ألمو) ثم سأل:

- الخوف من النهاية، الموت والتفكير الدائم فيه، المستقبل وتفاصيله الصعبة التي لحسن حظنا تكون مجهولة بالنسبة لنا، لكن لسوء حظك أنك من خوفك كنت تتمنى أن تشاهد مستقبلك لتعرف كيف ستكون نهايتك في هذا المستنقع، شاهدت الرؤية بمرآة المستقبل، كنت ساقطًا على الأرض عاجز عن الحركة وهي تقف بجوارك منتصرة..

في أثناء حديثه صعدت فتاة شبيهة لي إلى الساحة، أشار

الرجل ذاته من أرواح أرض الأسلاف بإبهامه نحو شبيهتي وأكمل قائلًا:

- إنه وقت تحقق الرؤية يا (ألمو)، أنها اللحظة التي كنت تخاف منذ قدومك للمستنقع، اللحظة التي قرر القدر أن يكتب فيها نهاية لقصتك..

ظهرت سكين في يد (ألمو)، تحرك الرجل ذاته عدة خطوات للأمام وهو يقول بنبرة تحفيز ل(ألمو):

- اقتل خوفك، اهزمه..

التفت لي (ألمو) وقال:

- أيًا كانت النهاية فلست أنتِ السبب فيها، أتمنى أن تسامحيني لأنني كنت قد ظلمتك واعتقدت أنك السبب..

تحركت نحوه ونظرت في عينيه نظرة ثقة وقلت:

- لن تموت، أي نهاية يمكن أن تتغير..

ابتسم في وجهي وقال:

- لو كانت نهايتي على يديكِ سأرتاح..

تحرك للأمام، نحو نهايته ونحو مصيره..

كلنا مجبرون لنعيش النهاية التي كتبها لنا القدر في قصة الحياة، فنحن في تلك القصة مجرد ممثلين منذ لحظة ولوجنا لها، فأنت ممثل لسيناريو القدر -بكل ما تملكه من أرادة وخيارات- الذي لن تقرأه مطلقًا تحت عنوان المستقبل المجهول..

خطوات تلو خطوات من (ألمو) نحو شبيهتي وهي تقف في صمت تنتظر قدومه، مشهد النهاية قد اقترب، ركض (ألمو) نحو شبيهتي سريعًا في محاولة لضربها بالسكين فتفادته، ركض مجددًا وتفادته، هوى بسكينه ليضربها، أمسكت شبيهتي يده بكفيها، حاول (ألمو) نزع السكين من بين يديها، تصارعوا، دفعته شبيهتي بقدمها فسقط، أمسكت بالسكين وركضت نحوه فهوت به لتطعنه فتفاداها، دفعها بيديه بعيدًا، تمالك (ألمو) أنفاسه السريعة، هوي بقبضته على شبيهتي فأصابها بلكمة في رأسها، دفعته مجددًا بقدمها، ركضت نحوه وضربت رأسه بركبتها، سقط (ألمو) على ظهره، هوت شبيهتي بالسكين لتطعنه، أمسك يديها بكفيه لكنها ضغطت بيدها الأخرى، رأس السكين كانت عند صدره، حاول (ألمو) المقاومة، لكن شبيهتي ضغطت بقدمها على السكين، بعد لحظات من المقاومة ترك (ألمو) يديه واخترق السكين صدره، أمسكت الفتاة بقدمه وسحلته خلفها ثم ألقته خارج الساحة..

ركضنا نحوه أنا و(داشا) والفتاة الخامسة في فريقنا لكن أرواح الأسلاف اصطفت مانعة إيانًا من الوصول إليه..

ظللنا نصرخ ونحاول دفعهم للوصول ل(ألمو) لكن ذلك لم يغير شيئًا، لقد خسرنا (ألمو) بعد فشله في اختباره، هزم من قبل مخاوفه، إنها النهاية كما كتبها له قدره، سحلته الفتاة شبيهتي لخارج الساحة واختفت..

تحرك بعد ذلك رجل من أرواح الأسلاف نحو (ألمو)، ممسكًا بقلادته التي انتزعها عن صدره، حركها من فوق رأسه لليمين ولليسار في حركات دائرية، حاول ثلاثتنا المقاومة مجددًا كي نعبر محاولين إنقاذه لكن دون جدوى..

حينها تحرك رجل آخر من أرواح الأسلاف من الساحة نحو (ألمو) حاملًا في يده قناعًا حجري كالقناع الذي يغطي وجه أرواح الأسلاف، جثى على ركبتيه ووضع القناع الحجري على وجه (ألمو) والذي كان فاقدًا للوعي وساقطًا في الإغماءة الأخيرة في سيناريو حياته، إغماءة الموت..

* * * *

الإغماءة الثانية عشر

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال الثاني عشر في رحلتنا:

- خلق الله الشيطان قبل البشر، فلماذا يحاسب البشر على أخطاء - قد فتح الشيطان عيونهم عليها- بدلًا من أن يحاسب الشيطان ذاته؟

أفاق (ألمو)..

صار روحًا جديدة في جيش أرواح الأسلاف، تقدم نحو الساحة التي سادها الصمت ووقف مع بقية الأرواح كأنه واحد من جيشهم..

لقد خسرنا (ألمو) لكن ربما لم نخسره للأبد، فستظل روحه بتلك الساحة تحاول ألا تفنى.

تكلم رجل من أرواح الأسلاف وهو يشير ل(ألمو) بلهجة انتصار:

- أرض الأسلاف ربحت روحًا جديدة..

سأفتقدك يا (ألمو)، صديقي الشجاع رغم كل شيء، أحسدك الآن يا صديقي لأن عقلك ارتاح من صداع الأسئلة التي تطرحها علينا عقولنا كل لحظة، أسئلة أشعر أنها ضربة بمنقار نقار خشب في كل مرة أقرر فيها أن أرتاح من عبء التفكير..

أكملت سيدة من أرواح الأسلاف قائلة:

- الآن حان وقت اختباركم الثاني، سنحتاج فقط لأن تأتي (دومينيكا) بجوارنا في الساحة..

لن أنكر خوفي في تلك اللحظة وخوفي من كل شيء قادم، في أول اختبار تحول (ألمو) إلى روح من أرواح الأسلاف وأُصبت في قدمي كما أصيبت (داشا) في كتفها وقدمها..

هل يوجد ما نخسره أكثر من هذا؟

ماذا ربحنا لكي نضحي بكل تلك التضحيات؟

وجدت قدميّ تحركني دونًا عني لأقف بجوار روح تلك السيدة من أرواح الأسلاف، بمنتهى اللا مبالاة وتبلد المشاعر..

فكنت أشعر لحظتها أنني أقف بأحد بالصفوف الأخيرة في طابور للفتيات التي يقوم وحش عملاق باغتصابهن واحدة تلو الأخرى، فكل ما كنت أريده حينها هو أن ينتهي الطابور وأقف أمام هذا العملاق مسلمة نفسي لأُغتصب في صمت تام دون أي ذرة مقاومة، فقد كنت واثقة أنه بعد اغتصابي سأتحرر، كما لن يشعر جسدي مجددًا بأي ألم.

قاوم حتى لو وصلت ممزقًا، فلذة الوصول سترممك..

فصدقني يا صديقي لو كنت مستعبدًا وأخبرك سيدك يومًا بأنك ستتحرر بعد أن تخدمه لعدة سنين جديدة، ستصير حينها متلذذًا بكل لحظة شقاء ومذلة تمر عليك إلى أن تستعيد حريتك مجددًا..

حينها وقفت بجوار تلك السيدة من أرواح الأسلاف والتي قالت:

- التضحية..

تحركت تلك السيدة بأرجاء الساحة كأنها على وشك إلقاء خطبة ما قائلة:

- كل خطأ حدث منذ تصميم هذا المستنقع عن طريق (جينوس) قُدم في مقابله التضحية المناسبة.

صمتت للحظة ابتسمت فيها ابتسامة عبثية ثم أكملت:

- حتى وجودكم هنا قُدّمت له تضحية، ربما لا زلتم لا تعرفونها بعد، لكنكم قطعتم جزءًا كبيرًا من الطريق الذي يوصلكم للإجابات التي تبحثون عنها..

بعد أن أنهت جملتها تحرك رجل من أرواح الأسلاف نحو

(داشا) والفتاة الخامسة في فريقنا (التي أخبرتني (ليديا) بأنها اختارت لنفسها اسم (برلانتا)) حاملًا بين يديه بندقية سهام وجعبة تحتوي على العديد منها، أعطاهم ل(داشا) ثم عاد ووقف بجوار السيدة ذاتها من الأسلاف والتي أكملت حديثها قائلة:

- اختباركم الثاني هو تضحية صغيرة مقابل إنقاذ بقية أصدقائكم، فستستدعي (دومينيكا) أرواح أصدقائكم الخمسة هنا إلى الساحة، الأرواح الخمسة ستكون خفية بالنسبة إليكم وسيقومون بمهاجمة (دومينيكا) باعتبارها روح من أرواح أرض الأسلاف التي تحاول امتصاص طاقة أرواحهم، بينما ستستعد (داشا) في هذا الوقت لاصطيادهم ببندقية السهام والتي يمكنها تصويب خمسة سهام فقط، السهم الذي ستضربه (داشا) ولسوء الحظ يضيع ولا تصطاد به روح من الأرواح الخمسة الخفية لأصدقائكم، سيعتبر تضحية رسمية بطاقة تلك الروح لأرواح أرض الأسلاف الموجودة وتضحية أيضًا بفرصة تحويل روحة لروح من أرواح أرض الأسلاف، فحينها ستصبح تلك الروح روح مدمرة فانية..

صرخت (برلانتا) باستنكار:

- لكن هذا جنون..

قالت السيدة ذاتها من أرواح الأسلاف بطريقة صارمة:

- أنتِ المجنونة لو ظننتِ للحظة أنه يمكنك بسهولة أن تستعيدي روح دفنت في توابيت أرض الأسلاف لأجسادها..

قال رجل آخر من أرواح أرض الأسلاف:

- نحن سنضحي بطاقة أرواح أصحابكم التي كان من الممكن أن نستفيد بطاقتها، بالإضافة لفرصة ضم أرواحهم لجيش أرض الأسلاف، يجب أن تكون هناك تضحية لكل تلك التنازلات..

قالت (داشا) مستنكرة:

- لكنها أرواح لا يمكنني رؤيتها ويفترض بي أن أقوم باصطيادها! فهل من المفترض أن يكون ثمن سهم عشوائي بخطأ مني لم يصب روح من أرواحهم أن تفنى تلك الروح.

بنبرة يأس وبجسد فقد القدرة على الإحساس من كثرة حروقه وكرجل قرر أن يعتبر السجن بيته بعد حكم بالمؤبد قلت وأنا منكسة الرأس:

- (برلانتا) ماتت بطعنة رمح بخطأ، (كايلا) تحولت لوحش بخطأ، (ألمو) تحول لروح من أرواح أرض الأسلاف بخطأ، خسارتنا لبعض صناديق بطاريات تنفس كانت بخطأ، كل

تلك الأخطاء كنا نعرف أنها وارد أن تحدث وقد حدثت بالفعل وبالرغم من ذلك قررنا أن نتحمل ونكمل، فيفترض بنا أن نكمل حتى لو سننقذ روح فرد واحد من فريقنا فقط..

قالت (داشا) معترضة:

- لكنني لن أقدر..

ألتفت للسيدة التي حدثتنا عن اختبارنا الثاني من أرواح الأسلاف وقلت:

- أنا جاهزة لنبدأ..

ألتفت ل(داشا) وأنا ممسكة بالمصباح بيدي الاثنتين وقلت:

- صوبي على المصباح حين أعطيكِ الإشارة..

نظرت لي (داشا) بتعجب كأنها تلعن جبروتي الذي أحمله منذ أن بدأنا تلك الرحلة، كان جبروتًا أشبه بقائدة جيش مكون من ثلاثة عشر عملاقًا ستصارع جيش محاربين بالآلاف، ربما العملاق بضربة منه سيزيح عشرات الجنود، لكن الجنود في النهاية ستقتل العملاقة وتربح المعركة..

قال رجل آخر من أرواح أرض الأسلاف:

- كل روح ستصطادونها ستتحول لحجر أترينيوم أزرق، حجر البعث الذي له القدرة على استرجاع أرواح أصدقائكم لأجسادها مرة أخرى، بينما طاقة الأرواح التي لن تتمكنوا من اصطيادها ستضاف لأرواح أرض الأسلاف، سيكون لكم حرية بالطبع في اختيار من ستعيدونه للحياة من بين أصحابكم ومن لا، فتلك هي التضحية..

رفعت مصباحي عاليًا كما هي العادة عند بداية أي اختبار بالمستنقع ليرتفع منه شعاع نحو السماء وقام بعمل شيء أشبه بالفجوة في السماء، بعد وقت قصير من التحديق للسماء صرخت (برلانتا):

- الأرواح ظهرت..

سألت (داشا) بعبثيتها المعتادة:

- كيف يمكنك رؤيتهم وهم مختفون؟

قال الرجل ذاته من أرواح الأسلاف:

لأنها روح مثلهم، لكنني لا أظن أن رؤيتك للأرواح سيساعد (داشا)..

بالتأكيد لن يساعدها، لأن (برلانتا) أحد الأرواح وكل

ما تستطيع فعله هو توجيه (داشا) عن بعد ووصف أماكن الأرواح الخمس ل(داشا)، في كل الحالات (داشا) أشبه بحصان سباق حواجز مُغم العينين يقفز بتوجيه فارسه عن طريق اللجام، ربما يكون التفاهم بينهم عاليًا ويستطيع القفز عبر تلك الحواجز وربما تصاب قدمه أثناء القفز ويسقط، فكنت أشفق حينها على (داشا) لأنها كانت محملة بعبء كبير حقًا، لكن منذ متى ونحن نجد راحة في هذا المستنقع والموت فيه على بعد خطوات منا في كل محطة جديدة..

كانت أرواح أرض الأسلاف تقف على حدود الساحة، قلت أنا ل(برلانتا):

- نحن نحتاج أن نجمع الأرواح كلها ناحية المصباح حتى تكون نسبة نجاحنا في صيدنا لهم بالأسهم عالية.

قالت (برلانتا):

- إنهم واقفون يمينك ويسارك، حاولي أن تجري على حدود الساحة حتى تجذبيهم خلفك للمصباح..

ركضت كما قالت (برلانتا) على حدود الساحة في اتجاه دائري، بعد فترة من الركض بدأت أشعر وكأن أحد يحاول سحب المصباح بين يدي ففهمت أن بعضهم قد ابتلع الطعم، وقفت أحاول مقاومة الأرواح من نزعهم للمصباح من بين

يدي، مع ازدياد الأمر صعوبة صرخت أنا ل(داشا):

- أطلقي سهمك على المصباح..

صرخت (برلانتا) ل(داشا):

- أطلقي.

أطلقت (داشا) سهمها الأول وسقطت بعدها أرضًا من تأثير بندقية السهام، ظهر ببعد ذلك بجواري حجر أتربنيوم أزرق، أمسكت سريعًا بالحجر ووقفت مجددًا ثم سمعت من خلفي صوت تصفيق، كان رجل من أرواح أرض الأسلاف يصفق ويتقدم متحركًا نحوي وهو يقول:

- نجحتم في جولتكم الأولى من الاختبار، أعتقد أنه يجب أن نزيد صعوبة الاختبار قليلًا.

ابتسم الرجل ذاته من أرواح الأسلاف ابتسامة عبثية وأكمل:

- حتى تزداد المتعة..

رفع الرجل ذاته يديه عاليًا، في نفس اللحظة أرتفع عمودان فجأة بالساحة إلى ارتفاع يقارب الخمسة أمتار، انطلق بعد ذلك من العمودين حبلان التفا حول قدمي

وحبلان آخران أمسكا بيدي، قيدتني الحبال من أطرافي كالمصلوبة ثم قال الرجل ذاته من أرواح الأسلاف:

- في الجولة الثانية من الاختبار ستحاولون اصطياد روح من الأرواح الأربعة المتبقية لأصدقائكم و(دومينيكا) مقيدة بتلك الحبال، الآن سيستدعي المصباح أرواح أصدقائكم تلقائيًا للساحة.

عاد بخطوات للخلف وهو يقول:

- هيا لنبدأ المتعة..

خرج ضوء من المصباح تسبب في فجوة في السماء ظهرت منها الأرواح مجددًا كالمرة السابقة، حاولت أنا سريعًا المقاومة وتحريك أطرافي لكن دون جدوى بسبب قوة شد الحبال. قالت (برلانتا):

- (دومينيكا) حاولي أن تقاومي وتتحركي لليمين أو اليسار.

(برلانتا) أنا أحاول، لكن مقاومة تلك الحبال شيء صعب للغاية، كلما قاومت تزداد قوة شد تلك الحبال، فكري في أي حل آخر بسرعة..

قالت (داشا) كعادتها بمنتهى التسفيه للموقف:

- الأمر بسيط، الأرواح لن تؤذي (دومينيكا)، الأرواح تهاجم المصباح فقط، حينما تقترب الأرواح للمصباح سأطلق سهما لنصطاد روحًا من بينهم مثلما فعلنا في الجولة السابقة..

ردت (برلانتا) مستنكرة:

- الأمر بالتأكيد ليس بتلك البساطة يا (داشا)، فبمجرد أن تطلقي السهم سينفك حبلان من الحبال التي تربط يدي وقدمي (دومينيكا) بينما الحبلان الآخران سيسحبونها ناحية عامود من الأثنين والسهم لن يصطاد أي روح وبذلك نكون قد خسرنا هذه الجولة من الاختبار، يجب أن نفكر في حل آخر.

قلت ل(برلانتا) بارتباك:

- بسرعة يا (برلانتا) لا يوجد وقت، فكري في أي حل..

كانت (برلانتا) الوحيدة القادرة على رؤية تلك الأرواح وتتبع تحركاتها، كما أنها الوحيدة التي تستطيع الرؤية وسط تلك الغيمة السوداء المعتمة..

حاولت مجددًا مقاومة قوة شد الحبال لكن دون جدوى، صرخت ل(برلانتا) كي تسرع بإيجاد حل قبل هجوم الأرواح

على المصباح وأصرخ لـ(داشا) كي تسرع بالإطلاق على المصباح،كانت (برلانتا) لا زالت تفكر في حل يزيد من فرصنا في اصطياد أحد تلك الأرواح، بعد عدة صرخات لـ(برلانتا) كي تجد حلًا قالت لي:

- (دومينيكا) ارمي المصباح من يدك..

تعجبت مما قالت ولكنها كررته ثانية، فبالتأكيد قد فكرت في حل مناسب يجنبنا خسارة إحدي فرص إنقاذ أي من أصدقائنا، للحظة ترددت من فقدان المصباح لكنني لم أجد حلًا غير الثقة في (برلانتا) نظرًا لأنها الوحيدة التي ترى تلك الأرواح وتعرف كيف تساعدنا في اصطيادها إحداها، ألقيت أنا المصباح عاليًا كما قالت وفي نفس اللحظة بالضبط التفتت (برلانتا) لـ(داشا) وصرخت في وجهها:

- اطلقيييييي.

ضربت (داشا) سهمها نحو المصباح، سقط المصباح وبجواره سقط حجر بعث آخر، نجحنا بإنقاذ اثنين من أصدقائنا وتبقت ثلاث جولات بالاختبار وننقذ الجميع، انفكت الحبال التي كانت تقيدني واختفى العامودان أيضًا، عادت ملامح الساحة كما كانت، تقدمت للأمام سيدة أخرى من أرواح الأسلاف وقالت ضاحكة:

- مبهرون في الحقيقية، لكن ربما حقًا مثلما ذكرت (داشا) الأرواح لا تؤذي (دومينيكا) لأنها تهاجم المصباح فقط، فحين تقترب الأرواح من المصباح ستطلق (داشا) سهمها وتصطاد روحًا، الأمر فعلًا في الجولات السابقة من الاختبار كان بسيطًا لحد كبير، لذلك يجب أن تزداد صعوبة الاختبار..

لم أتردد لحظة في الجزم بأن الاختبار سيزداد صعوبة عن طريق سيناريو سأكون أنا بطلته الرئيسية، وسيتم عرقلتي بأي طريقة ممكنة كما حدث في الجولة السابقة، لكن ما حدث في الجولة الجديدة كان غير متوقع..

الساحة الدائرية كانت مقسمة لنصفين، نصف متواجد به أنا وأرواح الأسلاف والنصف المقابل تقف فيه (داشا) و(برلانتا)، فجأة ظهرت أعمدة خشبية أمام (داشا) و(برلانتا) واشتعلت النار فجأة في تلك الأعمدة لتكون ستارة نارية تحجب الرؤية عنهما وتصعب مسألة إطلاق السهام بشكل كبير، قالت السيدة ذاتها من أرواح الأسلاف:

- أعتقد أنه الآن زادت صعوبة الاختبار، فنسبة نجاحكم أصبحت معدومة..

استدعى المصباح الأرواح للساحة مجددًا في حين وقفت أنا ساكنة لا أعرف إلى أين ينبغي أن أخطو خطوتي القادمة،

كنت حينها كالكفيفة بدون توجيهات (برلانتا) وكالفريسة السهلة لتلك الأرواح بدون سهام (داشا) ولو ظل الوضع كما هو عليه فسنخسر فرصة إنقاذ أحد أصدقائنا الخمس إن لم تطلق (داشا) سهما ولو عشوائيًا

أو ربما يدمر المصباح ونخسر أمل استمرارنا في استكمال رحلتنا لإنقاذ شعب المستنقع للأبد..

عيوني كانت لا ترى غير الستارة النارية وهي تزداد اشتعالًا وأذني لا تسمع غير صوت الجدال بين (برلانتا) و(داشا)، تصرخ (داشا) وتقول:

- يجب أن نعثر على حل..

تقاطعها (برلانتا) صارخة:

- لا توجد حلول، لا يوجد حل غير أن تطلقي السهم عشوائيًا حتى تنتهي تلك الجولة.

جدال وصراخ ويأس، لا يوجد أمل تقريبًا في تلك الجولة، سهم عشوائي وخسارة مؤكدة لفرصة إنقاذ صديق من أصدقائنا الخمس..

شعرت بعد مرور فترة قصيرة بقوة تحاول نزع المصباح من

يدي، ثلاث أرواح تهاجم وتحاول مهاجمة المصباح وتدميره، حاولت المقاومة لكن دون جدوى، التفت للستارة النارية، تأملتها بعيون طفل صغير يتيم يسير وحيدا والجوع يمزق معدته ويتمنى أن يلتفت أحد السائرين له بنظرة شفقة ليقرر أن يطعمه..

فتمنيت أن تشفق على تلك الستارة النارية وتنفتح للحظة تطلق فيها (داشا) سهمها، ليس كي يصيب سهمها المصباح ويتوقف هجوم تلك الأرواح عليه، بل حتى لا نخسر تلك الجولة وحتى لا نخسر صديقًا من أصدقائنا الخمس للأبد..

سئمت الخسارة وسئمت أن أكون مجبرة على نسيان عواقبها، سئمت الفراق وسئمت النسيان من بعده، سئمت البكاء الذي لن يُرجع أحدًا من موته، سئمت لحظة الضعف حين يرحل من كان بمثابة سندك وعكازك..

قاطع شرودي في الستارة النارية محاولة أشد عنفًا من الأرواح لنزع المصباح من يدي مجددًا وبقوة أكبر، قوة جعلتني أتحرك عدة خطوات للأمام، أقاوم وأصرخ من ألم المقاومة، أناجي (داشا) كي تطلق سهمها ولو لن يصيب أي روح من تلك الأرواح حتى تنتهي الجولة وتنتهي تلك المقاومة المؤلمة التي تستنزف قواي..

صوت صراخ من (برلانتا) يحث (داشا) على إطلاق السهم، لا زلت أقاوم وأحاول الاحتفاظ بالمصباح في قبضة يدي، كنت ألتف وأتحرك بخطوات عشوائية في محاولة فاشلة للمقاومة، صراخ مني ومن (برلانتا) لحث (داشا) كي ينطلق سهمها أيًا كانت العواقب..

أطلقت (داشا) السهم واختفى الستار الناري وسقطت أنا على الأرض متمنية بعد أن أغمض عيني وأفتحها أن أجد بجواري حجر البعث الجديد، لكن للأسف لم يكن بجواري غير بقعة دماء، دماء تتساقط مني على الساحة، دماء من كتفي المصاب بسهم من (داشا)..

أسرعت نحوي (داشا) و(برلانتا)، قالت (داشا) بمنتهى القلق عليَّ:

- أنا آسفة لم أكن أقصد، هل أنتِ بخير؟

تقدمت السيدة ذاتها من أرواح الأسلاف وقالت:

- مؤلم جدًا الفشل الأول..

لم ألتفت لها، نزعت السهم من ظهري (أي من الجانب الخلفي لكتفي) في مرة واحدة، ظل كتفي ينزف بلا توقف

لكنني لم أشعر بأي ألم..

علمت الآن مدى صعوبة أن تكون أنت الحائط الذي يستند عليه كل من حولك، يستندون عليه إن انهاروا وسقطوا في حين تحثهم أنت مجددًا على التحمل والوقوف والمعافرة، يمتصون دومًا طاقتك ولا يبالون بك حين تنهار، لتتحول بمرور الوقت من عامود رخامي ضخم إلى تمثال أصم أنهكوه طرقًا بإزميل ضعفهم كي يصير منحوتة شامخة لا تعرف إلا أن تظهر قوية راسخة أمام كل من يطالعها..

نظرت ل(داشا) التي كانت على مشارف الموت من سم خوفها الذي يجتاح جسدها من الخوف والقلق على فطمأنتها قائلة:

- لا تقلقي، نحن خسرنا جولة لكننا لم نخسر المعركة، هيا عودوا لمكانكم واستعدوا للجولة التالية من الاختبار..

وجدتهم متعجبين وكل منهم يتسأل في مخيلته من أين لي بكل هذه القوة والثبات والجبروت؟

كان وجهي حينها مجرد وجه خشبي عابث أصم يخفي خلفة العديد من الصرخات وطيات الألم، يبعث القوة في الناظر إليه ويخفي ألم مرتديه..

صرخت بهم مجددًا:

- ماذا تنتظرون، تحركوا لمكانكم حتى نبدأ الجولة التالية..

عادت (برلانتا) و(داشا) لموضِعهما بالساحة وفي صمت تام رفعت مصباحي استعدادا لاستدعاء الأرواح مجددًا، تمنيت حينها في قرارة نفسي أن تكون تلك الجولة أسهل قليلًا، لكن سرعان ما تحولت الأمنية إلى كابوس بظهور خمسة ألواح زجاجية عملاقة اصطفت عرضيًا أمامي بامتداد قطر الساحة وعلى مسافات متساوية حجبت الرؤية بيني وبين (برلانتا) تمامًا، ظهرت بعد ذلك الأرواح مجددًا بالساحة التي كانت حينها أشبه ببيت المرايا في مدينة الرعب بالملاهي..

تحركت السيدة ذاتها من أرواح الأسلاف بين المرايا ووقفت بجوار (برلانتا) و(داشا)، وقفت بجوارهم وبدأت بشرح ما سيحدث في تلك الجولة قائلة:

- واحد من بين تلك الألواح الخمسة يحمل الانعكاس الحقيقي لصورة (دومينيكا)، ببساطة ستختار (داشا) لوح من تلك الألواح الخمسة وستضرب سهمها كي تصطاد روح من الأرواح الثلاثة المتبقية..

كانت الألواح الزجاجية تعكس لهم صورتي كما تعكس لي

صورتهم، كانت (برلانتا) تتأملني وأنا أقاوم تلك الأرواح بكتف دامي بينما تقف (داشا) حاملة لبندقية السهام وبعيون مغمضة تحاول مناجاة حظها كي يستجيب لها قبل أن تطلق سهمها على أحد تلك الألواح الخمس، كانت تتمنى منه أن يرشدها للوح الصحيح الذي أقف أنا وراءه..

أعلم أنك حينما تقرأ ما نمر به الآن يا صديقي سوف تسأل لماذا لم أصرخ لتستطيع (داشا) و(برلانتا) تحديد مكاني، لكن هل ينبغي أن أصرخ ليحددوا مكاني فقط أم أصرخ في محاولة لاستعطاف كتفي النازف لكي يهدأ الألم به للحظات، بدأ النزاع حول المصباح، الأرواح تحاول نزعة مني وأنا أحاول المقاومة، كنت أقاوم وأنا ممسكة بالمصباح بيدي الاثنتين، كما انطلقت محاولة جديدة من الأرواح لنزع المصباح انفلتت بعدها قبضة يدي اليسرى من على مقبض المصباح وازداد نزيف كتفي الأيسر مجددًا، تمنيت أن تطلق (داشا) سهمًا عبثيًا يُنهي كل هذا الألم..

تحاملت على نفسي وأمسكت مجددًا المصباح بيدي الاثنتين، التفت سريعًا للوح الزجاجي الذي يعكس لي صورة (داشا) و(برلانتا)..

كانت (داشا) حينها ممسكة ببندقية السهام منتظرة أن يناجيها حظها أما (برلانتا) فكانت تنظر للألواح الخمس

بتركيز في محاولة للعثور على اللوح الصحيح..

يداي وكتفي الأيسر لو امتلكوا لسأنا لصرخوا في وجهي كي أتوقف عن المقاومة، صرخت مناجية (داشا) لكي تطلق السهم أيًا كانت العواقب..

نظرت للوح الزجاجي ووجدت (برلانتا) لا تزال تتأمل الألواح، بعد لحظات من التأمل التفتت نحو (داشا) وقالت:

- صوبي على اللوح الأخير ناحية اليسار..

سألت (داشا) بعبثيتها المعتادة:

- ولماذا ذلك اللوح بالتحديد؟

الدم الذي نزفته موجود على حافة هذا اللوح فقط..

نظرت (داشا) لذلك اللوح للحظة بتمعن فصرخت فيها (برلانتا) قاطعة لشرودها كي ننتهي جميعًا من كابوس هذا الاختبار:

- بسرعة صوبي على اللوح..

صوبت (داشا) بندقية السهام على ذلك اللوح، أطلقت السهم ناحية المصباح كما هي العادة، تكسر اللوح الزجاجي واختفت بقية الألواح وسقط حجر بعث جديد بجوار بركة صغيرة من قطرات تكونت من دمائي التي نزفها كتفي..

أربع جولات انتهوا، نجحنا في ثلاثة وفشلنا في واحدة وتبقت الأخيرة الآن، تحاملت على نفسي وقمت بالوقوف، تقدم للأمام رجل من أرواح الأسلاف وقال:

- إمكانية الرؤية لواحد منكم على الأقل في كل الجولة كانت بطاقة رابحة تنقذكم دومًا، لكن في تلك الجولة لن تكون تلك البطاقة موجودة للأسف..

بعد أن أنهي جملته أمتلأ المكان بدخان أسود كثيف طمس الرؤية تمامًا عنا جميعًا، علمت أن الأرواح قد تم استدعائها نتيجة شعور بمحاولات لنزع المصباح، نسبة نجاحنا في تلك الجولة لم تتعدَ الصفر في تقديري وقدرتي على المقاومة أصبحت معدومة حقًا بسبب ألم كتفي المتزايد..

عيوني لا تبصر غير السواد وأذني لا تسمع غير صراخ (برلانتا) ل(داشا) كي تطلق سهمها الأخير فلا فرصة لنا باصطياد أي روح مطلقًا..

أصبحت أقاوم محاولات الأرواح لنزع المصباح بيد اليمنى فقط بسبب ألم كتفي وأتحرك خطوات عشوائية نتيجة المقاومة، تزداد في أذني صرخات (برلانتا) ل(داشا) كي تطلق سهمها وننهي ذلك العذاب..

أطلقت (داشا) بعد لحظات سهمها الأخير، لم يصب السهم أي روح بالطبع يا صديقي، لكنه أصابني في أعلى كتفي الأيسر..

هرولت (داشا) وخلفها (برلانتا) نحوي للاطمئنان علي، نزعت أنا السهم من صدري رغم قوة الألم، نظرت ل(داشا) وقلت لها في لحظة شعرت بعدها أنني على مشارف الموت وفقدان الوعي:

- واضح أن القدر لم يكتب لي ملاقاة (جينوس) كما فعل مع (كايلا) و(ألمو)..

ترقرقت الدموع في عيون (داشا) وقالت:

- لا ينبغي أن تموتي يا (دومينيكا)، سوف..

وضعت يدي على فمها وبمنتهى الاستسلام والاستعداد لملاقاة الموت قلت لها مبتسمة رغم الألم والنزيف غير المنقطع:

لا ذنب لأحد من فريقنا لتحمل أخطائنا.

- عجز وحسرة ودموع امتزجت بدمائي، شعرت حينها أنني أحد أهم التروس في ماكينتهم، فبدونه تتوقف الماكينة وتنهار، لكننا مهما عبثنا بالتفاصيل ستظل النهايات مقدرة..

كانت النهاية مبكرة لملحمتنا يا (جينوس)، تمنيت حقًا أن أقتلك، لكن لحسن حظك نجوت من طعنات سكيني، لكنني لا زلت واثقة أنك ستقتل وستسفك دماءك لتشفي غليل كل شخص لا زال على قيد الحياة في هذا المستنقع، سألقاك بالتأكيد بعدها لتزوق جحيمي..

تأملت (داشا) و(برلانتا) بنظرة وداع صامتة أخيرة، فقدت بعدها الوعي وسقطت في إغماءة جديدة ربما هي إغماءتي الأخيرة التي لا أظن أنني سأستيقظ بعدها مطلقًا، إغماءة الهلاك التي تناثر رحيقها مسممًا كل شيء حولنا..

* * * *

الإغماءة الثالثة عشر

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال الثالث عشر في رحلتنا:

- هل نحن مستيقظون في حلم الموت وسنغفو أم أننا ساقطون في إغماءه الحياة وسنستيقظ؟

(داشا)

تيبس وجه من لا تهاب شيئًا ولعنت بلعنة أرض الأسلاف..

سقطت حاملة الجبروت الذي لا ينتهي، سقطت من اعتبرتها العامود الأخير الذي أستند عليه، سقطت منقذتكم يا شعب المستنقع..

كل اختبار مررنا به أجزمت في بدايته أنه من المستحيل اجتيازه، رغم ذلك كنتي تتقدمين وتتحاملين وتعافرين وتتألمين كي تحثينا على الاستكمال..

لو انتهت تلك الرحلة واستطعنا العودة للمستنقع أعدك بأنني سأصنع لكِ تمثالًا..

كانت دموعي حينها تتساقط على وجهك المتيبّس تترجاه أن يزال وأن تنفك تلك اللعنة وتعودين على قيد الحياة..

تقدم خمسة رجال من أرواح الأسلاف، كل منهم يحمل واحد من أصدقائنا الخمسة ووضعوهم بجوار جسد (دومينيكا)، قالت سيدة من أرواح أرض الأسلاف:

- حان الوقت كي تختاري من منهم ستعيدينه للحياة ومن طاقة روحه ستنتقل لأرواح أرض الأسلاف..

سألتني (برلانتا) ماذا سوف نفعل، كان سؤالها بالنسبة لي رغم أنني لا أحمل إجابة له أهون بكثير من سؤال عقلي وهو من منهم سوف نختار..

أصعب أنواع الاختيارات هي تلك التي تضطر فيها للتضحية كي لا تخسر أكثر مما خسرته، كأحد جلسات المقامرة حيث يجب عليك لتبدأ باللعب بأن تراهن بجزء من مالك وارد لك أن تخسره في النهاية، بالإضافة لأنك تصير حينها أشبه بقاتل مجبر على مداراة مشاعره أثناء سحبه لزناد مسدسه قبل أن يطلق رصاصته مصوبًا إياها على ضحيته الأولى، على الرغم من أن تلك اللحظة تستغرق من القتلة المحترفين سنوات لتجاوزها..

التفت حينها نحو (برلانتا) والحيرة تنهشني ودموعي تغمر عيني:

- لا أعلم، أشعر أنني أحكم على الثلاثة الذين لن نختارهم بالموت، لا أقدر على التفكير، كانت (دومنيكا) هي من تقرر في تلك الأمور المصيرية..

فكرت (برلانتا) للحظات ثم قالت:

- لا زال بإمكاننا استعادتها ..

نظرت نحو (برلانتا) ببلاهة واستنكار، لقد ماتت (دومينيكا) أمام أعيننا فكيف لنا استعادتها مجددًا!

قاطع شرودي في البحث عن تفسير لما قالته (برلانتا) تفسير سردته سيدة من بين أرواح الأسلاف حيث قالت:

- لقد دفنت (دومينيكا) في قبور أرض الأسلاف قبل موتها، مما يعني أنه يحق لكم اختيار أن كنتم ستستعيدونها بدلًا من استعادة واحد من أفراد فريقكم أم لا..

سألت أنا السيدة ذاتها من أرواح الأسلاف:

- ولماذا لا يمكننا استعادة (ألمو) أيضًا!

عشقي الخفي ل(ألمو) كان هو صاحب هذا السؤال الساذج رغم علمي المسبق بإجابته، لكنني قررت الاعتراف به بمذكراتك يا (دومينيكا)..

كان (ألمو) هو الحضن الآمن بالنسبة لي طوال تلك الرحلة، رغم خوفه كانت عيونه تخبرني دومًا أثناء سيرنا سويا أنه يخاف على سلامتي قبل حتى أن تشتم أنفه رائحة

خوفه، كنت أتمنى فقط إخباره بأنني أحبه..

قالت روح السيدة ذاتها من أرواح الأسلاف أن (ألمو) قد في فشل في اختباره ولم يمت ك(دومينيكا)، لذلك تحولت روحه لأحد أرواح أرض الأسلاف ولا يمكننا استعادته بأحد أحجار البعث التي حصلنا عليها باختبارنا السابق..

وقفت أمام جسد (دومينيكا)، أمسكت حجر بعث وقلت مخاطبة (برلانتا) بعيون تترجى عودة (دومينيكا) ولو لثانية كي نقرر:

- كانت قائدة بحق من بعد (كايلا)، هي التي كانت تفكر وهي التي كانت تقرر، نحن بحاجة إليها كي تعود فهي الوحيدة التي تسطيع أن تختار الأحق بالعودة للحياة من بين بقية أفراد فريقنا..

بدون تردد أمسكت حجرًا من أحجار البعث الثلاثة التي نمتلكها وبدلته بحجر الأترينيوم الموجود في المصباح ووجهت المصباح نحو دومينيكا..

حينها أطلق المصباح ضوء أزرق غطي وجه (دومينيكا) للحظات ثم اختفى ومن ثم بدأ القناع الحجري الذي يغطي وجهها بالتشقق ثم تكسّر..

لكننا لم نفرح كثيرًا فقد صدمنا بعد رؤيتنا لما حل بوجه (دومينيكا)..

فقد شاخ وجهها وامتلأ بالتجاعيد وشعرها تحول للون الأبيض، التفت صارخة لأرواح أرض الأسلاف وسألت بتلقائية طالبة تفسير:

- ما الذي حدث لها؟

ردت سيدة من أرواح أرض الأسلاف:

- إنها لعنة الشيخوخة، للأسف ليست أحجار البعث فقط هي التي ستعيد أصدقاءكم من الموت وتزيل عنهم لعنة ساحة أرض الأسلاف، فلا تنسوا أنه لا زال هنالك اختبارًا أخيرًا..

سألتها (برلانتا) باستنكار:

- ماذا تقصدين؟؟

ردت السيدة ذاتها من أرواح أرض الأسلاف:

- أقصد أنه بعد أن تختاروا من الاثنين اللذين ستقومان بإنقاذهم من بين أصدقائكم الخمسة بحجري البعث

المتبقيين، ستعبرون باختبار أخير حتى تعثروا على الترياق الذي يدمر لعنة الشيخوخة عن أصحابكم كي تتمكنوا من إنقاذهم..

سألت أنا بتلقائية:

- أي اختبار هذا؟

قال رجل آخر من أرواح الأسلاف:

- فلتختاري أولًا من الاثنين اللذين ستنقذانهم بحجري البعث..

بالتأكيد أنا أتذكر أن هناك اثنين من أصدقائنا الخمسة يجب اختيارهم لإعادتهم للحياة، لكن في الحقيقة لقد قررت استعادة (دومينيكا) كي تقوم هي بالاختيار بالنيابة عني كما تفعل دومًا..

من أنا حتى أحكم على اثنين من الأصدقاء أنهم الأجدر بالعودة للحياة؟

هل لي حق بالاختيار وأنا من كنت أريد أن ننهي الرحلة بعد موت (برلانتا) وإصابة (ألمو) وخسارة (كايلا)؟

من سيصنع فارقًا بعودته للحياة ونحن على أعتاب نهاية

الرحلة!

التفت نحو (برلانتا) وقلت:

- أنا وأنتِ سنختار اثنين منهم عشوائيًا في مخيلتنا، بعد ذلك كل منا سيقول ما هي الأسماء التي أختارها، لو اتفقنا أنا وأنتِ في اسم أحد منهم سنقوم بإنقاذه، بينما الاسم الذي سنختلف فيه عن بعضنا سنخرجه خارج حساباتنا..

وافقت (برلانتا)، بالرغم من أنه لا يعتبر حلًا مثاليًا، لكنة حل سيريحنا من التفكير في حل أفضل لو كان هناك حلول أخرى من الأساس، أغمضت عيني لفترة قصيرة لأفكر في الاسمين اللذين سأقوم باختيارهم من بين أصدقائنا الخمس، فتحت عيني ونظرت ل(برلانتا) ثم سألتها:

- مستعدة؟

فكرت للحظات ثم هزت رأسها إيجابًا في استسلام..

صمتنا للفترة ثم قلت أنا وهي في نفس التوقيت أسمي (رالث) و(ليديا)..

اخترت أنا (رالث) لأننا بدونه لما كنا استكملنا الرحلة في محطتها الخامسة بينما اختارت (برلانتا) (ليديا) لأنها

الفتاة الوحيدة من بينهم على حد تخميني، فأظن أنها رأت في الفتيات مثلنا الحق في الإنقاذ عن غيرهم من أفراد فريقنا..

لا أنكر أنني كنت سأختار (ليديا) أيضًا لنفس هذا السبب، لكنني كنت سأختارها كاختيار ثاني من بين الأسماء التي سأقوم بإنقاذها، ليس لأنها الفتاة الوحيدة فقط بل لأنها قامت بإرشادنا في المحطة الرابعة ولولاها لما كنا استطعنا استكمال رحلتنا، كان هذا هو السبب الذي بني عليه اختياري، فبالتأكيد لن أناقش (برلانتا) في اختياراتها، فيكفي أنها امتلكت قدرة على الاختيار من الأساس رغم كل ما نمر به من ضغط نفسي..

من المفترض بنا الآن -طبقًا للطريقة التي سنتبعها في اختيارنا- أن يختار كل منا مجددًا اسمًا آخر، فلو حدث تطابق بيننا في الاسم سنقوم بإنقاذ صاحبه، بينما لو اختلفا الاسمين سنعيد ما فعلناه بحثًا عن اسم آخر نختاره سويًا أنا و(برلانتا) من بين الأسماء الأربعة الذين قمنا باختيارهم..

لكن لماذا نختار مجددًا؟

لماذا لا نختار (رالث) و(ليديا) وننهي هذا الأمر؟

حسمت الأمر حينها، فأمسكت بالمصباح وحملت حجري البعث والتفت ل(برلانتا) وقلت:

- أعتقد أننا نضيع الوقت، اقترح أن ننقذ (رالث) و(ليديا) مثلما اختارنا في البداية

وافقت على الفور كأنها ألقت بعبء الاختيار من على عاتقها، لو سأصف نفسي في تلك اللحظة على أنني قاضي قد حكم على ثلاثة من أصدقائنا الخمس بالإعدام فسأصف (برلانتا) على أنها ذلك القاضي الذي يترافع بهدف الحصول لموكله على حكم براءة حتى لو كان قاتلًا..

كان اختيارنا ل(رالث) و(ليديا) بمثابة حكم اعدام للثلاثة الباقيين وعلى أي حال قد تم تنفيذه..

أمسكت حجري البعث ووجهت المصباح نحو (رالث) ثم (ليديا)، انكسرت وجوههم المتيبسة وأظهرت وجوههم الملعونة المصابة بداء العَجز، أما بالنسبة لأجساد أصدقائنا الثلاثة الباقية فقد تيبست كلها ولعنت بلعنة ساحة أرض الأسلاف وتحولت طاقة أجسادهم لأرواح تلك الأرض..

قال رجل من أرواح أرض الأسلاف:

- الاختبار الأخير هو اختبار هدفه حصولكم على ترياق الشيخوخة الذي سيساعد أصدقائكم أن يعودوا لحالتهم الطبيعية.

بعد أن أنهى جملته تحولت المنطقة المربعة الصغيرة ذات اللون الأسود والتي كانت عند مركز الساحة الدائرية إلى بقعة زجاجية مربعة..

أشار حينها الرجل ذاته من أرواح الأسلاف لنا كي نقترب نحو تلك المنطقة الزجاجية التي تظهر أسفلها تفاصيل مدينة مائية تتحرك بها مجموعة من الأسماك التي كانت بحجم كبير نسبيًا، تدفق حينها الخوف في عروقي كما تتدفق الدماء..

يا ترى ماذا تخفي لنا يا (جينوس) في جعباتك؟

فهل تعرف أن تكتب نهايات سعيدة لحدث نمر به بالمستنقع؟

هل تعرف أن تجعلنا ننهي تلك الرحلة بدون أضرار أو خسائر جديدة؟

أعترف لك أنك أعظم الكتاب التي قرأت قصصهم، مبتكر

في صياغة التحديات، مبهر في إغراءاتك كي تجعلنا ننهي مقاومتنا ونختار نهاياتك المفضلة المتكررة الرتيبة وهي الموت، كصفقة أخرى تعقدها معنا بسيناريو مجهول جديد ونحن نوافق على تمثيله..

الآن وقت الاختبار الأخير لنا بالمستنقع..

اتكأت على ركبتي لأتأمل ما تخبأه تلك البقعة الزجاجية المربعة، وضعت المصباح بجواري ملصقة وجهي بزجاج تلك البقعة المربعة وتركت عيناي تتأمل وتحدق بالتفاصيل الموجودة بتمعن شديد..

بعد لحظات وقعت عيناي على عدة أسماك تسبح بالمنطقة المائية أسفل تلك البقعة الزجاجية المربعة، فجأة أسرعت واحدة من تلك الأسماك نحوي فاتحة فمها الذي كان يخفي تشكيلة من الأسنان والأنياب الحادة التي يمكن لها أن تفتت عظامي في عضة واحدة، حيث أسرعت نحوي وضربت السطح الزجاجي الذي يفصل بيني وبين تلك المنطقة المائية..

رفعت وجهي سريعًا من هول الموقف ونظرت للرجل ذاته من أرواح أرض الأسلاف بنظرة تعجب وحيرة، نظرة كنت اسأله بها في صمت عن علاقة تلك البقعة الزجاجية

والمنطقة المائية الموجودة أسفلها باختبارنا الأخير فقال الرجل ذاته مفسرًا:

- الاختبار الأخير ببساطة هو أنك ستهبطين لتلك المنطقة المائية لتجمعي ثلاث زجاجات ترياق لأصدقائك، كل زجاجة ترياق ستكون موجودة في جزع شجرة، الأسماك الموجودة في المنطقة المائية ستهاجم جهاز تنفسك لكن طالما المصباح بجوارك لن تقدر تلك الأسماك على مهاجمتك، جهاز تنفسك سيمكنك من التنفس تحت الماء لكن لمدة معينة، حين تشعرين أن هناك صعوبة في التنفس يجب أن تتحركي وتعودي مجددًا للساحة، لأنك لو ظللتي في المنطقة المائية ستختنقين وهذا سيتسبب في موتك، بمجرد وقوفك على المربع الزجاجي، الزجاج سيتكسر واختبارك سيبدأ..

بدون تساؤلات أخرى وبدون خوف، بدون أسئلة لنفسي عن ما إن كنت مستعدة أم لا، بدون قلق، بدون إمكانية تراجع أيًا كانت العواقب، حملت المصباح وتحركت نحو المربع الزجاجي، بمجرد وقوفي عليه انكسر الزجاج وسقطت في تلك المنطقة المائية لبداية الاختبار الأخير بالساحة..

* * * *

بعد لحظات من السقوط في المنطقة المائية استقرت قدماي على أرض رملية، كان بجواري حبل مدلي من المربع الزجاجي الذي سقطت منه كعلامة أنه وسيلة صعودي مرة أخري للساحة بعد نهاية الاختبار، لم يكن انطباعي الأول عن المكان أنه مخيف كما تخيلته لكن رغم ذلك كان ينتابني شك بأن المكان يخبئ في جعباته العديد من الفخاخ التي ستعرقلنا عن استكمال هذا الاختبار..

كان المكان ببساطة عبارة عن أرض رملية أقف عليها وعلى امتداد بصري يوجد عدد من الأشجار المنتشرة في بقاع مختلفة من تلك الأرض الرملية وعلى مسافات متباعدة عن بعضها، المياه يسبح بها العديد من الأسماك الضخمة ولحسن الحظ لم يقترب أي منهم لي بسبب تأثير ضوء المصباح، كان ذلك بالإضافة إلى كرات بحجم قبضة اليد لونها أسود بالتأكيد كانت أحد الفخاخ التي لم يتحدثوا عنها قبل بداية الاختبار..

لم تكن الشجرة الأولى على بعد كبير مني، تحركت نحوها مع أخذ حذري من الأسماك والكرات السوداء التي لا تزال بالنسبة لي فخًا مجهول العواقب، وقفت أمام الشجرة ووجدت زجاجة الترياق في جزعها فقمت بنزعها ووضعتها في أحد الجيوب بملابسي، ألتفت خلفي فوجدت تلك الأسماك تسبح بجواري لكن لا تقترب وكأنها تنتظر الفرصة

المناسبة للانقضاض والفتك بفريستها..

بنظرة شاملة جديدة للمكان وجدت الشجرة الثانية على مسافة ليست بالبعيدة، كانت المنطقة المائية تحتوي على العديد من الأشجار لكن في أماكن متفرقة وعلى مسافات بعيدة عني..

تحركت نحو الشجرة الثانية وأنا في قمة الحذر من احتمالية سقوطي في أي فخ..

تبقت عدة أمتار على وصولي للشجرة الثانية لكني شعرت بحركة غريبة من على يميني، التفت يمينًا فوجدت مجموعة من الأسماك تتحرك بسرعة نحوي، عددهم كان يصل للثلاثين تقريبًا، تسمرت مكان وفي يساري المصباح حتى عبرت كل تلك الأسماك من أمامي، لكن فجأة بعد أن عبرت تلك الأسماك وجدت أمامي امرأة عجوز ببشرة بيضاء مليئة بالتجاعيد وملامح العجز وشعر بلون فضي ورداء أبيض تنظر نحوي ثم تصرخ في وجهي، صوت صراخها كان بمثابة ارتفاع مفاجئ في ضغط الماء يحاول تدمير طبلة أذني، رفعت المصباح لأصرفها وعدت خطوات سريعة للخلف لتفادي أي هجوم منها، وبحركة غير مدروسة للخلف شعرت بشيء أصطدم برأسي ومن بعدها حدث شيء أشبه بانفجار قنبلة في المياه تلاه أنتشار حبر أسود في المياه

حجب الرؤية وصعب على عملية التنفس تحت الماء، بمرور الوقت أصبح التنفس مستحيلًا..

فقدت القدرة على التحكم بجسدي، سقط المصباح من يدي دونًا عني..

اتكأت على ركبتي في محاولة فاشلة للبحث عنه لكن دون جدوى، أمرر يدي على الأرض كالكفيفة التي تبحث عن عصا اتزانها وفجأة شعرت بأنياب تمزق معصمي، كان هجومًا من الأسماك بالتأكيد نتيجة اصطدامي بواحدة من تلك الكرات السوداء التي كانت منتشرة في المياه، كان هذا أول الفخاخ في هذا الاختبار، حاولت المقاومة ونزعها من يدي لكن أنيابها كانت تزداد تشبثًا بمعصمي، قربت يدي من جسدي وقمت بدفع تلك السمكة بضربة من قدمي، كان هذا الحل الوحيد بسبب تلك الظروف المحيطة، لم يختفِ تأثير الحبر في المياه وبالتالي لن تتوقف هجمات الأسماك وبالفعل قام بمهاجمتي العديد من الأسماك وأنا أحاول المقاومة فبالنسبة لي لم يكن مهمًا هجوم مؤقت لتلك الأسماك فالأهم هو حماية جهاز تنفسي وحماية زجاجة الترياق، هجوم يليه هجوم ونزيف وجروح في كل أنحاء جسدي ومحاولات فاشلة للمقاومة..

مرت فترة قصيرة في المقاومة حتى اختفى تأثير الحبر

من المياه، هجمات الأسماك زادت ضراوة ومقاومتي كانت تنهار، أحد هجمات الأسماك تسببت في فقدان قدرتي على الوقوف، سقطت على ركبتي وخارت قواي وقدرتي على المقاومة، هجمت سمكة على قدمي اليسرى أو بمعنى أدق على جهاز تنفسي، بدون تردد وبما تبقى في جسدي من طاقة هاجمتها بضربة من قدمي اليمنى، جسدي كله في تلك اللحظة أصبح ممده على الأرض الرملية، التفت برأسي يمينًا ويسارًا بحثًا عن المصباح، لمعت عيني اليسرى بجزء من نور المصباح، زحفت سريعًا نحوه والأسماك تنهش بأنيابها في قدمي، أمسكت المصباح ووجهت ناحية الأسماك فانصرفت عني، لم توجد بقعة في جسدي لم تمزقها أنياب الأسماك، جسدي كله كان ينزف، حاولت التماسك والوقوف لكن قدمي اليسرى لم تمكني، كنت أعرج مع كل خطوة جديدة أخطوها ولكن أتحامل فالمسافة بيني وبين الشجرة الثانية لم تكن بعيدة..

وصلت للشجرة وأخرجت زجاجة الترياق من جذعها، لكن لفت نظري شيء غريب في يدي غير الجروح والدماء، لقد تجعد جلد يدي..

نظرت ليدي الأخرى وتحسست وجهي فشعرت ببعض التجاعيد في بشرتي، وضعت زجاجة الترياق الثانية في جيب سترتي ووقفت لحظة أحاول تفسير وجود تلك

التجاعيد في بشرتي مع صعوبة بالتنفس بسبب هجوم لبعض الأسماك لجهاز تنفسي، بدون شك تلك المرأة لحظة صراخها في وجهي هي من سببت تلك التغيرات في بشرتي، لم يكن ذلك محط اهتمام بالنسبة لي لكن ما كان مهمًا بالنسبة لي هو أنني على تفادي رؤية تلك السيدة مجددًا مع أخذ الحذر من تلك الكرات السوداء التي تنشر الحبر في المياه، أخذت حذري وأنا أتحرك نحو الشجرة الثالثة والأخيرة التي نحتاجها..

وصلت للشجرة وسحبت زجاجة الترياق الأخيرة ووضعتها في جيب سترتي، التفت خلفي ووجدت سبع سمكات تنتظرني على مسافة ليست بالبعيدة، يصطفون منتظرين لخطأ يقلب الموازين لصالحهم ويمكنهم من مهاجمتي أو مهاجمة جهاز تنفسي ومن ثم تدميره وافتراسي كوجبة دسمة لهم، كوصف للطريق الذي سأتخذه للعودة فسأنطلق يمينا لمسافة كبيرة ثم سأتحرك يسارًا عند نقطة معينة سيكون فيها حبل الصعود للساحة أمامي مباشرة، انعطفت يمينا وقمت بالسير بكل حذر من أي فخ لا يزال مخبئًا لي، الأسماك تتحرك موازية لي، قطعت ما يقارب منتصف المسافة وكالعادة تأتي الرياح بما لا تشتهيه السفن، فقد رأيت كرة سوداء تتحرك باتجاه تلك الأسماك، فرصتي الوحيدة الآن للنجاة من هجوم أسماك جديد ربما يفتك بي، لكن للأسف انطلق إحدى الأسماك نحو تلك الكرة السوداء

واصطدمت بها وتحولت المياه مجددًا إلى حبر صعب عمليتي الرؤية والتنفس، أمسكت مقبض المصباح بيديّ الاثنتين حتى لا ينفلت من يدي وتحركت مسرعة في طريقي للأمام..

توقفت بعد عدة خطوات نظرًا لصعوبة عملية التنفس في ظل انتشار الحبر، توقفت ألتقط أنفاسي بصعوبة بالغة وفجأة شعرت بيد تمسك بكتفي، كنت أعلم أنها تلك السيدة وستقوم بتكرار كرتها، ألتفت لها لكن تلك المرة وأنا ألتف لها ضربت رأسها بالمصباح، سمعت صراخها بعد ذلك لكنني أكملت طريقي، تحاملت على نفسي وركضت لمسافة كبيرة أبعدتني عن تأثير الحبر الذي انتشر في الماء، ألتقط أنفاسي رغم صعوبة ذلك، ابتعدت عني تلك السيدة وعن خطر الأسماك، بعد فترة من السير وجدت حبل الصعود للساحة على يساري على مسافة ليست بالبعيدة لكن المكان لم يكن خاليًا، كانت تلك العجوز تقف عند الحبل وتتحرك نحوي وبيدها كرة سوداء كسلاح ستستخدمه في إضعافي لتتكمن من مهاجمتي، تسمرت في مكاني أنتظرها حتى تقترب مني وأقوم بضرب رأسها بالمصباح وأصعد منهية الاختبار، أغمضت عيني لأجعلها تشعر بالأمان في الاقتراب نحوي دون الحاجة لاستعمال تلك الكرة السوداء فبالنظر لأبعاد المعركة ففرصة انتصاري الوحيدة هي اقترابها مني لمسافة تسمح لي بأن أضرب

رأسها بالمصباح، اقتربت العجوز عدة خطوات، فتحت عيناي فجأة وأمسكت بالمصباح بيديَّ الاثنتين وضربت به رأسها، قاومت السقوط وصرخت في وجهي ولكني ضربتها مجددًا بالمصباح، سقطت وسقطت معها الكرة السوداء وللأسف نشرت الحبر في المياه مجددًا، بخطوات بطيئة وبصعوبة أكملت طريقي نحو حبل الصعود مجددًا للساحة، بعد عدة خطوات متباطئة وبمنتهي الصعوبة سحب المصباح من يدي، سقطت على ركبتي نظرًا لألم صدري بسبب صعوبة التنفس، زحفت للأمام مبتعدة بعدة خطوات عن المياه الملوثة بالحبر، بعد وقت قصير اختفى تأثير الحبر، بحثت عن المصباح فلم أجده، تحركت في المكان ومررت عيني بحثًا عن تلك العجوز فوجدتها تبعد مسافة كبيرة عني، رغم الألم وصعوبة عملية التنفس كنت أريد استرجاع المصباح، تحركت خلفها لعدة خطوات ثم توقفت عند رؤيتي لفوج من الأسماك على مسافة بعيدة مني يتحرك صوبي، وما إن عبر أمامي حتى كون ساتر طمس أثر تلك العجوز عن عيناي..

لقد فقدت المصباح ولحسن الحظ قد جمعت ثلاثة زجاجة ترياق، لم أجد حلًا أصوب من الصعود، فقد وصلنا لاختبارنا الأخير وبالتأكيد سنتدبر طريقة كي نعود بها مجددًا نحو شعب المستنقع..

تسلقت الحبل صاعدة مجددًا صوب الساحة، كما عادت المنطقة الزجاجية إلى حالتها قبل وقوفي فوقها وانكسار الزجاج، حينها أسرعت (برلانتا) نحوي وسألتني عما إذا كنت بخير أم لا، نظرًا لهيئتي التي كانت مذريه جدًا، إضافة لأن ملابسي قد تمزقت وجسدي كان ينزف من أغلب بقاعه نتيجة لهجمات تلك الأسماك، فطمأنتها وقلت لها أنني بخير لكنني لم أكن بخير مطلقًا، كنت أتنفس بمنتهي الصعوبة، كل جزء في جسدي يأن ألمًا، كما لاحظت تجعد لجلدي -في بقاع متفرقة- إثر هجوم تلك العجوز وتأثيره عليّ، لكنني تناسيت كل هذا وتحاملت، أخرجت زجاجات الترياق وسقيتها ل(دومينيكا) و(ليديا) و(رالث)، ما إن تناولوا ذلك الترياق حتى تفتحت عيونهم وعادت ملامحهم لحالتها الطبيعية وانفكت عنهم لعنة الشيخوخة أخيرًا..

بلوغ تلك الرحلة لفصل النهاية ونشوة النجاح في استعادة كل من (ليديا) و(رالث) و(دومينيكا) كانا بمثابة المحاريث التي اقتلعت كافة الآلام بجسدي من جذورها باقتدار، بعد أن ساعدتهم في بلوغ ضالتهم بالمتاهة التي نُسجت جدرانها من خيوط إغماءة الموت..

* * * *

الإغماءة الرابعة عشر

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال الرابع عشر في رحلتنا:

- هل كان موت هابيل خطأً قابيل حقًا، أم أنه نتيجة رفض الخالق لقبول ذبيحته؟

(دومينيكا)

عدت للحياة مجددًا، كان الأمر أشبه بنوم عميق ثم استيقاظ مفاجئ..

لقد فعلتها (داشا)، كنت أعلم أنها ستفعل ذلك دون شك، فلن تستطيع العودة لشعب المستنقع بدوني، سيشعر الكل أننا فشلنا، لن تستطيع أن تمتلك فرصة لرد الجميل الذي قمت به حين قررت إنقاذ شعب المستنقع ولا تنتهزها وتقرر بعفوية أن تنقذ أي شخص غيري لرد ذلك الجميل..

اعلم أنها لا تجد أحدًا من أصدقائنا الخمسة أحق مني بفرصة العودة من الموت للحياة في المستنقع ليوم جديد..

قطع شرودي صوت أنثوي تعرفه أذني يتساءل:

- أين أنا، وما الذي حدث؟

التفت بحثًا عن هذا الصوت، كانت (ليديا) وبجوارها (رالث)، هؤلاء من اختارتهم (داشا) والتي كانت بحالة مذريه وبجسد مشوه مليء بجروح لا يزال بعضها ينزف وملابس ممزقة مهترئة، فردت (داشا) سريعًا مفسرة:

- سأشرح لكِ كل شيء بالتفصيل لكن بعد أن نرحل من هنا، فكل ما تحتاجون لمعرفته الآن هو أننا قد أنهينا كافة الاختبارات بتلك الرحلة وقد حان الوقت عودتنا مجددًا لشعب المستنقع..

في تلك اللحظة أمسكت (برلانتا) بلجام أنتباه الجميع حين قالت:

- لا زالت هناك خطوة أخيرة لنا قبل أن نرحل..

قاطعها (رالث) وسأل مستنكرًا بذهول افترس ملامحه:

- أليست تلك هي الفتاة التي قتلت بواسطة الوحوش العميان؟

قبضت (ليديا) حاجبيها وقالت مندهشة بعدما شاهدت (برلانتا) أمامها مجددًا بعد أن كانت واحدة ممن قاموا بحفر قبرها سابقًا:

- لم أعد مستوعبة لأي شيء إطلاقًا..

التفت (داشا) نحو (برلانتا) وقالت:

- ما هي تلك الخطوة الأخيرة؟

أجابت (برلانتا) مفسرة:

- لقد أنهيتم فعلًا اختباركم الأخير بالساحة، لكن للأسف لو خرجتم خارج الساحة فستتمكن أرواح أرض الأسلاف من مهاجمتكم مجددًا، فلكي تقدروا على العودة لشعب المستنقع يجب أن يكون لديكم قلادة مثل التي تمتلكها أرواح الأسلاف، ولكي تحصلوا على تلك القلادة يجب على أحد الأرواح أن تطلب نزال من روح أخرى من أرواح الأسلاف، ولأنكم أصبحتم أجسادًا وليس أرواحًا، فأنا الوحيدة التي يمكنها أن تُطالب بهذا النزال..

قاطعها رجل آخر من أرواح الأسلاف بنفس نشوة قائد الجيش حينما تكون حربه القادمة محسومة لصالحهم بناء على تأكيد المعطيات لضعف جيش العدو مقارنة بقوة جيشه قائلًا:

- لا تنسي أيضًا بأنه لو لم تربحي هذا النزال، لن تضاء تلك المنطقة بالنور كما هي عادة مناطق المستنقع بعد عبوركم للاختبار الخاص بها، فبعد إضاعة (داشا) مصباحكم الوحيد في الاختبار السابق، تصبح خسارتك بهذا النزال خسارة لكل شيء.

أضافت سيدة أخرى من أرواح الأسلاف:

- كما أنك لو خسرتِ في هذا النزال فستفني روحك، أما

أصدقاؤك فسيسجنون بتلك الساحة، نظرًا لأنهم لن يتمكنوا من مغادرتها طالما لا يمتلكون واحدة من قلادات أرض الأسلاف..

قالت (ليديا) مقاطعة:

- حسنًا، حسب ما فهمت يفترض بنا أن نعثر على طريقة أخرى غير اللجوء لهذا النزال.

التفت لها (برلانتا) وقالت باستسلام:

- لا يوجد حل آخر..

قاطعتها أنا قائلة:

- (برلانتا) لا يمكننا أن نخاطر بكي، لو خسرنا ذلك النزال سنخسر كل ما حققناه طوال رحلتنا.

حينها قالت (برلانتا) كربان سفينة رفض ترك دفة القيادة رغم هياج البحر من حولة وضراوة أمواجه التي أوشكت على تحطيمها كليًا:

- تلك هي المشكلة، فمنذ بداية الرحلة كنت عقبة بنسبة إليكم وسببت لكم الكثير من الأضرار، فبالتأكيد لن أضحي بالفرصة التي تجعلني أشعر ولو لمرة أنني قدمت شيء

يساعدكم بتلك الرحلة وأنني كنت أستحق حقًا أن أكون من ضمن الأفراد العشرة التي انتقتهم (كايلا) غاية إنقاذ شعب المستنقع..

ساد الصمت بيننا فقال (رالث) بعد التفكير للحظات:

- (دومينيكا) لو لا توجد فرصة لاستعادة المصباح، ففعلًا هذا هو الحل الوحيد، نحن في كل اختبار مر علينا كنا نخاطر رغم كوننا على بعد خطوة واحدة من خسارتنا لكل شيء، ففي الاختبار الخامس كنا على وشك الخسارة لولا الحظ مثلًا، فتلك كانت مخاطرة ستجعلنا نخسر كل ما حققناه بتلك الرحلة..

في تلك اللحظة شعرت أنني قائد لجيش في حرب نسبة انتصارنا بها شبه معدومة، لكننا رغم ذلك لن ننسحب وسنظل نحارب حتى يموت آخر جندي نمتلكه في جيشنا، لن أنكر خوفي من عواقب هذا القرار وترددي الشديد، لكننا لن ننسحب من حرب قد اشتعلت مسبقًا حتى لو نهايتها موتنا، ألتفت نحو (برلانتا) وقلت لها:

- للأسف لا يوجد حل غير أن تربحي في هذا النزال..

ابتسمت (برلانتا) وقالت بثقة:

- لا تقلقي..

حينها تحرك رجل من أرواح الأسلاف نحو (برلانتا) وأعطاها سيف، بينما في النصف الآخر من الساحة كان هناك سيدة من أرواح الأسلاف تقف ممسكة بسيفها منتظرة لحظة بدأ نزالها مع (برلانتا)..

لم أتخيل أن هذا هو النزال في الواقع، لم أتخيل أنني سأشاهد يومًا نزال سيوف بين اثنين من الأرواح، لكنني رأيت أشياء أكثر جنونًا في هذا المستنقع فلم أجد داعٍ للتعجب أو الاستغراب..

كنت أنا و(رالث) و(داشا) بالخلف نتابع النزال بينما اصطفت أرواح أرض الأسلاف بالجهة المقابلة منا أي خلف الروح التي ستنازلها (برلانتا)..

بدأ النزال بلحظات سكون من الطرفين ثم هجوم من طرف (برلانتا) أشعل الأمل والحماس في صدورنا..

كان هجوم (برلانتا) عبارة عن خمسة سيوف من البرق ظهرت من فوقها ثم رفعت يديها عاليا مطلقة صرخة عالية وهي تقول:

- انطلقي يا سيوف البرق.

حينها ارتفعت السيوف لعدة أمتار ثم تحركت باتجاه روح أرض الأسلاف وكأنها مجموعة صواريخ موجهة من طائرة حربية..

ما إن اقتربت تلك السيوف من روح سيدة أرض الأسلاف حتى أحاط حولها غطاء زجاجي بشكل نصف كروية وقام بحمايتها من سيوف (برلانتا) الرعدية، لكن رغم ذلك تصدع الغطاء الزجاجي حال هجوم سيوف (برلانتا) وتساقط كقطع زجاجية مثل قطرات المطر..

قالت سيدة أرواح الأسلاف بعد أن أنتهي هجوم (برلانتا) الأول بسخرية:

- واضح أنك بارعة في نزال الأرواح، لكنني أعتقد أن هذا النزال سيكون الأخير بالنسبة لكِ..

ابتسمت (برلانتا) ابتسامة قصيرة وقالت:

- ربما..

استكملوا النزال ولكن تلك المرة كان الهجوم من جانب سيدة أرواح الأسلاف حيث جثت بركبة واحدة واضعة كفها على الأرض للحظات تلاها ظهور مجموعة من الجذور الشجرية من أرض الساحة قيدت أطراف (برلانتا)

كالمصلوبة..

امتزجت حينها دماءنا بالرعب والخوف على (برلانتا)، لكن رغم ذلك كنا نمتلك جميعا بعضًا من التفاؤل بأن (برلانتا) ستقوم بتفادي هذا الهجوم كما تفادت سابقًا سيدة أرواح الأسلاف هجومها، لكن لسوء حظنا لم تظهر (برلانتا) أي لون من ألوان المقاومة حيث انطلقت سيدة أرواح الأسلاف بسيفها صوبها لتنهي باكرًا هذا الصراع وتنهيه لصالح أرواح الأسلاف..

- (برلانتا) انتبهي..

كانت تلك صرخة من جانب (ليديا) لتحث (برلانتا) كي تقاوم، حيث أن سيدة الأسلاف حينها كانت على بعد خطوات من أن تفني روحها..

حينها ظهرت روح شبيهة لروح (برلانتا) بخلاف انها كانت أشبه بالظلال حيث كانت مشعة باللون الأسود لا الأزرق وقامت بتوجيه ضربة لروح سيدة الأسلاف لتدفعها بعيدًا وتسقطها على ظهرها للحظات، ضربة أدت إلى تدمير قناع تلك السيدة من أرواح الأسلاف، قناع كان يخفي خلفه وجه مألوف بالنسبة ل(برلانتا)، بعدها أسرعت الروح الثانية ل(برلانتا) ومزقت بسيفها الجذور الشجرية لتحرير

(برلانتا)، حينها تحركت (برلانتا) وبجوارها روحها الثانية للأمام صوب روح سيدة أرض الأسلاف وهي تقول:

- أنا أعرفكِ، أنتِ من ربحتِ في آخر نزال لأرواح الأسلاف..

عاودت السيدة ذاتها من أرواح الأسلاف الوقوف عقب سقوطها بعد ضربة (برلانتا) الأخيرة وقالت:

- وبالتأكيد لن يكون النزال الأخير الذي سأربحه..

رفعت السيدة ذاتها سيفها عاليا نحو السماء وفجأة ظهرت أربعة نساء أشباه للسيدة ذاتها من أرواح الأسلاف..

وبوصف أدق للمشهد، فقد انقسمت تلك السيدة إلى خمس سيدات انتشروا في أرجاء الساحة، قال (رالث) بتلقائية مذهولًا:

- لقد انشطرت لخمسة أرواح..

قاطعته (برلانتا) سريعًا مفسرة:

- أنه سحر تستخدمه أرواح الأسلاف، الروح تكرر نفسها عن طريق أن تجزئ طاقتها مما يعطيها فرصة أفضل للهجوم على الخصم..

قاطعتها (داشا) متسائلة:

- هل يمكنك تفادي هجوم لخمسة أرواح!؟

التفتت (برلانتا) نحو (داشا) وهزت رأسها لتطمئنها، بعد ذلك تحركت روحها الثانية لتغطي ظهرها، فقد كانت لا تحتاج إلا لشخص يقوم بحماية ظهرها ومساعدتها على التصدي لهجمات سيدة أرواح الأسلاف التي كانت تنازلها..

لم أعلم إن كان اعتقادي صواب أم خطأ، لكن يبدو لي أن (برلانتا) مرت بفترة –منذ أن ماتت بالمستنقع- وهي تراقب كل ما يحدث في نزلات أرواح الأسلاف بالتفصيل، فأعتقد أنها كانت على وعي تام بتفاصيل تلك النزلات وتعرف تمامًا كيف تربحها..

بخبرتي ب(برلانتا) أكاد أجزم أنها لا تجازف بهذا النزال وتعمل المستحيل من أجل الربح، فالخسارة تعني التنازل عن كل شيء وفناء لكل شعب المستنقع..

هاجمت الخمسة أشباه للسيدة ذاتها من أرواح الأسلاف (برلانتا) وشبيهتها بهجمات وتصديات متبادلة، تصديات أظهرت براعة بالغة ل(برلانتا) وشبيهتها -التي قامت

بحماية ظهرها- في النزال بالسيف..

* * * *

بعد نزال دام نجحت (برلانتا) وشبيهتها في التخلص من ثلاثة أشباه لتلك السيدة من أرواح الأسلاف بواسطة ضربات حاسمة من سيفيهما مما أدي لتلاشيهم، تلا ذلك انسحاب سريع لمستدعيتهم -أي السيدة ذاتها من أرواح الأسلاف- نحو الخلف أو بمعنى أدق تقهقرها هي وشبيهتها الأخيرة، شبيهتها التي سرعان ما قامت بإخفائها غاية زيادة قوتها التي استنزفت إثر الهزيمة السابقة لأشباهها الأخرين..

حينها شقت (برلانتا) الطريق بخطوات متباطئة نحو غريمتها التي سرعان ما سقطت جاثية على ركبتيها كإشارة تنضح بمدى اقتراب جفاف بئر طاقتها، قائلة بملامح عكست في عيوننا انها على مشارف الانتصار:

- سلميني القلادة وانسحبي بشرف بدلًا من الخسارة وفناء روحك، أليس هذا ما قلته لتلك الروح التي كانت خصمًا لك بنزالك الأخير؟

قالت السيدة ذاتها من أرواح أرض الأسلاف بلهجة استنكارية:

- كانت ضعيفة ولم تقدر على القتال لنهاية النزال، لكنني لن أستسلم لأنك الطرف الأضعف..

صرخ رجل من خلف من أرواح الأسلاف كان يقف خلف السيدة ذاتها التي تنازلها (برلانتا) قائلًا:

- لا تصغي لكلامها، أنتِ روح من أرواح الأسلاف بينما هي روح هائمة ستهزمينها وستتحول لروح فانية..

تماسكت سيدة روح الأسلاف ووقفت مجددًا على قدميها، رفعت سيفها للسماء فتجمعت مجموعة من الغيوم في السماء وانطلقت منها صعقة رعدية أصابت (برلانتا)

الخوف صعقنا كما صعق (برلانتا) ولكن من الخلف كان هناك صوت (برلانتا) تضحك وتقول:

- خدعتك بنفس الطريقة التي خدعتي بها خصمك في نزالك الأخير، أجبرتِ خصمك أن يستخدم ضربته الأخيرة لكن ليس ضدك، بل ضد شبيهتك..

اقتربت منها بعدة خطوات ونظرت لها وهي راكعة على ركبتيها وتنتظر لحظة إعدامها بضربة من سيف (برلانتا) وقالت:

- سلميني القلادة وأعدك بأنني لن أفني روحك..

رفعت السيدة ذاتها رأسها المنكس ونظرت ل(برلانتا) للحظات تحاول دراسة الموقف واستنتاج أن استسلامها هو الحل الأفضل نزعت قلادتها وأعطتها ل(برلانتا) في استسلام وصمت تام..

لحظة ما أن أمسكت (برلانتا) بالقلادة تحولت إلى رمال، انطلق بعدها صوت ضحكات من السيدة التي كانت خصم (برلانتا) في النزال وقالت:

- واضح أنك أنتِ من خُدعتي حينما ظننتي أنه يمكنني أن أستسلم بتلك السهولة..

ما أن أنهت جملتها حتى ظهر خلفها دائرة سوداء عملاقة مستندة على عمودين خشبيين مائلين، انجذبت (برلانتا) لتلك الدائرة العملاقة والتصقت بها، كأنها قطعة حديدية تم جذبها بقوة مغناطيسية، رفعت لها السيدة ذاتها من أرواح الأسلاف قلادتها وقالت:

- أنتِ طاقتك أضعف بكثير من أي روح من أرواح الأسلاف، الآن حان وقت نهاية هذا العرض..

ما أإن أنهت جملتها حتى ظهر بين يديها سكينين، رفعت سكينها الأول ونظرت ل(برلانتا) مبتسمة ابتسامة شبيهة

لابتسامة حيوان مفترس يتلذذ بتعذيب فريسته قبل قتلها أو كما تفعل العناكب حينما تلتصق الحشرات بشباكها وتقوم بعمل شرنقة حول فريستها قبل التهامها..

ضربت السيدة ذاتها من أرواح الأسلاف سكينها صوب (برلانتا)، لم يقدر أحد منا على النظر لحظتها، لكننا تمنينا جميعا أن تستطيع (برلانتا) تفادي تأثير سحر روح تلك السيدة وإيجاد أي طريقة لكسب هذا النزال..

لحسن الحظ أصطدم السكين بالدائرة السوداء الملتصقة بظهر (برلانتا)، ضحكت السيدة ذاتها من أرواح الأسلاف وقالت:

- خائفة صحيح؟ خائفة؟ اعترفي أنك خائفة وضعيفة.. استسلمي لأنني سأفني روحك الآن..

ضحكت السيدة مجددًا، ضحكة ضمان الانتصار، ضحكة الصياد حينما يوقع فريسته في شباكه، ركزت هذه المرة وهي تنظر ل(برلانتا) قبل أن تصوب نحوها سكينها الثاني، كانت واثقة أنها سوف تقضي عليها، لكنها كانت تحاول تحويل النزال بينهما إلى عرض مسرحي..

رفعت سكينها وصوبته نحو (برلانتا)، لحظتها صرخنا

كلنا من القلق على (برلانتا) كي تقوم بعمل أي خطوة لإنقاذ نفسها بأي طريقة ممكنة من سحر روح سيدة أرواح الأسلاف، لكن ما حدث كان شيء غريب لم يتوقعه أحد أطلاقًا..

أنطلق السكين صوب (برلانتا)، لكن رغم ذلك لم تكن هي الضحية بل كان أحد أرواح أرض الأسلاف التي ظهرت فجأة أمام (برلانتا) لتلقي ضربة السكين..

حدثت ضجة كبيرة بين أرواح الأسلاف وقال رجل من تلك الأرواح مذهولًا مما حدث:

- إنها روح صديقهم الذي خسر في اختبارهم الأول..

التفتنا نحن الأربعة فوجدنا (ألمو) ساقطًا بقناع محطم بعد أن دمر بضربة سكين سيدة أرواح الأسلاف..

سألت نفسي حينها قائلة:

- من غير (ألمو) يمكنه أن يضحي بروحه فداء ل(برلانتا)!

بعد أن تلقى (ألمو) ضربة السكين أنتهي سحر سيدة أرواح الأسلاف التي كانت خصم (برلانتا) في النزال واختفت الدائرة السوداء العملاقة وتحررت روح (برلانتا)،

ركض أربعتنا نحو (ألمو) و(برلانتا) وجثونا على ركبنا جميعًا وعيوننا دامعة بعد تضحية (ألمو)، نزع الأخير القلادة من صدره وأعطاها ل(برلانتا) قائلًا:

- لم أقدر على التضحية بفرصة تقديم شيء يساعدكم بتلك الرحلة.

قلت أنا متنهدة بعيون انفجرت في البكاء من صعوبة المشهد:

- مهما حدث يستحيل أن ننسي التضحية التي قدمتها لنا ولشعب المستنقع بأكمله.

مسحت دموعي وقلت له مبتسمة:

- أصبحت أكثر شخص شجاع بيننا يا صديقي..

قالت (ليديا) بعيون تحاول السيطرة على سيل دموعها:

- سنفتقدك يا (ألمو).

تنهدت (داشا) وقالت بقلب انفطر حزنًا:

- أحبك..

حينها تلاشت روحه تلقائيًا إلى أن اختفت تمامًا وفنت..

لكنه لن يتلاشى مطلقًا من قلوبنا وذكرياتنا، فسنظل نتذكرك دومًا يا صديقي أنت وكل من فقدناهم في تلك الرحلة بهذا المستنقع..

ما إن اختفت روح (ألمو) تمامًا من أمامنا حتى بدأت (داشا) بلكم أرض الساحة بقبضتها بصراخ ودموع لم ينقطعا..

كانت تجبر عقلها على نسيان هذا المشهد القاسي وتروض روحها على تجاوز حزن وألم الفراق..

كانت أكثر من تحبه بيننا، كما أنني أجزم أن ما تمر به هو فقط لفناء روحه، ف(داشا) قوية دومًا، ظهرها لا ينكسر رغم الألم، تسخر من كل ما حولها كي تداري ضعف وعجزها عن التصرف، لكنها كانت تعشقه..

جثت (ليديا) على ركبتيها وبدأت بالتربيت على ظهر (داشا) كي تهدأ قليلًا لكنها رغم ذلك لم تتوقف عن لكم أرض الساحة حتى أدمت قبضتيها..

لم تستطع (ليديا) تهدئتها كما لم أعلم أنا ماذا يفترض بي أن أفعل كي أساعدها لتزفر من رئتيها كل ما بصدرها من

أوجاع إلى أن قال (رالث):

- أخيرًا، أنهينا تلك الرحلة اللعينة..

في البداية شعرت وكأن (رالث) لا يعطي أي بال لما نمر به من حزن على (ألمو)، لكن رغم ذلك كانت جملته بالنسبة لي هي المسكن الذي ما أحتاجه لإخماد نيران آلام (داشا)..

فجثيت على ركبتي أنا الأخرى أمام (داشا)، تأملت عيونها للحظات ثم احتضنتها في صمت وأنا أهمس في أذنها:

- انتهت تلك الرحلة اللعينة، لكنها مجرد جولة من الحرب، لذلك يجب علينا أن نظل على قيد الحياة كي نأخذ بالثأر لمن قدموا لنا كل تلك التضحيات..

أنهيت عناقنا ثم وضعت وجهها بين كفي ونظرت بعيوني مباشرة في عيونها واستطردت قائلة:

- لأجل كل من فقدناهم، (ألمو).. (بوكيو).. (كلينت).. (أرون)

حينها تنهدت (داشا) قائلة:

- سأفتقده يا (دومينيكا)..

فاحتضنتها مجددًا كما ربتت (ليديا) على ظهرها للحظات، مسحت دموعها وساعدتها على الوقوف، في حين ارتدت (برلانتا) القلادة وتحركنا نحن الخمسة لنغادر الساحة..

أثناء مغادرتنا قالت روح السيدة ذاتها التي كانت تخوض النزال ضد (برلانتا):

- سنتقابل مجددًا قريبًا، لا تنسوا أن رحلتكم ستعطيكم يومًا واحدًا إضافيًا فقط بالمستنقع، يوم إما أن تصلوا فيه ل(جينوس) أو تهلكون جميعًا..

التفتنا جميعًا، رددت أنا عليها قائلة بثقة:

- في الحقيقة لا أظن أننا سنتقابل مجددًا، لكن لو أنكِ ستقابلين (جينوس) قريبًا أخبريه أن ينعم بأخر يوم له في المستنقع قبل أن يبتلعه طوفاننا..

ضحكت السيدة ذاتها من أرواح الأسلاف وقالت:

- هو يراكم جيدًا وينتظركم..

ابتسمت أنا ابتسامة قصيرة ثم رددت مبتسمة:

- عديه أننا لن نتأخر..

* * * *

غادرنا الساحة بعد ذلك حاملين الصناديق وعائدين للمستنقع بعد طول انتظار، انتهت الرحلة أخيرًا وانتهى ذلك الكابوس، لم ننهِ الرحلة كما تمنينا، لكنها برغم كافة الخسائر قد انتهت، لم ننقذ شعب المستنقع كله لكننا نملك صناديق بطاريات تنفس لعدد كبير منهم، فمهما هلك أناس من شعب المستنقع نتيجة أخطائنا على مدار تلك الرحلة فسوف نكون أبطالًا أمام من استطعنا إنقاذهم..

في طريقنا نحو العودة كانت (داشا) تحكي عن اختبارها وما قامت به لتنقذني أنا و(ليديا) و(رالث) وبعد أن أنهت تلك الحكاية قامت بسرد ما قمنا به منذ وصولنا لأرض الأسلاف حتى لحظة مغادرتنا، برغم أن ما سردته (داشا) عن اختبارها التي قامت به وحدها كانت معلومات ينبغي أن أنصت لها لأدونها في دفتري إلا أنني لم أعرها أي اهتمام، بالي كان مشغولًا بك يا صديقي..

أتخيلك وأتخيل ماذا سوف أخبرك حينما أراك مجددًا، كم أشتاق لك أيها البطل الذي ضحى بنفسه من أجلي، نعم من أجلي وحدي وليس لأجل أحد من شعب المستنقع، أهديتني

حجر الأتربنيوم وألقيت بنفسك في حقل الطاقة فقط لتنقذني أنا وحدي، تبقى القليل أيها العزيز ونلتقي مجددًا، فقط كن بخير للحظة لقائنا الثاني..

كنت شاردة، كان ذلك واضحا من بداية الرحلة، أمسكت (داشا) بيدي وسألتني:

- منذ اللحظة التي غادرنا فيها من الساحة وأنتِ شاردة، ماذا هناك؟

رددت أنا مرتبكة:

- لا شيء، أنا فقط أفكر في رد فعل شعب المستنقع حينما يعرف أن هناك عشرين شخص من بينهم لن يكون لهم فرصة أن يعيشوا يوم آخر في هذا المستنقع..

لم أقدر أن أخبر أحدًا أنني كنت سارحة فيك، لكن لحظتها طرح عقلي على ذلك السؤال بإلحاح..

فماذا سنفعل مع هؤلاء العشرين الذين سيبحثون عن بطاريات تنفسهم ولن يجدوها؟

هؤلاء الذين وثقوا بنا وجلسوا ينتظروننا على أمل إنقاذهم من الموت في هذا المستنقع

قبض (رالث) حاجبيه وسئل محتارًا:

- بناء على أي شيء سنختار من يستحق أن يحصل بطارية تنفس جديدة؟

ردت (ليديا):

- لا تنسوا أننا خسرنا نصف فريقنا في تلك الرحلة، مما يعني أنه لدينا خمس بطاريات إضافية..

قالت (داشا) بسخريتها المعتادة:

- خمسة عشر شخص سيهلكووون...

ضحك الكل، أثناء الضحك لمعت في مخيلتي فكرة جنونية، قلت لهم:

- لدي فكرة..

سألت (برلانتا) بتلقائية:

- ما هي؟

أولًا سنقوم هنا الآن جميعًا بتغيير بطاريات تنفسنا ببطاريات جديدة، ثانيًا أعتقد أن شعب المستنقع لا زال يتكلم بلغات مختلفة، فأنا سأتحدث إليهم بلغة الإشارة لمدة

معينة، بعد ذلك ستمرون وسط شعب المستنقع ليختار كل منكم أضعف خمسة أشخاص وتسحبونهم من بين الشعب أثناء خطبتي لهم وتتحركون بهم نحو حقل الطاقة، بعدها سأخبر أنا شعب المستنقع بلغة الإشارة أن الصناديق موجودة خلفهم، حينها سيتحركون جميعًا حتى يقوموا بتغير بطاريات تنفسهم، الأسرع والأكفأ من بينهم هو الذي سيعيش ليوم إضافي حتى ينتقم لكل من ماتوا بسبب (جينوس)..

بعد فترة من التأمل في الفكرة قالت (برلانتا):

- أعتقد أن هذا هو أفضل حل..

بعد لحظات من التردد أيد الجميع الفكرة، فقمنا أنا و(رالث) و(ليديا) و(داشا) بتغيير بطاريات تنفسنا القديمة بأخري جديدة، كما احتفظت أنا ببطارية تنفس لأجل صديقي (الفتى الذي رافقني بالغرفة السوداء)..

أكملنا جميعًا السير حاملين بقية صناديق بطاريات التنفس حتى وصلنا إلى الحافة الجبلية التي أسفلها شعب المستنقع الذي ينتظر عودة أبطاله ببطاريات التنفس من أجل إنقاذه.

* * * *

وصلنا لشعب المستنقع أخيرًا، ركض حينها الكثير من الشعب نحونا فأشرنا للجميع بالهدوء والوقوف بمكانهم، أجتمع الجميع وانتظموا في صفوف بعضهم خلف بعض، وضع (رالث) و(ليديا) و(داشا) الصناديق كلها على الأرض وقاموا بتغيير بطاريات تنفسهم، كنت حينها قد بدأت الحديث مع الشعب بلغة الإشارة وقلت فيما معناه أنني سوف أقوم بإلقاء خطبة لهم..

بعد أن انتهى (رالث) و(ليديا) و(داشا) من تغيير بطاريات تنفسهم وقفوا بجواري أنا و(برلانتا) كإشارة منهم بأن أبدأ بتنفيذ خطتنا كما اتفقنا..

بالفعل بدأت بالتكلم معهم بلغة الإشارة في الوقت الذي أنطلق فيه ثلاثتهم لاختيار الخمسة عشر شخص من بين شعب المستنقع ليتحركوا بهم نحو حقل الطاقة ومن ثم يبدأ الصراع على بطاريات التنفس الجديدة..

أشرت بإبهامي على نفسي ثم رفعت كفي بأربعة أصابع ثم رفعت يداي الأثنين وضممت كفي ببعضهم ثم بسطت ذراعي في رسالة بلغة الإشارة تعني أنني أنا وأصدقائي الأربعة أنقذناكم يا شعب المستنقع..

بعد لحظات قام شعب المستنقع كله بالتهليل والتصفيق،

انتابني لحظتها شعور بالفخر بأنني انتصرت في حرب ما حتى وأن تلقيت العديد من الخسائر، فرح شعب المستنقع وهلل دون الالتفات مطلقًا لأن الفريق الذي اختارته (كايلا) كان مكون من عشرة أشخاص وهو الآن أصبح أربعة بالإضافة لروح (برلانتا)..

حينما تتحقق الأهداف لا يُلتفت أبدا للخسائر وحين تكسب الحروب لا يحزن أحد لفقدان رفيق في الحرب بل يبتهج الكل لأنه أصبح شهيدًا..

وقف (رالث) بجواري وهمس في أذني بأنهم نفذوا الخطة وقاموا باختيار أضعف خمسة عشر شخصًا في المستنقع..

رفعت يداي ثم لففت سبابتي بعضهما فوق بعض وأشرت بعدها نحو بطاريات التنفس في رسالة بلغة الإشارة تعني:

- هيا يا شعب المستنقع قوموا جميعًا بتغير بطاريات تنفسكم..

تحرك الجميع فعلًا، الجميع بما فيهم الخمسة عشر اللذين اختاروهم (ليديا) و(رالث) و(داشا)، مما حول خطتنا من حل للصراع إلى صراع على البقاء..

في البداية بحث الجميع عن بطاريات تنفسهم بالصناديق، لكن حينما انتهت البطاريات كلها ولم يجد الخمسة عشر شخصًا الأضعف بالمستنقع والذي تم اختيارهم عشوائيًا أي بطارية تنفس جديدة أشتعل الصراع أكثر وقبل أن يقوم البعض من شعب المستنقع بتغيير بطاريات تنفسهم تم الهجوم عليهم من قبل الخمسة عشر الذين لم يجدوا لهم بطاريات تنفس جديدة، هجوم وصراع متبادل على بطاريات التنفس انتهى البعض منه بالهرب ركضًا ببطاريات التنفس الجديدة وانتهى البعض الآخر بالقتال حتى الموت، صراع حول المستنقع إلى غابة يسعي الكل فيها للبقاء على قيد الحياة..

لم أكترث في الحقيقة لكل هذا يا صديقي، فقد تركتهم يتصارعون حتى الموت ففي النهاية سيموت خمسة عشر منهم وتنتهي كل تلك الفوضى، فكل ما كنت أفكر فيه كان أنت يا صديقي..

فتحركت حاملة بطارية التنفس الخاصة بك نحو حقل الطاقة، ذلك السور الذي أنتظر أن يسقط حتى أركض إليك وأقوم بإنقاذك كما أنقذتني سابقًا فقد اشتقت إليك..

تحركت نحوك وعلى بعد خطوات من وصولي لحقل الطاقة وجدت فتاة صغيرة عمرها حوالي ست سنوات تقريبًا

تصرخ وتبكي، تخبرني عيونها أنها عاجزة عن خوض ذلك الصراع بين هؤلاء العملايق المتصارعين على البقاء حتى لو كان ذلك الصراع سينهي حياتهم..

اقتربت منها ومسحت دموعها وأنا متكئة على ركبتي، احتضنتها لأطمئنها بأن ذلك الصراع سوف ينتهي قريبًا فلا تخافي، أنتِ بأمان بين أحضاني في لحظاتك الأخيرة بالمستنقع، احتضنتها حتى هدأت وتوقفت عيونها البكاء، لكن لم تكن عيونها فقط من توقفت عن البكاء، توقف فمها عن الصراخ وقلبها عن النبض وأطرافها عن الحركة

لقد سقطت كما سقط أربعة عشر آخرين من شعب المستنقع في إغماءتهم الأخيرة، إغماءة الموت التي لا ترحم أحدًا..

* * * *

الإغماءة الخامسة عشر

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال الخامس عشر في رحلتنا:

- لو قام الخالق بخلق الإنسان للعيش في الجنة فلماذا خلق الأرض من الأساس؟

جثيت على ركبتي والفتاة ممددة أمامي بلا حراك..

كم قاسٍ حين تجد نفسك عاجزًا عن تحرير أحدهم من قبضة الموت اللعينة التي تنتزعه منك بلا جرس إنذار مسبق، تخطفه عشوائيًا بلا أي تفريق، دون حتى أن تمنحك أي تفسير لهذا الاختيار العشوائي، كما أنها لا تعطيك عزاء عند فقدانك لشخص عزيز، فقط تترك وحيدًا مستنزفًا..

كفّن الحزن والانكسار والحسرة وجوه كل من بالمستنقع، فمن فيهم يا ترى لن يحزن حينما يكتشف بأن خصمه في صراعه للاستمرار على قيد الحياة أصبح جثة هامدة بلا حراك؟

لقد نزع منا (جينوس) الذكريات، لكننا خلقنا لأنفسنا ذكريات بديلة منذ أن أفاقت عيوننا للمرة الأولي بهذا المستنقع، أعدك يا (جينوس) أنك ستدفع ثمن كل لحظة ألم مررنا بها بسبب فقدان شخص عزيز، لو أن التعريف الصحيح للذكريات هي كل لحظة لا زلنا نتذكرها بكافة تفاصيلها بسبب جمالها أو بشاعتها، فأعلم أنني قد دونت كل شيء، تأكد أيضا بأن بركان غضب شعب هذا المستنقع قد أوشك على الثوران..

اقتربت مني (برلانتا) وأنا غارقة في دموعي قالت:

- أعلم أنه موقف صعب، لكن لم يكن هناك أي حلول أخرى.

رمقتها بنظرة انكسار وملامح يغطيها قناع الحسرة، نظرة تخبرها كم أنا ضعيفة ومكسورة كي تشفق على وتعطيني عزاء يقويني لأستطيع الوقوف وتناسي هذا المشهد البشع الذي شاهدته منذ قليل، أكملت قائلة:

- شعب المستنقع كله في حالة حزن وانكسار مما حدث، يحتاجون أن تقويهم، أنتِ الوحيدة التي يستمعون لها..

قلت لها مستنكرة لما قالته:

- أقويهم! أقويهم وأنا مكسورة مثلهم أو ربما أكثر منهم بإضعاف..

قاطعتني (برلانتا) سريعًا قائلة:

- (دومينيكا) نحن في حرب، لا يوجد جيش يبكي على جنوده التي خسرها في منتصفها، حربنا مع (جينوس) لازالت مستمرة، فلا ينبغي أن نقف في منتصف تلك الحرب لنبكِ على الخسائر..

بعض من كلامها صحيح ومنطقي أو ربما كل ما قالته صحيح، لا يبكي جيش على جنوده الذين ماتوا كضحايا للحرب في منتصف المعركة..

لكنني لم أفكر من هذا المنطلق، فما فعلته لحظتها هو أنني فكرت في إجابة لسؤال طرحة عقلي حينها وهو ما الذي كانت ستفعله (كايلا) لو أنها هنا وسط تلك النكبة؟

هل كانت ستجلس منكسرة تبكي مثلي أم ستخطب في شعب المستنقع لتقوم بتقويته وتزيل أي شعور بالضعف والانكسار؟

لذلك مسحت دموعي واستجمعت قواي للوقوف مجددًا وتحركت نحو شعب المستنقع.

كان البعض منهم لم يتأثر بما حدث من صراع دار أمام عينيه، اما البعض الآخر فكان جاثيا على ركبتيه يبكي برأس منكس وخد أمتلئ بالدموع وهو يلقي نظراته الأخيرة على أحد ضحايا هذا الصراع..

تحركت نحوهم وأنا أشير لهم بيديّ لأحثهم على الوقوف مجددًا، اصطف الجميع من حولي في اعتقاد بأنني سوف أقوم بتقديم خطبة لهم، كان الوضع مربكًا لحظتها بسبب

الإحباط الذي يغطي وجوه الجميع، فنظرت نحوهم ثم أشرت على نفسي ثم أشرت نحوهم، بعدها ضربت قبضتي اليمنى في كفي الأيسر ثم لففت سبابتي فوق بعضهما البعض صرخت هاتفة باسم (جينوس)، كانت رسالة مني تعني أننا في في حرب لازالت مستمرة ضد (جينوس)..

أشرت مجددًا بسبابتي نحو شعب المستنقع ثم لففت أصابعي في الهواء مطلقة سبابتي ثم أشرت بها نحو رأسي، بعدها ضربت قبضتي في كفي في رسالة بلغة الإشارة أسأل الشعب فيها قائلة:

- من منكم قرر أن يقاتل؟

انتظرت بعدها أي ردة فعل منهم، رفع ثلاثة أو أربعة منهم أياديهم في محاولة لتأييدي..

في الحقيقة توقعت رد فعل أكبر بكثير، لكن أتضح لي أن الجميع أصبح فاقدًا للطموح أكثر من فقدانهم للأمل، كانوا مترددين جميعًا أو ربما قد تخلل الخوف أوصالهم فلجمهم، ربما أيضًا ما رأوه منذ قليل من صراع وما تلاه من أحداث جعل فكرة الدخول في أي صراع جديد مرفوضة تمامًا، لذلك قررت أنني سأنهي خطابي وأعود أدراجي لأقف أمام حقل الطاقة وحدي أنتظر أن ينفتح لأركض بعدها إليك كي

أنقذك يا صديقي..

كنت بحاجة لمحاربين وشجعان من شعب المستنقع يفتكون ب(جينوس) فقد عبرنا بأسوأ من ذلك وسُقينا من كأس الضعف مجبرين في رحلتنا وخسرنا خمسة من أصدقائنا وتحاملنا وأكملنا الرحلة رغم كل ذلك..

حينما رأت عيناي نظرة الضعف في وجوههم كانت تخفي نظرة وعتاب كأنها تلعن ضعفهم وتسألهم بلوم شديد قائلة:

- هل أنقذناكم لتقرروا الانسحاب من حربنا الكبرى ضد (جينوس)؟

بعد لحظات ارتفعت بعض الأيادي من شعب المستنقع وارتفع معها صوت من الصف الأول أقصى اليمين، كان صوت صراخ (رالث)، صراخ يحاول به بعث الأمل في قلوبهم، لم أشعر أن ما يفعله سيجدي نفعًا، لكن بعد لحظات من صراخه بدأت الأيادي ترتفع بعدد ملحوظ، ظل صراخ (رالث) مستمرًا كما لو كان راغبًا في أن يبصر شعب المستنقع كله بلا استثناء قد صار على أتم استعداد لخوض تلك الحرب ضد (جينوس).

بمرور الوقت بدأ عدد الأيادي يتزايد، كما ازداد تهليلهم

وثقتهم بنفسهم، لقد نجح (رالث) فعلا بزرع أمل من العدم في قلوبهم..

بعد أن رفع الجميع يده، بدأوا بالتهليل كرسالة منهم أنهم برغم كل شيء سيقاتلون للثأر من (جينوس)، فكررت أنا إشاراتي مجددًا لهم أو بمعنى أدق قمت بسؤالهم مجددًا بلغة الإشارة قائلة:

- من منكم قرر أن يقاتل؟

هلل الجميع كموافقة بالإجماع، صوت تهليلهم كان ضخمًا جهورًا بعث روح الأمل بداخلي مجددًا، بعد تهليلهم قمت بطرح سؤالي الثاني عليهم فلففت أصابعي في الهواء مطلقة سبابتي ثم أشرت بها على رأسي ثم أشرت بها على قلبي ثم لففت سبابتي بعضهما فوق بعض في رسالة بالإشارة أسألهم فيها قائلة:

- من منكم قرر أن تستمر حياته؟

هلل الجميع مجددًا وبنبرة أظن أنها كانت أعنف من سابقتها، طرحت بعدها سؤالي الثالث عليهم فلففت أصابعي في الهواء مطلقة سبابتي ثم أشرت بها على رأسي ثم ضممت أصابعي لكفي مطلقة إبهامي الذي مررته على رقبتي في حركة سريعة وصرخت هاتفته باسم (جينوس) في

رسالة بالإشارة أسألهم فيها قائلة:

- من منكم قرر أن ينتقم من (جينوس)؟

هلل الجميع في تلك المرة تهليلا هيستيريا جعل القوة تغلغل في عروقي وأشعل في قلبي رغبة في الانتقام من كل ما فعله بنا (جينوس)..

لكن بعد كل هذا لم أعلم ماذا يفترض بي أن أخبرهم، كنت واقفة أتأمل وأسمع لتهليلهم، فجأة تقدمت (ليديا) للأمام من وسطهم مشيرة بيديها نحوي وهي تهتف باسمي، تهتف قائلة (دومينيكا)..

هتف بعدها شعب المستنقع باسمي مرارًا وتكرارًا بلا توقف، كأنني مخلصتهم المنتظرة، وقفت (داشا) بجواري وقالت بسخريتها المعتادة:

- أهلًا بقائدة المستنقع الجديدة..

ابتسمت أنا ابتسامة ثقة عبثية صغيرة قاطعها سؤال من (برلانتا):

- ماذا تنوين أن تفعلي الآن يا قائدة؟

أخذت نفسًا عميقًا من شرود قصير في التفكير ثم التفت

لها وقلت:

- أهم شيء بالنسبة لي الآن هو أن أنقذ صديقي، بعد ذلك يجب على الشعب أن يحضر لنفسه أحجار الأترينيوم من الشجرة العملاقة ليضئ مصابيحه، بعدها نتحرك جميعا نحو الفنار فلدي أسئلة كثيرة للعجوز، بالإضافة إلى أنني أشعر أنها الخيط الذي سيوصلنا لمكان (جينوس)..

قالت (داشا) بدون سخرية للمرة الأول لها منذ أن عرفتها:

- أنا و(رالث) و(ليديا) سنجعل الشعب ينتظر حتى يتلاشى حقل الطاقة لتخرجي صديقك، بعدها سنعطيهم إشارة كي يتحركوا ويجلبوا أحجار الأترينيوم ليضيئوا مصابيحهم، سنطمئن بعدها على صديقك ثم نتحرك جميعًا نحو الفنار..

تحركت بعد ذلك نحو حقل الطاقة، وقفت امامة منتظرة لأن تدق أبواق الاستعداد ويفتح الحقل لأتقدم وأنقذك يا صديقي..

* * * *

بعد فترة من انتظاري أمام حقل الطاقة دقت أخيرًا أبواق الاستعداد..

أشارت (داشا) و(ليديا) و(رالث) لشعب المستنقع بالانتظار، بالتأكيد الكل استنتج نتيجة انتظاري أمام الحقل أنني أحتاج للدخول أولًا لجلب صديقي من داخل الحقل، لحظات وبدأ حقل الطاقة بالتلاشي بالتدريج من رأس الشجرة حتى مستوى سطح الأرض إلى أن تلاشى كليًا..

أسرعت حينها وركضت نحوك يا صديقي وفي يدي بطارية تنفسك التي قمت بتغيرها سريعا بجهاز تنفسك لحظة وصولي إليك، انتظرتك حتى تستفيق وظللت جالسة بجوارك متكئة على ركبتي، فكنت حينها أشبع عيوني المشتاقة بالنظر إليك وأتركها تناجيك كي تستيقظ مجددا، لكنك ظللت بلا حراك رغم تغيري لبطارية تنفسك القديمة بأخرى جديدة..

وضعت سريعا أذني على قلب صديقي لأتفقد النبض الذي كان متوقفا حينها، بعد ذلك قمت بهز جسده منتظرة منه إي ردة فعل تعطيني أملًا أنه لا زال على قيد الحياة وأنه لا يزال على وعده معي بأنه لن يتركني، هززته مجددا وبدأت الدموع تترجرج في عيني وأنا أقول له:

- وعدتني بأنه مهما حصل سأظل بجوارك، هل ستتراجع في كلامك الآن في أكثر وقت أحتاج إليك فيه؟

ظللت أهز جسده مرارًا وتكرارًا لكن دون جدوى، لكني ظللت مؤمنة بأنه لا يزال على قيد الحياة وأنه سوف يستيقظ قريبًا جدًا..

دموعي سالت على خدي دونًا عني وأنا أقوم بهزه مجددًا والصراخ فيه بهيستيرية قائلة:

- استيقظ، استقيظظظظظ ..

ركض نحوي (رالث) و(ليديا)، حاولت (ليديا) تهدأتي وقامت بمسح دموعي ثم احتضنتني وهمست بأذني قائلة:

- (دومينيكا) لا توجد فائدة لما تفعلينه، أنتِ أقوى من ذلك بكثير..

أزحتها بعيدًا ثم صرخت بوجهها قائلة:

- هو لا يزال حيًا، هو لن يتركنني، هو بالتأكيد حي يا (ليديا)..

نكست رأسي وسالت دموعي مجددًا وقلت متنهدة:

- لقد وعدني.. أنه لن يتركني.. وحدي بالمستنقع مهما حدث..

حاولت (ليديا) احتضاني لكنني دفعتها بعيدًا عني ولمرة أخرى هززت جسد صديقي وقمت بالصراخ في وجهه كي يفيق من كبوته..

أمسكت بي (داشا) من ظهري وحاولت أن تقنعني بأنني بحاجة لتهدئة أعصابي وهي تقوم بسحبي لأبتعد عن صديقي وأحاول تقبل أنه ميت..

كنت لحظتها كالمخدرة، تدفعني (داشا) من الخلف لتدخلني أحد الخيام لأمكث بها حتى أهدأ ويقوم بقية الشعب بحفر حفرة لدفن جثمانه..

تحركت بخطوات مستندة فيها على كتف (داشا)، التفت إلى صديقي مع كل خطوة وأناجيه في سري أترجاه أن يستيقظ من كبوته ويريحني من هذا العذاب والألم..

ظل (رالث) جالسًا بجواره يتفقد نبضه ويحاول إنعاشه في محاولة بائسة أخيرة، كنت حينها التفت له لأشبع عيني منه في نظرتي التي ربما تكون الأخيرة، وفي نظرتي الأخيرة إليه بعد أن جذبتني (داشا) للدخول لأحد الخيام قلت له في سري:

- سأكرهك لو تركتني، أعدك بذلك..

دخلت أحد الخيام القريبة بعد إلحاح (داشا)، كنت منهارة في البكاء وشعرت أن قلبي كاد أن ينتزع من ضلوعي لفراقه، لكن رغم ذلك كنت أتابع المشهد من فتحة الخيمة..

كان (رالث) لا يزال واضعًا أذنه على قلبه متفقدًا نبضه مجددًا وكنت أنا أنتظر رد (رالث) الأخير، بعد لحظات صرخ (رالث):

- لقد عاد النبض..

ركضت حينها نحو صديقي مهرولة بعد سماعي لما صرخ به (رالث)..

ما إن اقتربت منه حتى اتكأت على ركبتي وأمسكت بيده وانتظرت أن يستيقظ من كبوته..

كنت واثقة رغم كل شيء أنه لن يتركني، ألتفت ل(ليديا) قائلة:

- كنت متأكدة أنه سيعيش، كنت متأكدة.

هدأت (ليديا) من روعي وقامت بأحضاني، كلنا بتلك اللحظات كنا منتظرين استيقاظه بما فيهم شعب المستنقع

الذي كان مصطفًا خلفنا..

بعد فترة قصيرة فتح عيناه وبدأ صدره باستنشاق الهواء والتنفس مجددًا، سالت دموعي رغما عني وأنا أتأمل ملامحه بعد استيقاظه..

كم اشتاقت عيوني إلى تلك الملامح التي طالما كانت تقويني لحظة النظر إليه في أغلب لحظات ضعفي وانكساري وخوفي..

بعد أن استيقظ صديقي سأل محاولًا ترجمة ما يحدث حوله:

- ما الذي حدث؟

أجبت أنا بكل تلقائية:

- أنا سأحكي لك كل شيء، لكن بعد أن ترتاح قليلًا..

ساعدته على الوقوف وأسندته على كتفي أنا و(ليديا) ثم قلت ل(داشا):

- أشيري للشعب كي يتحرك ويجلب أحجار الأترينيوم ليضئ مصابيحه، سنجلس أنا وصديقي عند الحافة الجبلية عند

بداية المستنقع، سنستريح جميعا لفترة ومن ثم سنتحرك كما اتفقنا سابقًا..

قالت (داشا):

- علم.

نظرت نحو صديقي وابتسمت بوجهه قائلة:

- سعيدة لأنك أصبحت بخير..

ابتسم لها صديقي وقال:

- شكرًا لإنقاذي..

لحسن الحظ أنك تفهم ما نقول وتتحدث بلغتنا بعد ما حدث في إغماءتنا

الرابعة بعد بلبلة ألسنة شعب المستنقع كله، كان قلبي حينها ينبض بدقات سريعة بسبب فرحتى التي لا توصف بعودة صديقي، فلذلك قمت باختيار الحافة الجبلية عند بداية المستنقع لنجلس سويًا هناك وأنا أحكي له كل ما حدث معنا وهو ساقطا ومغمى عليه داخل حقل الطاقة، فالحافة تعتبر مكانًا هادئًا جميلًا يكشف المستنقع كله بالأسفل ويحمل بعض أجواء الرومانسية بالنسبة لي..

* * * *

صعدنا معًا للحافة الجبلية أنا وصديقي، كل ما كان يدور بباله حينها هو معرفة ماذا حدث منذ أن أعطاني حجر الأترينيوم، فناولته دفتر المذكرات وانتظرته حتى يقرأ كل شيء مررت به بدونه..

بعد أن أنهي قراءته للأحداث التي مررت بها قال متعجبًا:

- أنا لا أصدق أنه برغم كل ما تعرضتم له من خسائر قررتم أن تستكملوا تلك الرحلة الملعونة كي تنقذوا شعب المستنقع..

قلت أنا بنبرة شكر وفخر:

- في الحقيقة أنت من أنقذت شعب المستنقع وليس نحن، لولا ما قمت به لهلك الشعب كله..

قاطعني هو قائلًا:

- و لولا ما قمتِ به بتلك الرحلة أيضًا كان شعب المستنقع قد هلك بأكمله

لحظتها تذكرت كافة أحداث تلك الرحلة، بوصف أدق

تذكرت كل لحظات الخسائر التي تعرضنا لها ثم قلت له:

- الرحلة كانت صعبة جدًا وأتمنى ألا تتكرر، كانت تجربة نفسية بشعة خصوصًا حين ماتت (برلانتا) و(كايلا)، طوال الوقت كنت مكسورة وأحاول مدارة ذلك كي لا أضعف باقي الفريق ونكمل الرحلة، حتى الآن الوضع صعب بسبب مسؤولية أنني صرت قائدة المستنقع من بعد موت (كايلا) وشعب المستنقع بأكمله يتحرك بناء على قراراتي..

سأل صديقي متعجبًا:

- أليس هذا ما كنتِ تحتاجينه منذ البداية، أليس أنتِ من قررت أنك لن تموتي هنا؟

قلت مستنكرة لما قاله:

- هذا الكلام حينما كنت أنا وأنت محبوسان في غرفة سوداء ولا نفهم كيف جئنا إلى هنا ولماذا..

قاطعني حينها قائلًا:

- لكننا حتى الآن لازلنا لا نعرف لماذا جئنا إلى هنا أو كيف، كل ما فعلناه هو أننا أنقذنا شعب المستنقع وساعدناه أن يعيش ليوم جديد به، نحن حتى لا نمتلك أي خيط يوصلنا ل(جينوس).

قلت أنا مترددة:

- عثرت على خيط ربما يوصلنا ل(جينوس)..

قبض صديقي حاجبيه وسأل بتلقائية:

- ما هو؟

بالرغم من أنني لم أكن واثقة أنه خيط يمكنه حقا إيصالنا ل(جينوس)، لكنه الخيط الوحيد الذي نمتلكه للسير خلفه، فأجبته شارحة:

- السيدة العجوز عند الفنار، أنها الوحيدة التي ليس لديها جهاز تنفس يحتاج لبطارية مثلنا، حين سألتها عن السبب قالت بأن وقت اجابة هذا السؤال لم يحن بعد، حينما فكرت ووجدت أن الشخص الوحيد القادر أن يجعلها تتنفس بدون جهاز تنفس مثلنا هو (جينوس)..

صمت هو للحظات يفكر ثم قال بعد وهلة:

- تقريبًا هذا هو الخيط الوحيد الذي يمكننا أن نسير خلفه، كما أنه من المحتمل أن يوصلنا ل(جينوس) أيضًا..

كنت جالسة برأس منكس، خائفة من ألا يكون هذا الخيط يستطيع أن يوصلنا ل(جينوس) حقًا، سأكون حينها قد

خدعت المستنقع كله وسنتفرق ونظل في دائرة بحث متكررة عن بطاريات تنفس جديدة ونكرر تلك التجربة مرارًا وتكرارًا بلا أي تقدم ودون الوصول لأي إجابات لأسئلتنا لنعود سجناء مجددًا في سجن المستنقع.

قام صديقي برفع وجهي المنكس بيديه كي التفت إليه ثم قال:

- أنتِ قائدة للمستنقع الآن، لا ينبغي أن تظهري ضعيفة مكسورة أو تائهة بهذا الشكل أمامهم.

قلت له بنبرة انكسار استوطنت ملامحي:

- أنا خائفة من ألا يوصلنا هذا الخيط ل(جينوس)، كما أخشى أن يكون هذا الكابوس لم يكتب له قدرنا نهاية قط..

نظر في عيني المغرورقة بالضعف وقال بنبرة طمأنتني قليلًا:

- لا تخافي، حتى لو هذا الخيط لن يوصلنا لشيء، فسنظل نبحث عن (جينوس)، هو بالتأكيد موجود في مكان ما بالمستنقع وقريبًا جدًا سنصل إليه..

اتكأت برأسي على كتفه في حركة عبثية، لم أعلم لماذا قمت بفعل ذلك، لكنني كنت متأكدة لحظتها أنني أحتاج

للشعور بالأمان الذي لطالما كان شعور أفتقده منذ أن فتحت عيناي لأول مرة في هذا المستنقع، همست بعدها بتلقائية في أذنه قائلة:

- طوال الرحلة وأنا أفتقدك بشدة..

ابتسم خجلًا ثم ضمني لحضنه بتلقائية، تأملنا بعدها شعب المستنقع، كان المنظر بديعا من الأعلى وأنت تربالشعب من الأعلى مع ضوء المصابيح وحقل الطاقة، فكل ذلك كان بمثابة لوحة بديعة قمنا بتأمل جمالها ونحن شاردين في تفاصيلها المبهرة..

قاطع شرودنا -الذي دام لدقائق- قرار (جينوس) بتشويه تلك اللوحة التي كنا نتأملها لشعب المستنقع، حيث انطلق رمح ضرب الشجرة العملاقة التي تحمل أحجار الأترينيوم مما أدى لاشتعالها وحدوث خلل في حقل الطاقة الذي كان على مشارف الانغلاق..

سأل صديقي بوجه مفزوع من هول صدمة ما رأيناه للتو قائلًا:

- ما الذي يحدث؟

التفت حولي فوجدت (كايلا) وجيش المتحولين يتحركون

نحو حقل الطاقة لاستهداف شعب المستنقع، أما جهة اليمين فكان يقف عندها جيش أرض الأسلاف ممسكين بقلادات التنويم المغناطيسي لممارسة سحرهم على بقية شعب المستنقع..

حينها التفت سريعًا وقلت لصديقي:

- إنها بداية ثورة (جينوس)..

أمسكت بيديه وقمنا بالركض سريعا للعودة للمستنقع لتنبيه الشعب والهرب به سريعًا حتى لا يتعرض أي منهم للأذى.

أثناء ركضنا لمحت (كايلا) ترفع قوسها لإطلاق أحد السهام صوب واحد من شعب المستنقع، فشدت وتر قوسها وأطلقت، فأصابت فتي من شعب المستنقع في كتفه فسقط إثر تلك الضربة متألمًا وممسكًا بكتفه النازف..

صرخت بعدها (كايلا) مشيرة بيدها للأمام كإشارة للمتحولين بالتقدم لتحويل هذا الفتى المصاب بسهمها لواحد من جيش الوحوش المتحولين العميان..

أسرعت حينها أنا وصديقي بالركض عائدين نحو المستنقع

الذي اشتعلت في أرجائه نيران الهياج والخوف والهلع من ثورة (جينوس)..

ما أن وصلنا حتى استهدفت (كايلا) ما يقارب الخمسة عشر من شعب المستنقع الذين سقطوا في إغماءة جديدة، إغماءة الموت التي لا استيقاظ بعدها مطلقًا..

* * * *

الإغماءة السادسة عشر

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال السادس عشر في رحلتنا:

- ما هو السبب الرئيسي لخلق الإنسان؟

إنه يومنا الأخير بذلك المستنقع..

ربما هذا هو الخطر الوحيد الذي يهددنا في تلك اللحظة رغم هجوم المتحولين وظهور أرواح أرض الأسلاف، بالإضافة إلى احتراق شجرة أحجار الأترينيوم، كما سيغطي الظلام غدًا كل أرجاء المستنقع وسيفنى شعبه كله للأبد، ربما ينجح (جينوس) في تجربته بتدمير الحياة بالمستنقع، شرد ذهني حينها متسائلًا:

ألتلك الدرجة تخاف من مواجهتنا يا (جينوس)؟

أستحرمني من شرف سفك دمائك الذي أحلم به؟

لن تبيدنا مهما حدث يا (جينوس)، سأقتلك بيدي وستجيبني قبلها على كل تساؤلاتي، كما ستشرح لي سبب تلك التجربة ولماذا جلبتنا إلى هذا المستنقع، حتى لو اليوم هو يومنا الأخير قبل أن تصيبنا إغماءة الموت التي لا استيقاظ لنا بعدها..

كان هذا ما يدور في ذهني وأنا أركض أنا وصديقي عائدين نحو المستنقع وسهام المتحولين تسقط كالمطر على شعبه..

وصلت أنا وصديقي للمستنقع هابطين من القمة الجبلية، كان الشعب كله في حالة هياج ويتحركون في عشوائية في محاولات بائسة للاحتماء من سهام هؤلاء المتحولين، ركضت نحوي (ليديا) حين لمحتني وهي تقول:

- (دومينيكا) المتحولون في طريقهم إلينا، يجب أن نتصرف بسرعة..

كانت في غاية الارتباك والخوف، وضعت كفي على وجهها لتتأمل عيوني التي تحمل ثقة أننا لن نهلك الآن مهما حدث لنا وقلت لها:

- اهدأي ولا تقلقي، لدي خطة ضد المتحولين، اعثري على (داشا) وزجّوا شعب المستنقع بالخيام، هذا سيحميكم مؤقتًا من خطر السهام..

تحركت (ليديا) سريعًا للبحث عن (داشا) وتحريك الشعب نحو الخيام للاحتماء من خطر سهام المتحولين، صرخت بعدها مناديه على (رالث) فأمسك صديقي يدي وسألني:

- ما خطتك؟

التفت له وقلت بنبرة ارتباك حاولت مداراتها عن الجميع:

- حقل الطاقة سيغلق قريبًا، المتحولون يتحركون نحو جثث الموتى حتى يحولوها لوحوش مثلهم، أنت و(رالث) يجب أن تحملوا الجثث المصابة بالسهام من شعب المستنقع والتي لم تتحول بعد وتلقون بها بداخل حقل الطاقة، هذا سيستدرج المتحولين نحو الحقل وبذلك يكون هناك احتمال لأن نحبس عدد كبير منهم حينما يغلق حقل الطاقة مجددًا..

وافق صديقي على الخطة رغم جنونها كما اننا لا نحمل أي وقت للتفكير في حلول أفضل وسط كل ما يحدث، لكنه قبل أن يغادر للبحث عن (رالث) التفت لي وسألني بعيون كانت تحمل حينها خوف واضح عليَّ:

- وأنتِ ماذا ستفعلين؟

قلت له سريعًا:

- سأبحث عن (برلانتا) حتى نعثر على طريقة نتخلص بها من أرواح أرض الأسلاف..

قال صديقي سريعًا:

- توخَ الحذر..

هززت رأسي أن نعم وقلت له:

- وأنت أيضًا..

تحرك صديقي بحثًا عن (رالث) لتنفيذ خطتي، كما تحركت أنا جهة اليمين من المستنقع، المنطقة التي رأيت بها أرواح أرض الأسلاف من فوق الحافة الجبلية، ركضت نحو تلك المنطقة وأنا أصرخ مناديه ل(برلانتا) لكن دون جدوى، وقفت لحظتها عند المنطقة ذاتها التي رأيت بها أرواح أرض الأسلاف من فوق الحافة الجبلية، كانت المنطقة فارغة لحظتها، صرخت مرة أخرى منادية على (برلانتا) كي تظهر لكن دون جدوى..

انتاباني الخوف نتيجة سيناريو قمت بتخيله وهو فشل (برلانتا) في مقاومة أرض الأسلاف مما أدى لفناء روحها..

(برلانتا) هي حامية المستنقع الوحيدة من خطر سحر أرواح الأسلاف الذي تستعمله (أي الأرواح) لتحويل شعب المستنقع إلى أعضاء جدد في جيشهم، حيث تستعين في ذلك بقلادة (إلمو)..

بعد صراخي باحثة عن (برلانتا) دون جدوي، قررت العودة لتفقد شعب المستنقع مجددًا والبحث عنها هناك، فهي بالتأكيد تقوم بمقاومة أرواح الأسلاف عند منطقة حقل

الطاقة وخيام الشعب المجاورة له..

لكن ما إن التفت عائدة نحو شعب المستنقع حتى ظهرت أمامي فجأة بعض أرواح أرض الأسلاف، فتحركت للخلف في محاولة للهرب، لكن سرعان ما ظهرت أمامي مجموعة أرواح أخرى من الأرواح، أحاطتني الأرواح في شكل دائري كي لا أتمكن من الهرب، بعدها تقدم رجل من أرواح أرض الأسلاف وهو ممسك بقلادته وقال وهو يقترب مني:

- خائفة كعادتك، لكن للأسف هذا وقت فرح ومجد وليس خوف، فالآن وقت انضمامك لجيش أرواح الأسلاف..

اقترب مني الرجل ذاته ومع كل خطوة كان يقترب فيها كنت أتحرك للخلف حتى سقطت من الرعب وقمت بالزحف بجسدي للخلف..

يبدو أنها نهاية العرض المسرحي المسمى بيوم هلاك شعب المستنقع..

نبضات قلبي كانت تتسارع والخوف يلتهمني كلما اقتربت مني روح الرجل ذاته من أرض الأسلاف محركًا القلادة في حركة بندولية لليمين ولليسار وأنا لا أملك أي طاقة مقاومة، بعد لحظات من تحريكه للقلادة بدأت أشعر بخدر في

جسدي وانهيار لمقاومتي..

أيعقل أن تلك هي إغماءتي الأخيرة بالمستنقع حقًا!

بعد لحظات ظهرت (برلانتا) فجأة بجواري، رفعت قلادتها عاليًا مزيحة حينها كل أرواح أرض الأسلاف لعدة خطوات للخلف، كان ذلك بمثابة علامة لأرواح أرض الأسلاف أننا لا زلنا نقاوم بتلك الحرب..

قالت (برلانتا) بلهجة استعراضية:

- جميعكم يعلم أن سحركم باطل طالما أنا موجودة ولدي قلادة (ألمو)، مع ذلك لم يقم أي منكم بدعوتي لأي نزال..

قالت سيدة من أرواح أرض الأسلاف والتي كانت خصم (برلانتا) في نزال الأخير الذي كان في ساحة أرض الأسلاف:

- أنتِ كنتِ على بعد خطوة من فناء روحك في النزال الأخير، لولا أن صديقك الغبي ضحي بروحه كي يحميكِ..

ضحكت (برلانتا) ثم قالت:

- لا توجد مشكلة في أن نعيد النزال الأخير، لكنكم

ستتركون (دومينيكا) تغادر أولًا

قلت أنا بتلقائية مقاطعة لها:

- (برلانتا) لا يمكنني أن أتركك..

قالت مقاطعة بنبرة احتوت على بعض الحزم:

- يجب أن تغادري، فأنتِ قائدة الشعب الآن ويجب أن تعودي لتتابعي ماذا يحدث معهم كي تحميهم من خطر المتحولين وتساعديهم للوصول للمكان الذي اتفقنا عليه.

في النزال الأخير لنا بساحة أرض الأسلاف كانت (برلانتا) هالكة لا محالة لولا تدخل (ألمو) أما الآن فهي تضحي بروحها من أجل أن تكسبني بعض الوقت لأتمكن من مساعدة شعب المستنقع للنجاة من خطر المتحولين والهروب بالشعب نحو الفنار ومحاولة إيجاد أي خيط يساعدنا في الوصول ل(جينوس)..

قتلني إحساسي بالعجز في مساندة (برلانتا)، لا أستطيع أن أنازل بجوارها كما أن وجودي كعدمه، لكنني رغم ذلك قررت إلا أتركها، فلم أرد أن تكون تلك اللحظات هي اللحظات الأخيرة التي سنرى فيها بعضنا..

كنت أحتاج حقًا لهذا الوقت في تفقد ما يحدث بالمستنقع

ومحاولة الهروب بشعبه من خطر هجوم المتحولين وأرواح أرض الأسلاف، لكن أينبغي أن يكون ثمن كل هذا فناء روح (برلانتا)؟

استغرقت لحظات في التفكير والتردد في قراري النهائي قطعها صوت صراخ ل(برلانتا) لتحثني على المغادرة..

رغم العديد من الأخطاء التي ارتكبتها (برلانتا) منذ بداية رحلتنا بالمستنقع إلا أنني شعرت بأن شخصيتها وقرارتها في تلك اللحظات قد تحلت بدرجة كبيرة من النضج..

فالنضج هو أن تتجاوز دون أن تتجاهل، أن تفترض دون أن تتيقن، أن تعد دون أن توهم، أن تصر دون أن تتحكم، أن ترحل دون أن تهجر، أن تلوذ دون أن تهرب، أن تصمد دون أن تتمزق وأن تدافع دون أن تتحطم..

تأملت (برلانتا) بعيون مترددة ووجه لاذ صمتًا وكانت رسالته الصامتة الأخيرة ل(برلانتا) قبل ثوان من الرحيل لشعب المستنقع قلت فيها:

- أتمنى حينها أن تسامحيني يا (برلانتا) لتركك، أتمنى أن تربحي بهذا النزال، كما أتمنى أن أستطيع الاستفادة من مجازفتك بروحك للنجاة بشعب المستنقع والهروب من كل

تلك الأخطار بأقل خسائر ممكنة..

أفسحت أرواح أرض الأسلاف الطريق لي، ركضت سريعًا لتفقد ما يحدث بالمستنقع، ما أن وصلت حتى تأملت حقل الطاقة من مكاني، كان على وشك الانغلاق وملقى بداخله عدد من الجثث التي تم اصطيادها عن طريق هؤلاء المتحولين، حيث كانوا يتحركون نحو حقل الطاقة، اقتربت عدة خطوات أكثر نحو الحقل لأشاهد ما يجرى بداخله عن كثب، كانت (كايلا) تقف بجوار شجرة الأحجار العملاقة المحترقة، كما تقوم بإشعال سهامها ثم إطلاقها بأماكن متفرقة لتشعل المستنقع بأكمله..

صرخت أنا حينها منادية صديقي في محاولة للبحث عنه هو و(رالث) لكن دون جدوى، فجأة وجدت سهمًا مشتعلًا ينطلق نحوي وسمعت أذني صوت صراخ لشخص كانت نبرة صوته كانت مألوفة جدًا لأذني يصرخ:

- احترسي..

ارتمى نحوي ودفعني أرضًا لنتفادى سويًا السهم المشتعل، التفت نحوه فوجدته صديقي، ساعدني على الوقوف وتحركنا لعدة خطوات مبتعدين عن المنطقة التي أشعلت نتيجة السهم المشتعل وقال:

- (كايلا) تحرق المستنقع، يجب أن تتحركي بشعب المستنقع نحو الفنار بسرعة..

سألت بفضول أمتزج بالقلق لما سيفعله قائلة:

- وأنت ماذا ستفعل وأين (رالث)؟

صمت للحظات ثم قال بعيون تكتم دموعها رغم ضربات سياط الألم:

- (رالث) قتل بسهم من (كايلا) بعد أن طعن صديقتها بسكينه، أما أنا فسأسير خلف المتحولين المتحركين ناحية حقل الطاقة في محاولة للظفر ب (كايلا) أو على الأقل تعطيلها كي تتمكنوا من الهرب وينغلق حقل الطاقة آسرًا هؤلاء العميان..

قاطعته برفض تام لما قاله:

- يستحيل أن أوافق على تلك الخطة المجنونة، لقد ضحيت بنفسك مرة وحينما تمكنت من إنقاذك كنت حينها بين الحياة والموت، بالإضافة إلى أن الحقل لو انغلق عليك ستحترق بسبب الحريق الناشب بشجرة الأحجار.

قاطعني هو قائلًا:

- (كايلا) تحاول أن تحرق كل شيء، كما تحاول أيضًا أن تحرق الخيام التي يختبئ بها شعب المستنقع، أنتِ الوحيدة التي معك الخريطة وتستطيعين التحرك بالشعب نحو الفنار..

قاطعته أنا مجددًا قائلة:

- أنا يستحيل أن أتركك تضحي بنفسك مرة أخرى..

دفعني صارخًا في وجهي ليحثني على الركض والمغادرة سريعًا قائلًا:

يجب أن تتحركي بالشعب الآن نحو الفنار فلا يوجد وقت، أعدك أنني سآتي خلفك لكن يجب عليكي أن تتحركي بالشعب الآن..

تحرك صديقي بعد ذلك سريعًا للحاق بالمتحولين والاختفاء بينهم لمحاولة قتل (كايلا)، بينما ركضت أنا يمينًا نحو الخيام لأتفقد شعب المستنقع، بعد لحظات من الركض رأيت سهمًا ينطلق في السماء ويهوي على أحد الخيام التي يحتمي شعب المستنقع بداخلها، أسرعت في الركض حتى وصلت لتلك الخيام..

كان الشعب يقف مصطفا أمام الخيام المشتعلة، قمت

بإزاحتهم للتقدم للأمام لمشاهدة المنظر عن قرب، لكن المنظر كان بشعًا للغاية..

الخيام مشتعلة والجثث متساقطة أمامها تحرقها النيران، كما أن البعض منها كان قد تفحم..

ما كان يدور في بإلى حينها هو الاطمئنان على (داشا) و(ليديا)، لأنهم مفتاح نجاة شعب المستنقع الوحيد، فهم من سيقودون الشعب خلفهم نحو الفنار، كان المنظر قاسيا لا يمكن احتمال رؤيته لأكثر من ثوان، حين شاهدت المنظر وأدركت بشاعته صرخت بقرارة نفسي قائلة:

ما ذنب هؤلاء يا (جينوس)؟

لو قتل الحاكم ثوار ثارت على حكمة الفاسد فمن سيتبقى ليحكمه؟

ما ذنب هؤلاء الناس الذين فتحت عيونهم ووجدت نفسها بهذا المستنقع وأرادت فقط إلا تموت فيه، أرادت فقط أن تفهم ما هو سبب وجودها هنا!

ألتلك الدرجة أصبحت تخاف مواجهتنا يا (جينوس)؟

بعد العديد من الأسئلة التي دارت في ذهني لحظتها، تحركت خطوات للأمام معطية ظهري للخيام المشتعلة، أبحث بين الوجوه المصطفة أمامي عنهما متمنية أن تكون تلك السهام المشتعلة -التي لا تزال تضرم النيران بباقي الخيام- لم تحرقهم بعد..

بحثت بين كل تلك الوجوه لكنني لم أجد غير (داشا) تقف في أقصى يمين الصف الأول، نظرت لها نظرة صامتة بعيون تسأل عن (ليديا) بدموع مكتومة، فهزت رأسها بمعني نعم، لقد التهمتها النيران..

سقطت حينها على ركبتي بعد أن خارت قواي دونًا عني، وضعت يداي فوق رأسي وأطلقت عيناي دموعها المحسورة، ما أن رأتني (داشا) أتهاوى حتى هرولت نحوي، ربتت بيديها فوق كتفي وقالت بالنبرة الساخرة المعتادة لها التي تداري خلفها كل لحظات حزنها وانكسارها:

- (جينوس) قرر أن يبدأ جحيمه مبكرًا..

ظللت مكاني ودموعي لا تتوقف عن البكاء كأن (داشا) لم تقل شيئًا من الأساس، فها هي الآن أبخرة الخسارة ومرارة الفقدان تتصاعد في سماء الكآبة مكونة ستارة السكون الضبابية، مبكمة لكل شيء حولي..

جثت الأخيرة على ركبتيها أمامي، رفعت رأسي المنكس بيديها ومسحت دموعي ثم قالت في محاولة بائسة لمواساتي:

- (دومينيكا) أعرف أن خسارة (ليديا) إحساس صعب عليكي..

قاطعتها أنا بألم وحسرة على كل ما نتعرض له الآن من خسائر:

- لقد مات (رالث)، (برلانتا) في نزال يمكنه أن يفني روحها وصديقي يحاول أن يقتل (كايلا) متخفى بين المتحولين حتى يوقف هجوم تلك السهام، نحن لم نخسر (ليديا) فقط.

قالت (داشا) بعيون تلمع بأمل مبهم المصدر:

- كل واحد منهم ضحى بحياته في سبيل أن يمنحنا لحظة إضافية لنتمكن بواسطتها من إنقاذ شعب المستنقع، يجب علينا أن نتحرك الآن نحو الفنار حتى لا نخسر كل ما بذلوه لنا من تضحيات..

أخرجت أنا من جيبي الخريطة وأعطيتها ل(داشا) وقلت لها:

- إنها خريطة (كايلا)، تحركي حالًا بالشعب نحو الفنار.

سألت بتلقائية:

- ألن تأتي معنا؟

وقفت مجددًا على قدميّ وقلت لها:

- صديقي ضحى بنفسه مرة حتى ينقذ شعب المستنقع بأكمله، أظن أنه لا يمكنني أن أتركه ليضحي بنفسه مرة أخرى وأرحل بتلك السهولة.

تحركت مغادرة لكن (داشا) أمسكت بيدي وقالت بحزم:

- شعب المستنقع لن يتحرك خطوة واحدة دونك..

ألتفت لها وقلت بمهارة الإقناع التي اكتسبتها بعد أن صرت القائدة من بعد موت (كايلا):

- في حال تودين الانتظار بالشعب وسط كل تلك النيران لحين عودتي، فهذا قرارك..

نظرت لي بنظرة عجز، هي تعرفني جيدًا وتعرف أن قراري لن يتغير مهما حدث، فحتى لو انطلق سهم مشتعل وأحرقني سأذهب لإنقاذ صديقي، كانت النيران حينها تشتعل أكثر فأكثر وكل لحظة تقف فيها عاجزة تعجل بموتها، قالت لي

بعد أن فقدت الأمل في إقناعي:

- أعطي إشارة لشعب المستنقع كي يتحرك خلفي..

انطلقت (داشا) ووقفت أمامهم وفتحت الخريطة لمعرفة الطريق..

أشرت أنا بعدها بسبابتي نحو شعب المستنقع ثم هززت بسبابتي بحزم في الهواء ثم وضعت سبابتي ووسطتي على كف يدي الأيسر وحركتهم للأمام كأنهم شخص يسير في رسالة بالإشارة لشعب المستنقع أقول لهم فيها:

- يجب أن تتحركوا الآن جميعًا..

أشرت بعدها بسبابتي نحو (داشا) ثم رفعت يداي وأمسك كفي بعضهما البعض بعدها أشرت بسبابتي نحو الأسفل ثم حركتها مرة أخري في الهواء ثم رفعت يداي عاليًا وحركت كفي للأمام وللخلف في رسالة أخيرة أخبرهم فيها:

- (داشا) ستساعدكم على الرحيل، لكن يجب عليكم أن تتحركوا الآن..

انطلقت (داشا) ومن خلفها انطلق شعب المستنقع، أسرعت أنا عائدة نحو صديقي، حين وصلت كان حقل الطاقة على مشارف الانغلاق، أسرعت نحو حقل الطاقة

ووقفت أمامه، رأيت حينها صديقي يسير وسط المتحولين على بعد خطوات من (كايلا)، بعد لحظات خرج فجأة من وسطهم وقام بطعنها ثلاث طعنات في جنبها وهو يقول بوجه أنهكه سياط الرغبة في الانتقام لكل ما سببته (كايلا) من أذى:

- هذا لأجل (رالث) ومن ماتوا من شعب المستنقع..

بعد أن أنهى جملته دفعها بقدمية لتسقط في أحضان نيران شجرة أحجار الأترينيوم المشتعلة كانتقام لما فعلته سببته من دمار بالمستنقع وشعبه..

ألتفت صديقي للحقل الذي تبقى له ما يقارب الدقيقة قبل أن ينغلق، كان ستار الحقل الكهرومغناطيسي قد اقترب من الوصول لمستوى للأرض، حيث كانت المسافة التي لم يغطِها ستار الحقل بعد بارتفاع قدمين عن مستوى سطح الأرض..

تحرك صديقي عدة خطوات للخلف استعدادًا للركض والدفع بجسده للعبور من المسافة التي لا تزال مفتوحة في ستار حقل الطاقة..

لكنه بعد أن عاد للخلف سقط فجأة على وجهه، فقد

أمسك اثنين من المتحولين بأقدامه وقاموا بشدها..

أسرعت أنا نحوه وأمسكت بيديه في محاولة مني لسحبه خارج حقل الطاقة، لكن يبدو أن المتحولين قرروا أن صديقي يجب أن يبقي معهم حينما ينغلق الحقل، فسرعان ما ازداد عدد المتحولين الذين يمسكون بصديقي لسحبه داخل حقل الطاقة، كنت أقاوم وأحاول سحبه نحوي بكل ما أملك من طاقة بينما كان هو يحاول هو دفع المتحولين عنهم عن طريق أزاحتهم بأقدامه، لكن كل ذلك لم يجدي نفعا فعددهم كان يتزايد بمرور الوقت وحقل الطاقة يقترب من الانغلاق الكامل..

فجأة في وسط هذا الصراع سألني عقلي عن سبب هجوم المتحولون على صديقي، فتبعًا لخطته لقتل (كايلا) قد قام بالسير متخفيا بينهم دون أن يشعروا بأي فرق بينه وبينهم ولم يقم أحد بمهاجمته، فلماذا يقومون بهاجمته الآن؟

ما الشيء الذي يحرك هؤلاء المتحولين بعد أوامر (كايلا) وصديقتها؟

نعم، إنها الدماء، لكن إي دماء تلك التي يريدونها من صديقي فهو لم يصب كي ينزف دمًا؟

بعد لحظة تفكير تذكرت السكين التي وضعها صديقي في جيب سرواله التي تحمل دماء (كايلا) بعد أن قام بطعنها، فصرخت سريعًا قائلة له:

- ألقى بالسكين التي في جيبك بسرعة، المتحولون يهاجمونك بسبب دماء (كايلا) الموجودة عليه..

استدرك صديقي الأمر وأفلت يده اليسرى من يدي وأخرج بها من جيبه السكين التي طعن بها (كايلا) وألقي بها على يمينه، تحرك حينها المتحولون وراء السكين كالعميان، سحبت أنا صديقي بسرعة وأخرجته خارج الحقل، وقف كلينا بعدها يتأمل الحقل وهو يُغلق ستاره للمرة الأخيرة بعد حريق شجرة أحجار الأترينيوم..

إنها بداية يومنا الأخير في ذلك المستنقع، النهاية تقترب، لقد وصلنا للفصل الأخير في قصتك يا (جينوس)، نعتذر لأننا قمنا بتشويه نهايتك المثالية التي تخيلت فيها فناء المستنقع وهلاك شعبه، حقًا نحن نرفع لك القبعة في صناعة كل أحداث الدمار تلك، سبق جحيمك طوفان ثأرنا حقًا، لكن يجب أن تضع بالحسبان أن موعد طوفاننا قد اقترب..

فجأة ظهر انفجار ضوئي في السماء من جهة اليمين

بالمستنقع قام بحجب الرؤية عنا لبعض الوقت، قلت لصديقي والحزن يعتصر ملامح وجهي:

- إنها علامة على أن نزال (برلانتا) وروح أرض الأسلاف قد انتهى..

التفت لي صديقي، تأمل عيوني لفترة قصيرة أستشف فيها حزني نتيجة فقداني ل(برلانتا) في ذلك النزال، فطبقًا لما قرأه في دفتربعن ما جري في النزال السابق بين (برلانتا) وأحد أرواح الأسلاف، فقد كانت هزيمة (برلانتا) مؤكده، وضع يده على كتفي وضمني نحوه في محاولة لتقويتي وتعزيتي لفراق (برلانتا) وقال:

- (برلانتا) ضحت بنفسها حتى تعطي لشعب المستنقع وقت كي يهرب ويتحرك نحو الفنار، يجب أن نستغل تلك التضحية ونتحرك نحن أيضًا نحو الفنار سريعًا قبل أن تلحق بنا أرواح الأسلاف ..

فجأة ظهر صوت قاطع صديقي قائلًا:

- ألم يكن من المفترض أن تأخذي مصباح إضاءة من الشعب كي تتمكني من السير نحو الفنار، نظرًا لأن المستنقع الآن لا يضيئه شيء غير ضوء الحريق الناشب بشجرة أحجار الأترينيوم..

التفت سريعًا لأتأكد من الصوت، نعم كانت هي، أحد أبطال تلك المعركة بلا شك، كانت (برلانتا)، لم تصدق عيني ما رأته فقلت لها متعجبة:

- (برلانتا)، لكن كيف؟

ابتسمت (برلانتا) ابتسامة قصيرة قالت من بعدها مفسرة:

- روح سيدة أرض الأسلاف التي كنت أنزلها استنفذت كل قواها في نزالنا الأخير، هذا ما مكنني من هزيمتها رغم أن كفة النزال كانت مائلة أغلب الوقت لصالحها، المهم ماذا حدث مع شعب المستنقع؟

أخذت نفسًا عميقًا زفرت معه جزء مما يعتري صدري من آلام إثر بشاعة تلك الأحداث السابقة ثم أجبت قائلة بخيبة أمل:

- شعب المستنقع في طريقه نحو الفنار الآن، لكن عدد كبير منه قد مات بسبب سهام المتحولين، كما احترقت جثث العديد منهم..

نكست رأسي وبدأت عيوني تفقد قدرتها على كبح الدموع ثم استطردت:

- بالإضافة إلى أننا خسرنا (رالث) و(ليديا)..

قال صديقي حينها مكملًا:

- هذا غير أن حريق شجرة أحجار الأترينيوم يعني أن هذا اليوم هو اليوم الأخير لنا بالمستنقع..

نكست (برلانتا) رأسها كمهزومي الحرب، كنت أعلم كم هي حزينة لفراقهم، لكن انتصارنا في تلك المعركة هو من قام بتعزيتها كما أنه زرع في قلبها وفي قلوبنا جميعًا الأمل مجددًا، صمتت هي للحظات ثم قالت:

- بالإضافة إلى أن أرواح أرض الأسلاف لن تكون قادرة على مهاجمتنا لنهاية هذا اليوم فقط..

التفت شاخصة ببصري نحو حقل الطاقة، شردت في شجرة أحجار الأترينيوم العملاقة المشتعلة والمتحولون الذين يسقطون واحدًا تلو الآخر مغمى عليهم نتيجة تعرضهم لصعقة كهرومغناطيسية كلما اقترب أحدهم من ستار حقل الطاقة، رغم أن المشهد أمامي كان يحمل براعة تصوير سينمائية إلا أنني لم أرَه إلا مجرد نهاية لمسرحية من إخراج (جينوس)، فقلت لهم دون أن أحرم عينيّ من مشاهدة لحظة انغلاق ستارة هذا العرض المسرحي والتي لن تتكرر مجددًا:

- إنه يومنا الأخير بالمستنقع، إما أن نصل فيه لـ(جينوس)

ونجد تفسيرًا لكل شيء يحدث لنا ونعرف لماذا جئنا إلى هنا وكيف، أو تصبح تلك هي إغماءتنا الأخيرة التي سيفنى من بعدها شعب المستنقع بأكمله..

قال صديقي:

- علينا أن نتحرك الآن نحو الفنار.

ألقيت نظرتي الأخيرة على حقل الطاقة ثم تحرك ثلاثتنا متجهين صوب الفنار، الظلام التام غطى بقاع المستنقع كله كما هي العادة بعد نهاية وقت الإمداد، لكن لحسن حظنا كان ضوء الساطع من روح (برلانتا) كفيلًا لإنارة الطريق..

تقدمتهم أنا بشموخ ملكة انتصرت بجيشها في إحدى الحروب رغم كل ما يقبع أمامي من جثث متفحمة وخيام مشتعلة ورماد ممتزج بالدماء..

بدموع هطلت على خدي دونًا عني، لكنها كانت دموع عزة وفخر وليست دموع انكسار وندم وحسرة لما تلقيناه من خسائر بتلك الحرب الشنيعة..

بوجه تجتاحه ابتسامة عريضة، ليس لأننا أفسدنا على (جينوس) خططه لرؤية المستنقع يحترق بكل ما فيه، بل

لأنني صرت متأكدة أنه يراقب خطواتنا وأننا على الطريق الصحيح للوصول إليه..

بقلب لا يزال يضخ في أوصالي القوة والثبات والعزيمة رغم ضربات سياط الألم الذي يجلد ظهرنا كلما تألمنا لفراق عزيز لنا بالمستنقع..

بخطوات واثقة من أن إغماءتنا الأخيرة بهذا المستنقع لن تكون إلا لحظة راحة ولذة استمتاع تام لرؤيتك جثة متفحمة بنيران قسوتنا، بجسد دامي من طعنات غضبنا، بعيون تأمل أن تسقط في إغماءة ما تنجدك من الغرق بطوفان ثأرنا يا (جينوس)..

* * * *

الجزء الرابع:

(مدينة الظل)

الإغماءة السابعة عشر

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال السابع عشر في رحلتنا:

- ما هو الشيء الذي يحاول المنتحر الهروب منه الحياة، أم الواقع؟

في طريق كانت العتمة فيه رفيقة لثلاثتنا، مثلها في ذلك الصمت الذي جعل عقلي عرضة لهجمات الهواجس والتي تظل مسيطرة طوال الوقت على تفكيرك كما تجذب كامل انتباهك مستنزفة بذلك مخزون طاقتك العقلية تمامًا..

ففي أثناء سيرنا نحن الثلاثة بطريقنا نحو الجزيرة الثالثة التي يقبع بها الفنار، بدأت تلك الهواجس بنهش عقلي مستنزفة مخزونة بالتدريج، حيث كان الهاجس يقول:

- أين اللذة في صراع دون حوار بين طرفيه يشرح فيه كل طرف للآخر كيف ستميل كفة هذا الصراع لصالحه؟

مرت عدة دقائق استغرقتها في البحث عن إجابة تطفئ نيران هذا الهاجس المؤرق لعقلي، حيث كانت إجابتي:

- هنالك دومًا لحظة يجبرك فيها طرف الصراع الآخر على إعادة التفكير في كونك الرابح الحقيقي لهذا الصراع أم لا، لحظة يجعلك فيها الطرف الآخر تنظر لذلك الصراع وكأنك أحد المتابعين له من ساحة النزال، لحظة يُطلق عليها ذروة الأحداث.

بعد أن عبرنا الجسر الواصل بين الجزيرتين الأولى والثانية ضرب سياط الهواجس عقلي مجددًا بهاجس ثاني كان

يقول:

- ماذا لو أن تلك السيدة العجوز في الفنار لا تحمل أي إجابات تساعدنا في الوصول ل(جينوس) من الأساس؟

للأسف لم أتمكن من العثور على أي إجابة لهذا الهاجس، حيث ظل الهاجس يجلد عقلي بسياطه حتى وصلنا للجسر الحائل بين الجزيرتين الثانية والثالثة أي بداية المنطقة التي يقبع فيها الفنار، حينها لمحت شعب المستنقع وهو يقف مصطفًا عند الجهة المقابلة من الجسر مضيئًا لمصابيحه لحين وصول قائدته، منتظرًا لأن تضخ جرعة أمل ولو بسيطة بعروقه مجددًا، منتظرا لذلك الحوار بيني وبين تلك العجوز الذي يفترض به أن ينتهي على نهاية واحدة لا غير، نهاية تبدأ في اللحظة أقف فيها أمامهم لأخبرهم أن تلك السيدة العجوز قد أخبرتني أخيرًا بالمكان الذي يقبع به (جينوس)، اللحظة التي نقف فيها وجها إلى وجه معه، ليس ليجيبنا عن أسئلتنا المبهمة بخصوص المستنقع فقط، بل لننتقم منه على كل ما سببه لنا ولغيرنا من شعب المستنقع، فالثأر من كل مما فعله بنا سيكون الإحساس الوحيد الشافي لغليلنا..

ما أن عبر ثلاثتنا الجسر حتى طرأ على عقلي هاجس ثالث كان يقول:

- ماذا لو أن النهاية التي تخيلتها بأن تلك السيدة ستخبرنا عن طريقة الوصول ل(جينوس) ما هي إلا مجرد لحظة لذة في صراعنا معه، فماذا لو كان (جينوس) مراقبًا عن كثب لكل ما نمر به من الأساس؟ ماذا لو إنه يضحك الآن عقب وصولنا للفنار بقلوب واثقة أننا على بعد خطوة واحدة منه بينما نحن في الحقيقة لا زلنا بعيدين جدًا عنه؟

لحسن حظي عثرت على إجابة لهذا الهاجس سريعًا والتي كانت تقول:

- لحظتها سيكون (جينوس) قد سجننا في خانة اليك، السجن الذي لا يمكننا مغادرته إلا لو قام هو نفسه بفتح بابه لتحريرنا..

ما إن حررني عقلي أخيرًا من زنزانة تلك الهواجس، حتى لاحظت سريعًا وجود شيء غريب بنظرات شعب المستنقع جميعًا تجاهي، فلم تكن تلك النظرات كالتي تخيلتها وأنا في طريقي إليهم مطلقًا، فقد كانت نظرات لوم وعتاب ودمار للثقة أو بمعنى أدق شرارة ثورة للشعب على قائدتهم..

لم تكن نظراتهم لي هي الشيء الوحيد الغريب الذي لفت انتباهي، بل تلك الأوراق التي بين أيادي الشعب كله وكأنها رسالة ما مجهولة المصدر..

تقدمت حينها بين صفوف شعب المستنقع بحثا عن (داشا) لتحكي لي ما حدث للشعب منذ أن قادتهم من المستنقع إلى منطقة الفنار..

كانت (داشا) حينها تقف بجوار السيدة العجوز في الصفوف الأولى من الشعب وبين يديها نفس تلك الرسالة، كان الاثنان يقفان منتظرين قدومي وخلفنا يقف الشعب مصطفًا، ما إن اقتربت من (داشا) حتى سألتها:

- (داشا) ماذا هناك، ولمَ أنتم واقفون هكذا كأن هنالك مصيبة؟

أجابت العجوز:

- لقد سبقوكِ إلى هنا وسألوني كيف أتوا إلى المستنقع وطلبوا مني إجابة على سؤالهم وأنا أرسلت لهم الإجابة في تلك الإقرارات..

ابتسمت (داشا) بوجهي ثم اكملت (داشا) بأسلوبها الساخر كعادتها:

- هنالك ثورة ستحدث قريبًا..

سألت (برلانتا) متعجبة مستنكرة مما قالته (داشا)

وقالت:

- أي ثورة تلك التي ستحصل قريبًا؟ أنا لا أفهم شيئًا.

التفتت لها (داشا) وقالت:

- للأسف، لا يوجد أحد هنا يفهم أي شئ..

سأل صديقي مقاطعًا:

- حسنًا، أيمكنك أن تحكي لنا ماذا حدث قبل أن نأتي إلى هنا يا (داشا)؟

تحركت (داشا) نحو صندوق كان على يمينها وأخرجت منه رسالة كالتي يحملها شعب المستنقع، رسالة كانت مربوطة بخيط سميك يتدلى من نهايته أيقونة تشبه أيقونة السلاسل تحتوي على صورة لي، أزلت الحبل وفتحت الرسالة وبدأت بقراءة ما تحتويه..

" أقر أنا المدعوة / دومينيكا

أنني أوافق على خوض تجربة المستنقع، كما أنني أتحمل كل عواقبها وأضرارها، كما أتعهد أنني المسؤولة عن أي أضرار تحدث بتلك التجربة سواء لي أو للمئتي شخص اللذين تم اختيارهم لخوض تلك التجربة معي، كما أعترف

أمام العالم أن تجربة (جينوس) هي تجربة سيتحدد من خلالها مصيرهم، فإما أن يقرروا بعد نهاية تلك التجربة الانتقال لعالم جديد من عوالم مدينة الظل التي أبتكرها (جينوس) أو يستعيدوا ذاكرتهم ويعودوا إلى واقعهم الذي خاضوا تلك التجربة هربًا منه منذ البداية..

التوقيع: دومينيكا "

علمت لحظتها سبب نظرات شعب المستنقع لي التي تحمل اللوم والعتاب وتطلب تفسيرًا منطقي لما قرأه كل منهم بلغته، فهذا هو تفسير وجود رسالة في يد كل شخص وجود أيقونة بها صورة لي في نهاية الحبل الذي رُبطت به رسالتي، التفت لي (داشا) بعد أن انتهيت من قراءة الرسالة وقالت بنبرة حازمة على غير عادتها:

- كلنا الآن نحتاج تفسيرًا منطقيًا منك لهذا الإقرار الذي قرأته لتوك.

برأس منكسة وبصوت يخجل من أن يتكلم قلت:

- ليس لدي أي تفسير..

قالت (داشا) بحزم مستنكرة:

- كذابة..

التفت لها سريعًا بعد نعتي بالكاذبة بنظرة صارمة أقول لها فيها بلغة الصمت كيف تجرؤين؟

لكني لم أستطع التفوه بأي كلمة بعد تلك الرسالة سواء ل(داشا) أو لشعب المستنقع، أنا مذنبة لا تمتلك دليل براءة، لذلك عذرتها فهي الآن تراني كاذبة وتحتاج تفسيرًا لما قرأته وتسأل نفسها:

- أيعقل أن تكوني انتِ يا (دومينيكا) من قام بجلبنا لتلك التجربة في ذلك المستنقع منذ البداية!

عذرت كذلك شعب المستنقع، فرغم أن الشعب أجمع جعلني قائدته بعد موت (كايلا) إلا أن ذلك لن يشفع لي مطلقًا بدون رد واضح أو تفسير منطقي لما كُتب بذلك الإقرار الذي جعلني إمامهم المتسببة في كل ما مروا به من عذاب في صراع البقاء على قيد الحياة بالمستنقع..

فالأذى أشبه بجرح غائر في أبهي الوجوه جمالًا، بقعة حبر في أنصع الأثواب بياضًا، تصدع واضح في أعتى المباني صلابة..

أكملت (داشا) بغضب وحزم استقتهما ملامحها:

- الخط الذي وقعتي به على هذا الإقرار هو نفس خطك بدفتر مذكراتك، أعتقد أن شعب المستنقع من حقه أن تمنحيه تفسيرًا..

جثيت على ركبتي عجزًا وانكسار، لقد حبسنا (جينوس) في خانة إليك حقًا، قلت مستسلمة برأس منكس وعيون تسيل دموعها:

- أنا فعلًا ليس لدي أي تفسير..

جثت (داشا) على ركبتيها بجواري وقالت:

- (دومينيكا) لو لم تجدي تفسيرًا منطقيًا لذلك الإقرار فسيرحلون جميعًا..

جثي صديقي هو الآخر على ركبتيه ورفع رأسي المنكس ومسح دموعي قائلًا لي:

- (دومينيكا) اسمعيني جيدًا، بغض النظر عن الإقرار الذي ظهر فجأة، شعب المستنقع كله لا يصدق غير نهاية واحدة لتلك الحكاية، نهاية تقول أن (دومينيكا) هي البطل الذي سينقذه من الهلاك قبل أن يقرر (جينوس) أن يفني المستنقع بأكمله.

أي قصة في الدنيا تتكون من ثلاثة أجزاء، بداية ووسط

ونهاية، لكن قصة صراعي مع (جينوس) بدأت من المنتصف، أو قام هو بسردها من الوسط، لن أنكر أنني أتمنى أن أظل تلك البطلة التي يعتقد شعب المستنقع أنها ملاذهم الأخير للنجاة من الهلاك رغم كل ما نمر به الآن..

لكن كثيرًا ما يحرمنا القدر من أشياء نتمناها، فهو يجبرنا على النسيان دومًا، يجبرنا أن ندفن بداخلنا ذلك الحلم قبل حتى أن يولد، يجبرنا بهاجس الخوف أن نحول أحلامنا لكوابيس مرعبة، فكل حلم ينتهي يصبح أمنية تدفن في عقولنا داخل مستودع يسمي الذكريات، مستودع يخزن ولا يعطي، يخزن حديثًا ويخرج أسرارًا، يخزن حلمًا ويعطي انكسارًا..

أكمل صديقي حديثي ليقطع شرودي:

- (جينوس) يعرف أننا على وشك الوصول إليه، لذلك يحاول أن يعطلنا بكل الطرق، أرى أنه يجب عليكِ أن تقفي وتحدثي الشعب وتخبريه أن الإقرار ما هو إلا أحد ألاعيب (جينوس) التي يحاول أن يعرقلنا بها، كما أنكِ مثلهم تريدين أن تفهمي كيف جئتِ إلى هنا ولماذا ولديكِ رغبة في الانتقام منه مثلهم بالضبط..

اقتربت العجوز مني وقالت:

- النبش في قبر الماضي هو أول خطوة في طريق الحقيقة، فشعب المستنقع سأل السؤال الذي يبحث عن إجابته منذ ولوجه للمستنقع، أما الآن فحان دورك كي تسألي وتعرفي إجابة سؤال يحيرك منذ قدومك للمستنقع..

التفت بظهرها وسارت لعدة خطوات وهي تقول بلهجة استعراضية:

- لكن هل السؤال سيكون كيف لي أن أتنفس دون جهاز تنفس مثلكم أم يفترض به أن يكون كيف يمكنك الوصول ل(جينوس) كي تعثري على إجابات منطقية لتساؤلات شعب المستنقع حول ذلك الإقرار؟

مسحت دموعي وقمت من جلستي ثم وقفت أمام العجوز وسألتها:

- كيف أصل ل(جينوس)؟

التفت العجوز نحو السماء وقالت:

- انتظريه، سيأتي بالإجابة قريبًا..

سأل صديقي بتلقائية:

- (جينوس)!؟

التفتت له العجوز وقالت:

- الغراب..

بعد فترة من تأملنا للسماء سمعنا أصوات لمجموعة من الغربان، كانوا أربعة غربان معلق في أرجلهم حبال مربوط في نهايتها صندوق خشبي، هبطت الغربان على الأرض وقمت أنا و(داشا) وصديقي بفك الحبال من أرجل تلك الغربان وجعلها تحلق مجددًا، فتحت بعد ذلك الصندوق فوجدت بداخله جهازًا أشبه بمشغل أسطوانات وبداخل الصندوق توجد أربع أسطوانات مرقمة، قالت العجوز:

- كل أسطوانة من تلك الأسطوانات تحمل سرًا سيقربكم مما تريدون معرفته وسيكشف لكم في النهاية كيف تصلون ل(جينوس)..

بدون تفكير أخرجت جهاز الأسطوانات ووضعته أرضًا ووضعت به الأسطوانة الأولى وضغطت على زر التشغيل..

ظهرت بعد لحظات كرة هالوجرامية من الجهاز باللون الأزرق بدا لنا أنها ستشكل مشهد ما بطريقة مجسمة، كان المشهد عبارة عن مرسى للسفن تقف عنده (دومينيكا)، تتحرك نحو أحد السفن وتسأل ربانها قائلة:

- أود الذهاب إلى جزيرة San Giorgio، شمال إيطاليا..

التفت الربان لها ووظهرت على ملامحه التعجب والريبة وسأل:

- لكنها جزيرة مهجورة منذ سنين، فلماذا تريدين الذهاب لهناك؟

فكرت (دومينيكا) للحظات بعد أن ظهر على ملامحها حيرة من سؤاله ثم قالت:

- أعمل مصورة بأحد الصحف وأحتاج لتصوير العديد من الأماكن التي تقع بتلك الجزيرة.

قبض الرجل حاجبيه للحظات مفكرًا ثم ابتسم ابتسم قائلًا:

- حسنًا، اصعدي، إيطاليا ضمن وجهتي..

قبل أن تصعد للسفينة أخرجت بطاقة من جيب سترتها لتقرأ ما كتب بها:

نحن سفراء مدينة الظل..

لقد قررنا اختيارك لنحررك من قيود هذا الواقع المفروض علينا

نحاول إنقاذ ما تبقى من روحك المتهالكة

وأن نفتح عينيك على الجزء الخفي من هذا العالم

نعلم ماضيك ونحاول مساعدتك للهروب من هواجسه التي تطاردك دومًا هواجسه التي صنعت بداخلك ورمًا قد تفاقم ليس لك يد فيه

نعلم أيضًا أنك حاولت مرارًا وتكرارًا الهروب بطرق خاطئة

لكنك لم تعلم الفرق بين الهروب من الحياة والهروب من الواقع

ندعوك اليوم لتكون عضوًا جديدًا بمدينة الظل

تلك المدينة التي نتوارى فيها من عتمة واقعهم بنور خيالنا

نحن مثلك، كنا سابقًا نحمل نفس آلامك وقد داويناها

الآن نحن نترقب انضمامك كي نداوي لك آلامك..

أعادت الورقة لجيب سترتها، ترددت للحظات قبل الصعود وراودتها هواجس العودة بعد أن شعرت في قرارة نفسها أن ما تفعله أشبه بالجنون لولوجها لتلك الرحلة المجهولة التفاصيل، لكنها حسمت أمرها في النهاية بالصعود للسفينة لمحاولة الوصول لمدينة الظل والوصول لتفسير منطقي لمحتوى تلك الرسالة..

ثم تغير المشهد الذي تعرضه لنا الكرة الهالوجرامية، ليتحول إلى جلسة سمر بالسفينة وهي في طريقها لوجهتها، تجلس (دومينيكا) في حلقة مكونة من حوالي ثلاثين شخص في حالة من الضحك والمرح كما هي عادات سهرات السمر..

كانت الحلقة في وسطها قارورة زجاجية يقوم أحد منهم بالتناوب لتدويرها ومن تشير إليه الزجاجة تسأله امرأة خمسينية ممسكة بدفتر وقلم قائلة:

- ماذا تريد أن تكتب في الرسالة؟

أشارت الزجاجة في تلك المرة على شاب ثلاثينى بشارب كثيف وبشرة قمحية وجسد نحيل فقال بنبرة تخللها بعض الخجل:

- قصيدة أسميتها (جسر العشاق)، أهديها لحبيبتي ورفيقتي التي فقدتها منذ عامين نتيجة حادث سيارة، كما أهديها أيضًا لكم جميعًا ولكل من له عزيز قد فقده..

أخرج مفكرته وبدأ بإلقاء قصيدته قائلًا:

وقف القلب على الدرب العتيق

يحسب الأيام خلفًا وأمامًا

من أضاع العمر في هذا الطريق؟

ساكبًا إياه وجدًا وغرامًا

طاف بالجسر المعلق عابرًا

هل تهاوى الجسر أم صرنا حطامًا

حبيبتي هذا الطريق طريقنا

فهل أضعناه أم ضعنا عليه؟

قد ظننا أننا بلغنا منتهاه

فإذا بالعمر يسبقنا إليه

أين أثاري على الدرب الطويل؟

هل سنمضي ولن يكون لنا أثرًا؟

أين أحلامي أصارت مستحيل؟

بعد آلامك وساعات السفر

لماذا تصمتين كأننا كنا معًا؟

لم نذب بالحب سهدًا واحتراقًا

وأزور الجسر وحدي كأننا

لا التقينا ولا كنا رفاقًا..

صفق الجميع له بعد استمتاعهم بجمال قصيدته، أعاد شخص آخر تدوير القارورة الزجاجية التي أشارت نحو (دومينيكا)، فسألتها السيدة الخمسينية نفس السؤال الذي سألته للشاب الثلاثيني فأجابتها قائلة:

- إنه شكر خاص، لكل من قابلتهم في حياتي، شكر لأنهم جعلوني وحشًا مكبل الأطراف، تنين بفم مقيد حتى لا يكويهم بلهيب المه الذين كانوا سببًا رئيسيًا فيه، أتمنى أن تنتهي ضحاياكم برحيلي عن عالمكم..

ظهر التأثر على ملامح الجميع والتعجب على ملامح البعض، بعدها قامت المرأة الخمسينية بقطع الورقة التي دونت فيها إجابات تلك الأسئلة ولفتها بطريقة دائرية ووضعتها بداخل الزجاجة، ثم أعطت القارورة الزجاجية ل(دومينيكا) قائلة:

- أتمنى أن تعثري على عالمك الجديد، الآن بما أنك آخر شخص اختارته الزجاجة لإجابة السؤال وطبقًا للقواعد ينبغي عليكِ إلقاء الزجاجة في عرض البحر..

تحركت (دومينيكا) نحو أحد حواف السفينة ممسكة بالقارورة الزجاجية وألقتها بقوة في مياه البحر..

بعدها تغير المشهد الذي تعرضه لنا الكرة الهالوجرامية، فأصبح عبارة عن قصر أسود لافتته مكتوب عليها (قصر مدينة الظل)..

كانت تقف (دومينيكا) أمامه ممسكة بالبطاقة وتقوم بمقارنة صورة القصر المرسوم على ظهرها بذلك القصر

القابع الآن أمامها..

اختفت بعد ذلك الكرة الهالوجرامية كعلامة لنهاية ما تحتويه الأسطوانة الأولى، ذهبت بعدها نحو الصندوق لأحضر الأسطوانة الثانية وأقوم بتشغيلها لكنني صدمت من صرخة أطلقتها (داشا) وأنا أخرج الأسطوانة الجديدة قائلة وهي تقف مصدومة مما تراه:

- (برلانتا)، يداكِ..

التفت سريعًا نحو (برلانتا)، كان المنظر صادمًا حقًا، حيث كانت (برلانتا) بيدين متلاشيتين تقريبًا، كرسالة من (جينوس) أننا أصبحنا محبوسين في خانة أليك وأن درعنا الوحيد ضد أرواح الأسلاف تستقبله إغماءة الفناء بمنتهى الشغف..

* * * *

الإغماءة الثامنة عشر

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال الثامن عشر في رحلتنا:

- لماذا لم يفكر آدم وحواء في تقديم توبة للخالق بدلًا من توريث تلك الخطية لأبنائهم وحرمان ذريتهم من الجنة؟

النكبة الفجائية..

ذلك الورم السرطاني الذي لا يخبرك مطلقًا أنه أصابك، فقط ينذرك أنك على بعد أيام من موت حتمي بهدف أن يتفاقم، حيث أن نسبة الشفاء منه لن تتعدى الثلاثة بالمئة فيما بعد..

هذا ما أصابنا حينما تفاجأنا بتلاشي جزء من زراع (برلانتا)، حيث أصبح ظهرنا مكشوفا الآن بتلك الحرب، فبتلاشي روح (برلانتا) وارد جدًا أن نصاب بهجوم من أرواح أرض الأسلاف ينهي كل شيء ويهدم طريقنا الوحيد للوصول ل(جينوس)..

متبقٍ لنا أسطوانتان الآن، خطوتان لنصل للحقيقة، لكننا كعداء كسرت قدمه في منتصف السباق، فلن يعترف بأنه خرج من السباق نتيجة إصابته، كما أنه لن يقتنع مطلقًا أنه مهما حدث لن يربح السباق مطلقًا..

سألت (داشا) بعيون تذرف دمعتها الأولى منذ ولوجنا للمستنقع:

- ألا يوجد حل يوقف فناء روحها؟

ردت العجوز:

- تفنى الأرواح الهائمة طالما لم تدفن أجسادها في قبور أرض الأسلاف، تمامًا مثل موت أي بشري بالمستنقع في حال لم يقم باستبدال بطارية تنفسه المنتهية بأخرى جديدة..

قلت أنا بنبرة أحاول من خلالها أن أزرع فيهم مجددًا أي أمل:

- لقد ربحت (برلانتا) في النزال الأخير ضد أحد أرواح الأسلاف، مما يعني أن تلك الأرواح لن تتمكن من مهاجمتنا إلا في بداية وقت الإمداد الجديد وأعتقد أننا سنصل ل(جينوس) قبل ذلك، حتى لو لم نصل فسنكون حينها جميعًا موتى بأرواح هائمة بسبب الظلام الذي سيحل بالمستنقع بعد الحريق الذي اندلع بشجرة أحجار الأترينيوم.

قالت (برلانتا) محطمة لمجاديف سفينتنا التي نحاول الأبحار بها في بحر الأمل الذي اشتدت عواصفه عنفًا على أشرعتها:

- بتلاشي روحي تستطيع أرواح الأسلاف مهاجمتكم قبل بداية وقت الإمداد الجديد..

صدم الجميع مما قالته (برلانتا)، أصبحنا في خانة أليك

ولحظة هلاكنا قبل أن نتوصل للحقيقة قد اقتربت، فقال صديقي بقليل من الحكمة في محاولة لنتدارك الوضع:

- أعتقد أن علينا أن نتريث ولا نقلق الشعب بخطر مماثل للخطر الذي نحاول الهروب منه منذ قدومنا للفنار للمرة الثانية.

فقالت (داشا) بعد أن ألقت نظرة على شعب المستنقع المصطف خلفنا:

- للأسف أعتقد أن الشعب قد ترجم ما يحدث..

التفت لي وأكملت بنبرتها الساخرة التي أظن أنها أصبحت أحد لزمات شخصيتها لاتي لا يمكنها التخلي عنها حتى في حال تعرضنا لأزمة ما:

- أظن أنكِ على وشك إلقاء خطاب جديد لتطفئي نيران الحيرة بصدورهم يا قائدة..

بعد لحظات تقدمت نحوي مجموعة من الشباب والفتيات من شعب المستنقع، تقدمتهم فتاة بوجه يسيطر الغضب على ملامحه، قالت مجموعة من الجمل بلغتها لم أستطع ترجمتها، لكنني فهمت ما كانت تقصده، فأتى بعدها صوتًا من خلفي لشاب قال:

- تقول لكِ أنهم يشعرون أنهم هالكين هنا بسببك وأنهم قد قرروا الرحيل..

التفت للفتى صاحب الصوت، كان فتى متوسط الطول بشعر أسود طويل وبشرة سمراء، سألته بتلقائية:

- أتتحدث لغتنا؟

قال الفتى ذاته:

- في الحقيقة أنا أفهم وأتكلم بكل اللغات من بعد حادث بلبلة الألسنة.

التفت صديقي لي وقال مبتسمًا:

- أعتقد أنك ستلقين الآن أفضل خطاب في تاريخ المستنقع.

هززت رأسي تأييدًا لتلك الفكرة، حيث قلت في قرارة نفسي أنني لم أعطهم بعد إجابة شافية على ما قرأوه بذلك الإقرار الذي أعلن من خلاله أنني المسؤولة عن كل ما يحدث بتلك التجربة، فكنت أحتاج لاستعادة ثقتهم بي مرة أخرى وأظن أنني وجدت الطريقة المناسبة لذلك الآن، فالتفت نحو الفتى المترجم وقلت له:

- أخبرهم أنني سأُلقي لهم خطاب، بعدها لن أمنعهم لو ما

زالوا يريدون الرحيل عنا..

أخبرهم المترجم بأنني على وشك إلقاء خطاب للشعب جميعًا يجب عليهم أن يستمعوا إليه، وقفت أنا حينها أمام شعب المستنقع استعدادًا لإلقاء الخطاب، على يميني الفتى المترجم وعلى يساري صديقي والمرأة العجوز و(داشا) التي تقف بجوار (برلانتا) محاولة حفظ ملامحها قبل أن تفنى روحها تمامًا..

لأول مرة كقائدة سأعطي للشعب حقًا في مناقشتي، حيث تغير كثيرين منهم، فكثيرين أصبحوا كارهين، وكثيرين مشككين، وكثيرين يريدون السير وحدهم فقط ليشعروا أنهم في مأمن بعيدًا عني بعد أن علموا أنني من سمحت بحدوث تلك التجربة لهم..

فالتفت للفتي المترجم وأخبرته أن يسمع ما أقول ثم يقوم بترجمته بعدها لكل اللغات التي يتحدث بها شعب المستنقع، نظرت بعدها لشعب المستنقع وقلت بثقة بادئة خطابي:

شعب المستنقع، اليوم خطابي إليكم سيكون مختلفًا عن طريقته المعتادة، فاليوم خطاب سيتمكن الجميع من ترجمته وفهمه.

Screenshot saved

أشرت بيدي نحو الفتى المترجم وقلت:

- هذا بالإضافة إلى أن الجميع يمكنه التحدث فيه بكل ما يرغب في قوله وهذا بفضل الفتى الذي يستطيع التحدث بكل اللغات التي نتحدث بها في المستنقع بعد حادث بلبلة ألسنتنا.

تأملت عيون الشعب في تلك اللحظة، كانوا كمنفذ حكم الإعدام حين ينتظر تحقيق المطلب الأخير للشخص الذي على وشك أن يعدم، فأكملت محاولة تجاهل نظراتهم:

- أعلم أن كثيرًا منكم اهتزت ثقته بي بعد قراءته للإقرار الذي أقر فيه بمسؤوليتي عن كل ما يحدث لنا بالمستنقع، فبفرض أن هذا الإقرار صحيح وأنا حقًا الشخص المتسبب في إدخالكم لتجربة (جينوس)، فعليكم أن تثقوا بأنني الآن قد قررت الانتقام لكم من كل ما سببه (جينوس) لكم من ضرر في تلك التجربة..

قاطعتني فتاة من شعب المستنقع قائلة بلغة غريبة ترجمها لي الفتى المترجم:

- نحن جميعًا نريد تفسيرًا لذلك الإقرار، كما نود أن نعرف ما هي علاقتنا بكِ وب(جينوس)؟

قال رجل آخر بلغة مختلفة ترجمها المترجم:

- لم يعد أحد يثق بكِ بعد قراءتنا جميعا لذلك الإقرار.

صرخت الفتاة ذاتها التي أخبرتني سابقًا هي ومجموعة من الشباب والفتيات التي تقدمتهم أنهم سيهلكون هنا بسببي وأنهم قد قرروا الرحيل قائلة بلغة أخرى ترجمها لي المترجم:

- لو لم تعطِنا إجابة الآن، سنرحل عنكِ؛ لأننا لو ظللنا هنا بالتأكيد ستكونين سببًا في موتنا مثل ما كنتِ سببًا في دخولنا إلى تلك التجربة..

ثار الشعب كلًا بجملته المختلفة في لغتها عن سابقتها وبدأ الكل بالصراخ في عبث واضح، لقد اشتعلت الثورة بيننا بالضبط كما أعد لها (جينوس) لتفريقنا ثم هلاكنا في هذا المستنقع قبل أن نصل إليه ونثأر منه بسبب كل ما فعله بنا منذ ولوجنا إلى ذلك المستنقع، لكنني لن أترك تلك الثورة تفرقنا مهما حدث، صرخت بصوت أعلى من الكل قائلة:

- اصمتوا..

صمت الجميع لحظتها، التفت سريعًا للمترجم وقلت له أن يترجم لهم ما سأقول:

- أخبرتكم من البداية أنني لا أحمل أي تفسير لذلك الإقرار، من يريد الرحيل عنا لن يمنعه أحد، أتمنى فقط أن يحدد وجهة له قبل رحيله حتى لا يكون الهلاك مصيره، كما عليه التأكد أننا سنظل هنا نبحث عن طريقنا الذي سيوصلنا ل(جينوس) كي ننتقم منه..

نظرت لهم وسألت صارخة:

- من منكم قد حسم أمره بالرحيل عنا؟

رفع ثلاثة من شعب المستنقع أياديهم، ثم بدأت الأيادي المرتفعة تزداد حتى وصل عددهم إلى ثمانية عشر شخصًا، ثمانية عشر شخصًا قلوبهم كانت ميتة بعد تحطم حائط الثقة التي كانوا يستندون عليه بسببي سابقًا..

شعرت حينها أنني قائدة ديموقراطية بتركي لهم كي يرحلوا، لكن شعوري كمسؤولة عن الشعب حتم على أن أحاول إقناعهم بعدم الرحيل حتى لو بالإجبار، لحظتها لمع حل في دماغي ظننته أنه سيقوم بإيقاف عدد كبير منهم ويجعلهم يعدلون عن قرارهم، فقلت لهم رسالة ترجمها المترجم:

- أنتم ثمانية عشر شخصًا، لو أردتم الرحيل فسترحلون بثلاث مصابيح فقط..

صدمت حينها عندما وافقوا جميعًا على ما قلت دون حتى أن يفكروا أو يترددوا في قرارهم ولو للحظة، عندها علمت أنني مهما حاولت ردعهم عن الرحيل فقرارهم لن يتغير فسمحت لهم بالرحيل، التفت (برلانتا) نحوي وقالت بمنتهي الغضب:

- أستتركينهم يرحلون بتلك السهولة!

رددت أنا مستسلمة:

- ألديكِ حل آخر؟

قالت (داشا):

- أنتِ دومًا من تحملين الحلول يا (دومينيكا)..

التفت لها وقلت:

- لقد قمت بالحل الوحيد الذي كان أمامي وأخبرتهم أنهم سيرحلون بثلاث مصابيح فقط لو قرروا الرحيل، لقد فقد عدد كبير من شعب المستنقع ثقته بي بعد قراءته للإقرار..

- لكنه لا يزال يثق بكِ..

قالها صديقي وهو ينظر لي بنظرة أعادت الثقة لقلبي، التفت صديقي للمترجم وقال له أن يخبرهم أن ينتظروا،

ركض المترجم ولحق بهم وجعلهم ينتظروا، لحظتها تقدم صديقي نحو هؤلاء الثمانية عشر وقال:

- جميعكم يتذكر بالتأكيد ماذا حدث وقت حادثة بلبلة الألسنة أليس كذلك؟

قالت فتاة بلغة ترجمها المترجم:

- كنا سنهلك جميعًا لولاك..

قال فتى آخر بلغة أخرى استطاع المترجم ترجمتها أيضًا:

- ألقيت بنفسك في اللحظة الأخيرة في حقل الطاقة للحصول على حجر أترينيوم أعطيته للقائدة كي تنقذنا جميعًا.

سأل صديقي:

- هذا يعني أن جميعكم يثق بي أليس كذلك؟

ترجم المترجم أن الجميع أجابوا بنعم، أكمل بعدها صديقي قائلًا:

- لو أنكم تثقون بي حقًا فصدقوني، الطريق الذي قررتم أن تسيروا به لن يوصلكم لشيء غير الهلاك، فلو تثقون

بي حقًا لأنني ألقيت بنفسي في حقل الطاقة كي أحضر لكم حجر أترينيوم لأنقذ به شعب المستنقع كله من هلاك كان وشيكًا، فلا تنسوا بأن (دومينيكا) قررت دخول رحلة طويلة رأت فيها الموت أكثر من مرة كي تنقذكم جميعًا، (دومينيكا) هي القائدة التي يجب علينا السير خلفها، فهي الوحيدة التي تستطيع أن توصلنا ل(جينوس) وتخرجنا من كابوس ذلك المستنقع..

نظر إليهم ثم قال مبتسمًا:

- إذن، من منكم قرر العودة عن قراره؟

لحظات من التردد والخجل تلاها تراجع وعودة من الثمانية عشر جميعًا، الجميع الآن قرر البقاء معنا في الفنار منتظرًا معرفة ما تحتويه الأسطوانة الثانية، فبدون تردد قمت بإخراج الأسطوانة الثانية من الصندوق وبدلتها بالأسطوانة الأولى ثم قمت بتشغيل الجهاز مجددًا..

ظهرت حينها الكرة الهالوجرامية الزرقاء مرة أخرى والتي قامت بدورها بتشكيل المشهد الجديد لنا..

كان المشهد في تلك المرة عبارة عن مسرح على شكل نصف دائرة رخامية مدرجة، يوجد أمام المسرح ممر رخامي متفرع من المركز نحو الجهة المقابلة منه..

كان المسرح أمامنا بالمشهد ممتلئ بالناس، كما أن البعض منهم كانت وجوهه مألوفة بالنسبة لنا، حيث كانت وجوه للعديد من أفراد شعب المستنقع إن لم يكن كلهم، الكل ممسك ببطاقة وجهها الأول بالون الأسود ومكتوب في أعلاه بطاقة سفير الظلام، أما ظهرها فباللون الأبيض ومكتوب في أعلاه بطاقة سفير النور..

فجأة التفت الجميع فجأة وظهرت ملامح الجلبة على وجوههم لحظة دخوله، كان رجل أربعيني بشعر متوسط الطول مع لحية مكتملة رماديًا اللون، عيونه ضيقة وأنفه متوسط وملامحه هادئة نوعًا ما، يرتدي سروالًا أسود، وقميصًا أبيض، وبليزر قماشي أسود اللون أسفل معطف طويل بلون رمادي، إضافة لحذاء أسود جميعهم من الطراز الكلاسيكي، صوت احتكاك قدمه بالممر الرخامي الذي يسير عليه كان أعلى صوت يمكن للأذن سماعه منذ لحظة ظهوره، كما أن عيون كل من بالمسرح كانت تراقب كل خطوة لذلك الرجل في أمعان شديد وإصغاء تام لما سوف يقول، حينها وقف الرجل الأربعيني ذاته على بعد عدة أمتار منهم، أخرج من جيب معطفه سماعة أذن لوح بها أمامنا ثم قام بارتدائها، كإشارة لهم أن على الجميع ارتداء تلك السماعة الموضوعة في الصندوق خشبي أسفل المسرح والتي فائدتها هي أنها بمثابة مترجم إلى للغة حامل راية

الحديث نظرًا لأن ملامح من كانوا على المسرح -رغم أن ملامح أغلبهم كانت بنفس ملامح شعب المستنقع- توضح أنهم من مختلف بقاع العالم..

بعد أن قام الجميع بارتداء السماعات وعاد لموضعه السابق بالمسرح، التفت الرجل الأربعيني لليسار ثم مرر عينيه ببطء محركًا رأسه ناحية اليمين ليتأمل كل من بالمسرح ثم قال بنبرة مستنفرة:

- عيونكم، أنها تذكرني بذلك الطفيلي الذي قمت باستئصاله من جسدي منذ سنين..

كممثلي المسرح لحظة إلقائهم جملة السوكسيه، تحرك يمينًا ويسارًا مؤديًا ببراعة وإحساس جملته قائلًا:

- الخوف، الألم، الرغبة في الانتقام أو الموت، دائمًا ما كان يصرخ في أذنك قائلًا أوقف ذلك الألم، أوقف ذلك الألم، أوقف ذلك الألم..

مرر عيونه والتي يعتبرها مقياسا يستشف به مدى تأثرهم بما قاله عليهم مجددًا، تحرك نحوهم ووقف على بعد خطوات منهم، أشار بسبابته على أحدهم وقال:

- أنت تجري في طريق لا نهاية له..

صعد أول درجتين من درجات المسرح، وضع يديه على كتف شاب آخر وقال:

- قواعده هي أنه لا يمكنك التوقف عن العدو..

صعد عدة درجات أخرى ثم وقف خلف فتاة وهمس بأذنها قائلًا:

- لأنك لن تتوقف إلا لو تعرقلت..

أكمل وهو ينزل من على درجات المسرح:

- ولو تعرقلت، الوحوش التي تهرب منها ستقتلك.

عاد مجددًا للنقطة التي ألقى منها جملته الأولى، قال وهو يشير بيمينه على كل من بالمسرح:

- الشيء الوحيد الذي نتشارك به، هو أننا جميعًا نحاول الهروب من تلك الوحوش

أكمل بمنتهى التأثر وبملامح وجه تستشف مشاعر كل من بالمسرح مجتمعة:

- الوحوش التي أذتنا، عبثت في هوياتنا إن لم يكنوا قد دمروها..

وضع يديه خلف ظهره وتحرك عدة خطوات يمينًا ويسارًا قائلًا:

- لقد أوهمك هذا الطفيلي أن طريقة إنهاء آلامك هي أن تنهي حياتك، فلديه حكايات بطرق مقنعه في الحقيقة، اقطع شرايينك حين يغادر كل من بالمنزل، ألقِ بنفسك أمام سيارة، اصعد فوق برج عالي وألقِ بنفسك.

تحرك عدة خطوات نحوهم وهو يتسأل قائلًا:

- من منكم حاول الانتحار عن طريق الصعود فوق سطح منزله أو فوق أحد الأبراج العالية؟

رفعت فتاة بملامح آسيوية يدها فسألها:

- ما الذي جعلك تتراجعين عن قرارك؟

لن أنكر أنني شعرت بالخوف، التردد، لكن السبب الرئيسي الذي دفعني للتراجع عن قراري هو صوت يهمس في أذني ويسأل لأجل من؟

سالت دموعها وهي تقول بنبرة متألمة:

- لم يوجد شخص أو شيء كان يستحق أن أنهي حياتي لأجله..

بقواعد المسرح فتلك الفتاة تستحق تصفيقه سوكسيه لبراعتها بأقناع كل من بالمسرح بما قالت وعكس ذلك على ملامح وجهها وتعبيراتها، لكن طبقًا لقواعد (جينوس) التفت لها وقال:

- أحيّيكِ على صراحتك، لكن هذا ليس السبب الحقيقي..

استطرد قائلًا:

- السبب الحقيقي هو أنك نظرتِ للأسفل لتري البشر أو كما نسميهم الوحوش، ضئيلي الحجم، شعرتِ حينها بالعظمة التي شفت جروحك.

قاطعه فتى بملامح أسترالية:

- الوهم ليس دواء..

قاطعه بغضب قائلًا:

- هذا ليس وهمًا.

اقترب منه صاعدًا عدة درجات بالمسرح، توقف أمامه على بعد عدة خطوات وقال بنبرة هادئة تلك المرة:

- ما فعلته هو أنها أعطت لنفسها الدواء الذي قتل بداخلها

ذلك الطفيلي الذي دائمًا ما يعبث بعقلها ويخبرها أن عليها العدو من تلك الأسود، الدواء الذي جعلها تستفيق لتكتشف أنها فيل يمكنه إزاحة الأسود بدفعة بخرطومه.

هبط السلم معطيًا ظهره لهم وهو يقول:

- هذا ما تحتاجونه، إعادة تعريفكم لأنفسكم، اليقين أن بداخلكم تنين في ثبات عميق ولم ينفث نيران غضبه بعد..

أخرج بعدها من جيبه بطاقة هي نفسها البطاقة التي بيد كل من بالمسرح وقال بعد أن التفت لذلك الفتى:

- تلك البطاقة تسمي وسيط الظل، وجهها الأمامي هو سفير الظلام الذي ستدونون فيه أسباب انتحاركم وما الذي سبب ذلك الدمار بداخلكم، وجهها الخلفي هو سفير النور الذي ستدونون فيه تخيلكم لعالم تتمنون أن يحل محل الواقع الذي أتيتم إلى هنا هربا منه، من ينهي ملئ وجهي البطاقة فليتركها في الصندوق بعدها سنقوم بقراءة ما كتبتم، بعد ذلك سيحلق وسيط الظل بأرواحكم ليشفيها من جروح الماضي ويرسم لكم المستقبل الذي طالما نسجه خيالكم في مدينة الظل..

جلس الجميع على المدرجات الرخامية بأجسادهم، بينما حلقت أرواحهم بأجنحة وسيط الظل هاربين من أرض آلامهم إلى السماء أحلامهم، ليست كل الإغماءات تحدث للعقل

في أرض الواقع فهناك إغماءة تحدث للعقل حين يضرب بضربة من عصا الوهم وتسقطه مغشيًا عليه في مملكة الخيال، تلك هي الإغماءة التي أصابت كل من بالمسرح لحظتها، إغماءة النشوة في أرض الوهم..

* * * *

الإغماءة التاسعة عشر

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال التاسع عشر في رحلتنا:

- لو أننا لسنا مسيرون في قصة الحياة فمن هو مغير الأحداث نحن باختياراتنا أم القدر؟

الاطمئنان على (برلانتا) كان هو الأمر الذي يشغل بإلى بعد نهاية الأسطوانة الثانية مباشرة، لذلك تحركت نحوها بسرعة وجثيت على ركبتي بجوارها وسألتها بروح متهالكة منهارة:

- هل أنتِ بخير؟

كانت يدها قد تلاشت بالكامل بالإضافة لجزء من قدمها، فأجابتني قائلة:

- نعم، ماذا عنكِ؟

نظرت للسماء وأجبت بعد أن أطلقت ضحكة ساخرة:

- ماذا يفترض بي أن أكون بعد أن أصبح (جينوس) بطلًا في عيون شعب المستنقع ونسى جميعهم كل ما فعله بنا، كما أنهم ينظرون لي على أنني السبب في كل ما يحدث لنا بالمستنقع بناء على ما قرأوه بالإقرار؟

- عليكِ أن تثقي بما يخبرك به قلبكِ عن حقيقتكِ..

قالها صديقي الذي تبعني للاطمئنان على (برلانتا)، التفت له فأكمل:

- لو أنكِ شخص سيء حقًا والسبب الحقيقي لولوجنا بهذا المستنقع، فلما قمتِ بمساعدة شعب المستنقع حينما أعطيتك حجر الأترينيوم؟

قاطعته (داشا) قائلة:

- بالإضافة إلى أنه لم يخطر بمخيلة أحد من شعب المستنقع مطلقًا قبل مشاهدته للأسطوانة ثانية أن (جينوس) ربما يكون شخص جيد، فلا زال هناك أسطوانة تُخفي العديد من الأسرار..

قلت أنا برأس منكس وبنبرة توحي بانكساري:

- أنا فقط يراودني هاجس بأنني قد ارتكبت خطأ ما في مدينة الظل تسبب في ولوج الشعب للمستنقع وقد نسيته بحكم فقدان الجميع لذاكرتهم.

قالت (داشا) بسخريتها المعتادة:

- أظن أن الصورة التي نريد أن نصير عليها الآن ما هي إلا نتاج لما كنا نحاول الهروب منه سابقًا في العالم الواقعي..

ابتسمت أنا للحظات ثم قلت:

- أتمنى أن تكوني على حق يا (داشا).

قالت (برلانتا) بنبرة بثّت بداخلي أملًا ما كنت أحتاجه لأيقن أنه ربما أنا حقًا من الأشخاص الأخيار سابقًا في العالم الواقعي:

- (دومينيكا) لا تهدري طاقتك في أمور فارغة، تذكري دومًا أن شعب المستنقع لا يمكنه التحرك خطوة واحدة دونك يا قائدة..

أعطتني جملة (برلانتا) الأخيرة الأمل بالإضافة إلى أنها ألهمتني أن الوقت يداهمنا وأن علينا أن نقوم بتشغيل الأسطوانة الثالثة، فربما لن تسعفنا طاقة روح (برلانتا) المتبقية لحمايتنا من خطر أرواح الأسلاف حتى نتمكن من معرفة الحقيقة التي لا تزال مخبئة بداخل تلك الأسطوانات، فقلت لها:

- أنتِ أيضًا حاولي الحفاظ على ما تبقى من طاقتك..

كانت (برلانتا) تعلم في قرارة نفسها أنني أخبرها بأننا هالكون بفناء روحها، كما أن وجهها كان يخبرني أن الوقت يداهمنا..

لذلك قمت من جلستي وتحركت مجددا نحو جهاز تشغيل الأسطوانات، أخرجت الأسطوانة الثالثة وقبل أن أقوم بوضعها في مشغل الأسطوانات أمسك الفتى المترجم بيدي

وأعطاني أحد الأوراق وقال:

- إنها قصيدة شعر تحفيزية كتبتها بلغتي وقمت بترجمتها إلى لغتك كما ترجمتها بكل لغات شعب المستنقع جميعًا، أعتقد أنها ستضخ الحماس في قلوب شعب المستنقع..

كم رائعة تلك الفكرة، كم مبهر لي هذا الفتى المترجم بأفعاله، كنا بالتأكيد نحتاج لأن نضخ الحماس مجددًا في قلوب شعب المستنقع وها قد فعلها هذا الفتى المبهر بقصيدته والتي كانت كلماتها التي دونها بلغته:

without memories I woke up

I found myself in this swamp

People behind me say hurry up

Find a battery , turn on the lamp

I was surprised by what I saw

Around me magic , spears and bows

I will always fight in the team row

Cause I refuse to hide in the burrow

We suffered several losses in that game

Our people burned by monsters flame

Although, we fight not to die in shame

Our revenge would be the only claim

last battery , last atrinium stone for our the lamps

It is final chapter in the story of swamp

At the end , souls surrounded our camp

But , we still protected by our champs

التي ترجمها لي المترجم بلغتي في ظهر الورقة كما

ترجمها بكل لغات شعب المستنقع وكانت كلماتها:

بدون ذكريات استيقظت

وجدت نفسي في هذا المستنقع

الناس خلفي يقولون لي أسرع

ابحث عن بطارية تنفس، قم بتشغيل المصباح

لقد فوجئت بما رأيته

حولي السحر والرماح والأقواس

سأقاتل دائمًا في صف الفريق

لأنني أرفض الاختباء في الجحر

لقد عانينا من عدة خسائر في تلك المباراة

شعبنا تحرقه لهب الوحوش

رغم ذلك، نحن نكافح حتى لا نموت في خجل

سيكون انتقامنا هو المكسب الوحيد

البطارية الأخيرة، حجر الأتربنيوم الأخير بمصابيحنا

إنه الفصل الأخير في قصة المستنقع

في النهاية، الأرواح تحاوط معسكرنا

لكننا لا زلنا محتميين خلف ظهر أبطالنا

التفت له قائلة بعد إنهائي لقراءة كلمات تلك القصيدة:

- إنها كلمات رائعة حقًا..

ابتسم الفتى المترجم وقال بحماس:

- ما رأيك لو حفظها الشعب بلغتي بعد أن يقرأ كل منهم ترجمة كلماتها بلغته الخاصة ليفهم معانيها، بعدها نقوم بترديدها كأغنية تحفيزية لنا جميعًا!

لأجيبه دون تردد بنفس قدر الحماس:

- إنها فكرة ممتازة حقًا، فلتخبرهم بذلك إذن..

وقف الفتى المترجم أمام شعب المستنقع وقام بتجميعهم من حوله وبدأ بتقسيمهم لعدة مجموعات حسب لغاتهم المختلفة، كما أعطى كل مجموعة منهم ورقة مدون بها كلمات الأغنية بلغته الخاصة، كما ترجمها لهم بلغتهم في ظهر الورقة..

قرأ الجميع معاني كلمات القصيدة كلا بلغته الخاصة، بعد ذلك بدأ الجميع بترديد الكلمات باللغة الخاصة بالمترجم ليقوموا بحفظها وترديدها برتم ونهج واحد، حيث قاموا بترديدها بحماس لعدة مرات..

كم كنت أفتقد تلك الروح والبهجة والأمل في نظرات شعب المستنقع، فقد أعطاني ذلك أملًا وقوة كنت أفتقدها بشدة في ذلك الوقت، حينها تحركت نحو الفتى المترجم وقلت له بنبرة امتنان لما فعله:

- شكرًا لك على كل ما فعلته، كانت فكرة رائعة أعادت الحماس للشعب أجمع، كما أنها أعادت ترابط الجميع كروح واحدة..

ابتسم الفتى المترجم وقال:

- أنا أحاول بقدر المستطاع أن أعيد الترابط بين شعب

المستنقع..

ابتسمت له وشكرته مجددًا..

قمت بعد ذلك بإخراج الأسطوانة الثالثة من الصندوق واستبدالها بالأسطوانة الثانية ثم قمت بتشغيل الجهاز، لتظهر مرة أخري الكرة الهالوجرامية الزرقاء التي قامت بدورها بتشكيل المشهد الجديد لنا..

* * * *

مجددًا من داخل مسرح مدينة الظل..

الجميع يقف على مدرجات المسرح النصف دائري مسلطا نظره على الرجل الأربعيني الذي لم يخبرهم باسمه بعد، لكننا كنا قد استنتجنا بأنه (جينوس) منذ لحظة ظهوره في أحداث الأسطوانة الثانية، بجوار (جينوس) كانت تقف امرأة في مقتبل العقد الثالث من عمرها، لا أعتقد أنها كانت من أصحاب بطاقات دعوة لمدينة الظل بل أظن أنها أحد مساعديه، كانت تقف بجواره ممسكة بالصندوق الذي ترك فيه الواقفين على المسرح بطاقات وسيط الظل بعد أن قاموا بملئها، حيث كانت تناول (جينوس) البطاقات واحدة تلو الأخرى..

كانت علامات التأثر واضحة على ملامح الجميع، مما أكد لي أنا وشعب المستنقع أن (جينوس) قام بقراءة العديد مما دون في تلك البطاقات..

حينها ناولته مساعدته القابعة بجواره بطاقة وسيط ظل جديدة وبدأ يقرأ على من بالمسرح ما تم تدوينه على وجه تلك الورقة المسمى بسفير الظلام وقال:

- كنت أحاول الهروب من نظرة اللوم والاشمئزاز وإحساسي بأنني قد جلبت العار لعائلتي، ففي أحد الأيام غادرت مكان عملي في ساعة متأخرة بعد منتصف الليل بسبب تراكم بعض الملفات التي كان على إنهائها، عبرت بجواري أحد السيارات الأجرة، انفتحت أبوابها فجأة ونزل منها خمسة أشخاص يرتدون قناعًا أسود يخفي ملامحهم، قيدوني وألقوني بالسيارة، بعدها وجدت نفسي في أحد المخازن القديمة في منطقة لم تطأها قدم لسنين، مزقوا ملابسي ونهشوا جسدي كغزالة بين قطيع من الأسود، ضاجعوني بعدها لعديد من المرات، سالت الدماء من كل جزء بجسدي بسبب عنف اغتصابهم لي، يداي وقدماي كانوا مقيدين مما جعلني عاجزة عن المقاومة، كنت أصرخ فقط بفمي الذي أعتقد أنهم لم يقيدوه ليستمتعوا بصوت مقاومتي الذي يشعرهم باللذة، صرخت حتى قذفت الدماء من فمي بعد أن

مزق صراخي حبالي الصوتية، بعد أن انتهوا ألبسوني عباءة قديمة مهترئة وألقوا بي أمام المخزن وغادروا مستقلين سيارتهم، في الصباح تم نقلي بواسطة مجهول إلى أحد المستشفيات، مرت شهور وأنا أحاول التأقلم ونسيان ما حدث، أحاول استعادة آدميتي التي تم تدميرها، لم أخبر خطيبي بأي شيء مما حدث، أخبرته أنه حادث على الطريق لمجموعة من قطاع الطرق الذين حاولوا سرقتي وأنا قاومت، كنت طوال الوقت أحاول البحث عن حوادث مشابهة لما تعرضت له حتى أحاول الوصول لمن فعلوا بي ذلك، إحساس العجز عن معرفة الوصول إليهم بسبب أنهم كانوا مقنعين كان يقتلني كل يوم، لكن الألم لم يتوقف لحظة، فبعد مرور ثلاث شهور أراد خطيبي فسخ خطبتنا بعد أن شاهد فيديو اغتصابي الذي تم رفعه على الإنترنت، احترم أهلي قراره وبدلًا من أن يقوموا باحتضاني وسط تلك الأزمة قاموا بإيذائي أذى نفسي بنظراتهم ولومهم الدائم واتهامي بتدنيس شرفهم، حاولت الانتحار عدة مرات لإنهاء كل هذا الألم لكنني لم أستطيع، ففي كل مرة كنت أحاول كنت أعجز بعد تأنيب عقلي لي بأن على الانتقام من هؤلاء الأوغاد أولًا..

قلب (جينوس) الورقة وبدأ يقرأ ما تم تدوينه على وجه الورقة المسمى سفير النور وقال:

- أتمنى عالم عادل به قانون يسري على الجميع، لا توجد به جرائم تحدث في الخفاء، عالم يعاقب فيه كل من يخطئ حتى لو لم يكن هناك شهود على أفعاله..

أعطت مساعدة (جينوس) الواقفة بجواره بطاقة وسيط ظل الجديدة وبدأ يقرأ مجددًا على من بالمسرح ما تم تدوينه على وجه الورقة المسمى سفير الظلام وقال:

- كرهت حياتي بعد أن أصبحت عاجزًا عن مقاومة أدماني للكوكايين، ففي أحد الأيام أحضر لي أحد الأصدقاء كوب من القهوة قبل أحد المحاضرات بالجامعة، لكنها كانت تحمل شيئًا مختلفًا تلك المرة مما جعلني أطلب منه كوبًا آخر، بعدها طلبت كوبًا ثالثًا فأخبرني أنه قام بوضع الكوكايين بكوب القهوة ليجر أقدامي لإدمانه، حيث أنه لا يحمل نقودًا لجلب جرعة جديدة وهو يعلم أن عائلتي عائلة ثرية وأنني صيد مربح بالنسبة له، أعطيته المال دون أن أفكر طالما سيعطيني الجرعة القادمة، مر أسبوعان أعطيه فيهم النقود فيقوم بإعطائي الجرعة، بعد ذلك أختفي وأغلق هاتفه، سقطت أنا في اليوم ذاته بالجامعة، كان جسدي يتألم ويُزل، ليس لأنه في كل مرة كان يحاول مقاومة احتياجه للكوكاكيين، بل لأنه عاجز عن الانتقام من إصابه بهذا العجز، نقلني أصدقائي للمستشفى، عانيت شهرًا في المستشفى حتى تم شفائي، خرجت بعدها مقررًا

الذهاب لمنزل ذلك الفتى وقتله، لكنني علمت أنه قد توفي نتيجة جرعة زائدة تناولها في نفس اليوم الذي ذهبت أنا فيه للمستشفى..

قلب (جينوس) الورقة ما تم تدوينه على وجه الورقة المسمى سفير النور وقال:

- أتمنى عالم يحمل خصوصية، عالم لا يوجد به احتياج لأي مغيبات عقلية، عالم لا نتحرك فيه طبقًا لما تمليه علينا غرائزنا..

ما كانت تعرضه الكرة الهالوجرامية لنا بتلك الأثناء بمثابة جلسة تعرية لجروح الماضي مع تخيلات بلا سقف لطموحها، فربما لو تم تحقيقيها نصل لأسطورة العالم المثالي..

لو أن هنالك عالم مثإلى حقا فهل سيكون من إبداع عقل من عقول بني آدم!

هل حقًا هنالك مدينة يمكنها تحقيق ما قمنا سابقًا بتدوينه في بطاقة سفير النور؟

ما علاقة المستنقع بمدينة الظل؟

كل ذلك مر بذهني قبل أن يقوم (جينوس) بقراءة ما تم تدوينه ببطاقة وسيط الظل الجديدة على الوجه المسمى سفير الظلام:

- أنا أكره حياتي، كما أكره عجزي أمام القدر في تغير مسار مستقبلي، انفصل والدي وأنا بعمر الرابعة عشر، رفض أي منهم أن أعيش معه في حياته الجديدة، أكملت حياتي مع جدتي، كانت حياة صعبة، كنت دائمة الشعور باليتم وتبلد المشاعر، وجهي عابس لا يعرف ما هي معاني السعادة أو كيف يبتسم، تعرضت للتنمر من كل من حولي، جعلوني وحشًا، وحشًا بلا أنياب عاجز عن مقاومتهم، كنت دائمًا أقوم بجرح يدي لأشعر أنني لا زلت على قيد الحياة ولم أفقد القدرة على الشعور، أكره كل من أذاني بالتنمر وجعلني وحشًا مقيدًا ينتظر لحظة إزالة قيوده ليفتك بكل من قام بإيذائه، لا زلت أنتظر عودة والديّ، ليس ليخبراني أننا سنعود لنكمل حياتنا في بيت واحد وسيعوضانني على ما تعرضت له من أذى، بل لأخبرهم أنهم وحوش مؤذية، عديمة المسؤولية، لأخبرهم أيضًا أنهم أبشع نسخة سيناريو يمكن أن يكتبها شيطان، أحيانًا لا يمكننا أن نسقي بعضنا نفس النبيذ الذي تناولناه في كأس الألم طبقًا لقواعد القدر، لكنني أتمنى ألا يستيقظ هذا الوحش المدفون بداخلي من سباته..

قلب (جينوس) الورقة، لكن تلك المرة قرأ في صمت ما كتب على ظهر الورقة ذاتها المسمى وسيط النور ثم أعطي الورقة للمساعدة بجواره وقال:

- لقد وجدناها..

التفت لمن بالمسرح وسأل:

- من صاحب تلك البطاقة؟

- أنا..

اتجهت أنظار كل من بالمسرح سريعًا ناحية صاحب ذلك الصوت، كانت أنا (دومينيكا)، فتحرك حينها (جينوس) عدة خطوات نحوي وسأل:

- أيمكننا أن نتحدث سويًا بعد أن ننهي قراءة بقية بطاقات وسيط الظل؟

ابتسمت (دومينيكا) ابتسامة ثقة وعلم بسبب ذلك الطلب وقالت:

- بالتأكيد..

تغير المشهد الذي تعرضه لنا الكرة الهالوجرامية بعد ذلك ليصبح أحد الغرف الموجودة في قصر مدينة الظل، يجلس

في الغرفة (جينوس) على رأس منضدة زجاجية على يمينه تجلس مساعدة (جينوس) وأمامها صندوق البطاقات ودفتر وفي الجهة المقابلة منه كانت تجلس (دومينيكا) ألتفت مساعدة (جينوس) نحو (دومينيكا) وقالت:

- بالتأكيد أنتِ على علم بسبب اجتماعنا بكِ الآن أليس كذلك؟

أعتقد أنه بشأن ما دونته في بطاقتي على وجه سفير النور بشأن رغبتي في أن أكون أحد المسئولين في مدينة الظل..

أخرجت تلك السيدة من جيب سترتها ورقة وقلم وأعطتهم ل(دومينيكا) وقالت:

- أقرأي هذا الإقرار جيدًا، لو لا زلت تريدين أن تكوني أحد مسئولي مدينة الظل فعليكِ فقط بالتوقيع..

قرأت (دومينيكا) تفاصيل ذلك الإقرار لدقائق ثم قالت:

- لا يمكنني التوقيع قبل أن أعلم ما هي تفاصيل تلك التجربة..

سألها (جينوس) بنفس نبرتها الهادئة:

- هل هناك أحد يولد وبجواره كتاب يحكي قصة حياته؟

هذت رأسها نفيا ثم قالت:

- لا، لكنه يكون متحملًا لمسئولية نفسه فقط..

ابتسمت مساعدة (جينوس) وقالت:

- إنها لذة التفاصيل..

التفت لها (جينوس) وقالت بنبرة شبه مستنكرة:

- أظن أنه لا توجد لذة في الحياة بقدر شغفها المبهم دائمًا..

قاطعته (دومينيكا) بدهاء سيدة دبلوماسية:

- لا ترهق نفسك، الأمر متوقف على توقيعي لذلك الإقرار وأنا لن أوقع قبل أن أعرف ماذا سيحدث لنا بالضبط في تلك التجربة..

حينها قالت مساعدة (جينوس) مستعملة بطاقة الإقناع الأخيرة التي بحوزتها:

- ماذا لو أخبرتكِ أن الجميع ستمحي ذاكرته كضريبة لدخول مدينة الظل.

ضحكت (دومينيكا) بسخرية وقالت:

- سأوقع قبل الدخول لمدينة الظل، لكن ما حاجتكم لتوقيعي من الأساس؟

رد (جينوس) بنبرة تفاخر نضحت على ملامحه:

- مصداقية التجربة أمام الناس، فبعد توقيعك لو نجحت تلك التجربة سيعترف العالم بها على أنها علاج للانتحار، مما يثبت صحة نظريتي بأن المنتحر شخص يحاول الهروب من واقعه وليس إنهاء حياته..

قالت (دومينكا) محاصرة (جينوس) ومساعدته في خانة اليك بردها:

- لا زلت عند قراري، أن أردتم توقيعي فعليكم إعلامي بتفاصيل تلك التجربة..

التفت (جينوس) لمساعدته، دار بينهم حديث صامت انتهى بأن مساعدته أعطت الدفتر الذي أمامها ل(دومينيكا)..

مرت لحظات من التردد والرعب قبل أن تفتح (دومينيكا) ذلك الدفتر لقراءة تفاصيل تلك التجربة، لكنها حسمت أمرها وفتحت بعدها الدفتر وقرأت الجملة التي كتبت في منتصف الصفحة الأولى..

التفتت (دومينيكا) للسيدة الأربعينية وقالت باستنكار:

- مستنقع (جينوس)!

رد (جينوس) بتلقائية قائلًا:

- تلك التجربة التي ستقومون بخوضها قبل دخولكم لمدينة الظل في عالم من العوالم التي ابتكرناها، ستُمحى ذاكرتكم وستعيد التجربة تعريف مفهوم الحياة بالنسبة لكم وفي نهاية التجربة سنمحنكم الاختيار..

سألت (دومينيكا) قائلة:

- اختيار؟

أجابت مساعدة (جينوس) قائلة:

- اختياركم إما دخول مدينة (فينترا) أو استعادة ذاكرتكم والعودة مجددا لصراعكم مع واقعكم الذي أتيتم جميعًا هربًا منه ورغبة في تغيره..

بدأت (دومينيكا) بقراءة ما تم تدوينه بالدفتر، ثم زادت فجأة سرعة المشهد الذي تعرضه الكرة الهالوجرامية، فمبرور الثواني انتهت (دومينيكا) من قراءة كل ما تم

تدوينه في الدفتر، أمسكت القلم وقامت بدون تردد بتوقيع الإقرار بعد قراءتها وأدراكها لكل تفاصيل تجربة المستنقع من الإغماءة الأولي وحتى الإغماءة الأخيرة..

* * * *

الإغماءة الأخيرة

أغمض عينيك واسرح في خيالاتك وأنت تبحث عن إجابة للسؤال الأخير في رحلتنا:

- ألا يمكن أن يكون الخلود بمثابة العلاج لمرض اسمه الموت؟

كالساقطة في متاهة من فوهة طائرة..

أهنالك فارق بين مدخل ومخرج متاهة حينما تجد نفسك قابع في منتصفها ولم تدنُ إليها بمحض أرادتك؟

فالسير للأمام بحثًا عن المخرج أو العودة بخطواتك للخلف بحثًا عن مدخلها كلاهما سيان، فمخرج المتاهة ومدخلها كلاهما فتحة لهروبك..

ففي كلا الطريقين أنت تائه وسط طرقات تلك المتاهة، مقيد ومنزوع الإرادة، تتمنى أن تقودك خطواتك للخروج، كما تتمني في نفس اللحظة ألا تبعدك خطواتك ذاتها عن فتحة الهروب، تتذمر كلما وجدت حائط في وجهك بالمسار الجديد الذي اتبعته للخروج..

من منا كان له اختيار بالقدوم لتلك الحياة؟

تضحكني حينما تذكر تفصيله أنك لا تحمل خريطة للمكان..

هل هناك أحد يولد وبجواره كتاب يحكي قصة حياته؟

كلنا نولد بمستقبل خفي التفاصيل وموعد مبهم لموتنا ومصير يكتب بقلم القدر، إما تلك اللحظة فكانت بإبداع (جينوس)..

فهو من ألقى بالشعب بأكمله وسط متاهة المستنقع عن طريق طائرة كنت أنا سائقتها بتوقيعي على ذلك الإقرار..

لم أتحمل نظراتهم بعد نهاية الأسطوانة الأخيرة، نظرات عتاب ولوم هربت منها إلى داخل الفنار..

جلست بالفنار كعروس ماريونت قرر (جينوس) قطع الحبال المحركة لأطرافها ظنًا منه أنه بذلك سيحررها، لكنه لم يكن يعلم أنه يقتل روحها ويتركها في الطريق كقطعة خشبية سقطت عشوائيًا من أحد الأشجار، أو كصقر مات نتيجة سقوطه من مسافة كبيرة نتيجة رمي أمه له في السماء ظنا منها أنها بذلك تعلمه الطيران، بعيون فقدت قدرتها على إنتاج الدموع كأنها تأنبني على ما فعلت بنفسي وبشعب المستنقع..

بعد لحظات طرق صديقي الباب الذي نسيت إغلاقه وسأل:

- أيمكنني الدخول؟

أطلقت نفسًا عميقًا زفرت به ما بداخلي من ألم وقلت له قبل أن يدخل:

- لا تقلق، أنا بخير..

أسندت بعدها رأسي المنكس لأداري تعابير وجهي الذي يصارع الألم كي يظهر مبتسمًا وبعيون تحاول بكل قوتها أن تمنع زرف الدموع ظنًا مني أنه سيرحل لتركي وحيدة كي أهدأ متداركة للموقف، رفع صديقي رأسي المنكس لتتلاقى عيوننًا وقال:

- حتى لو استطعتِ أن تداري تعابير وجهك وأن تكتمي دموعك فعيونك تفضحك..

نظرت بعيدًا لأداري عنه عيوني، عيوني التي تشبه المرآة التي تكشف عن كل ما أشعر به من انكسار وضعف، جلس صديقي بجواري على المنضدة الموجودة داخل الفنار وسألني بنبرة التماس كي أتحدث إليه قائلًا:

- أستظلين صامتة لوقت طويل!؟

لم أعره أي انتباه، ربما لم أسمعه من الأساس، كنت أحاول الهروب فحسب، أكره لحظة كوني ضعيفة أمام أي شخص، أكره كوني مكبلة بقيود الضعف والعجز والانكسار بلا أي

حيلة، كنت أتمنى دومًا أن أكون حرباء لها القدرة على تغيير لون جلدها لتتواري خلف أحد أوراق الأشجار أو نبات صبار للهروب من خوفها من الأعداء، كنت أتمنى أن أمتلك تلك الخاصية للتمكن من الهروب من أي لحظة ضعف، قال صديقي مبتمسًا مرة أخرى:

- لو أنتِ بخير مثلما تقولين أخبريني بأي شيء يجعلني أصدقك..

مسحت سريعًا تلك الدمعة التي كانت على وشك السقوط من عيني اليسرى والتفت له قائلة:

- كيف تريد مني أن أكون بخير وأنا السبب في كل شيء تعرضنا له من خسائر وأضرار بذلك لمستنقع منذ البداية..

- أنتِ السبب في إنقاذنا يا (دومينيكا)..

التفت له بعد أن قال تلك الجملة مستنكرة مما قال فأكمل:

- أنتِ السبب في تلك التجربة التي كونت لشعب المستنقع بأكمله أسباب تدفعهم للصراع لأجل الحياة، بدلا من كل محاولاتهم السابقة في الانتحار هربًا من واقعهم..

قاطعته صارخة بوجهه قائلة:

- واقعنا! واقعنا وذكرياتنا هو ما سلبهم منا كي يكون قادرًا على جعلنا فئران لتجاربه.

أخذت نفسًا عميقًا ثم قلت بنبرة يأس ورأس منكس مرة أخرى:

- الوهم الذي يقدمه لنا ما هو إلا مسكن لما بداخلنا من ألم وليس دواء..

أكمل صديقي قائلًا:

- لم نكن لنأتي لمدينة الظل بإرادتنا لو كان بإمكاننا استكمال حياتنا ولو للحظة واحدة في واقعنا، أنتِ و(جينوس) قمتم بعلاجنا لنصارع مجددًا كي نعيش..

التفت له وقلت بملامح ساخرة ارتسمت على وجهي:

- كالأعمى الذي شكر من أزال له عينيه كي لا يبصر بشاعة البشر من حوله، أنت الآن تريد أن تخبرني أنني بطلة في عيون شعب المستنقع وأنهم قد تناسوا أنني سبب كل ما مروا به في تجربة المستنقع تلك أليس كذلك؟

- في الحقيقة لم آتِ إلى هنا لذلك السبب بالتحديد..

صمت للحظات ثم أكمل بنبرة شابها بعض الخجل:

- أتيت لأننا وصلنا تقريبًا لنهاية تجربة المستنقع ولا زلت لم أختر لنفسي اسمًا كي تدونيه لي في دفترك..

قلت أنا ضاحكة:

- أعترف الآن أنك نجحت في أن تضحكني في أكثر لحظاتي حزنًا..

أخرجت الدفتر من جيب سترتي وفتحته على آخر صفحة قمت بتدوين أحداث فيها وكتبت بها أن صديقي قد أختار له اسمًا، تركت بعدها مسافة فارغة كي يكتب بها الاسم الذي يريده فكتب اسم (نيرو) وقال:

- أخبرني المترجم أنها كلمة تعني شخص ذكي باللغة الفنلندية.

في تلك الأثناء قاطع الفتى المترجم جلستنا وقال لوجه عابس حزين:

- وقعت مصيبة..

قمنا سريعًا أنا و(نيرو) من جلستنا متجهين إلى خارج الفنار أو بمعنى أدق تحركنا لتفقد حالة (برلانتا)..

كنت أعلم أن روحها قد أوشكت على الفناء، رغم ذلك

حاولت الهروب من تلك اللحظة فقد سئمت كل لحظة ألم يسبقها فراق..

خرجت أنا و(نيرو) لتفقد ما يحدث خارج الفنار، كان شعب المستنقع يقف حينها مصطفًا بمصابيحه خلف (داشا) التي كانت جاثية على ركبتيها ممسكة بقلادة (برلانتا)..

ما إن اقتربت من (داشا) حتى التفت لي وقالت بنفس نبرتها الساخرة المعتادة التي تهرب بها من أي موقف صعب يمر علينا:

- تركتنا في صراعنا مع أرواح أرض الأسلاف بظهر عاري..

أسرعت نحوها واحتضنتها فقالت بصوت حزين متألم:

- سأفتقد (برلانتا)..

ربتُ على ظهرها للحظات وقلت:

- سنفتقدها جميعًا..

صمت للحظات كي أفكر في رد ما كي أواسيها به، لكنني للأسف لم أجد شيئًا أقوله فقلت لها بعبثية في محاولة فاشلة لأخرجها من تلك الحالة:

- حسنًا يا (داشا).. أنا.. أنا أعلم ما تشعرين به..

قاطعتني قائلة وهي تهز رأسها نفيًا استنكارًا لكلامي بنبرتها الساخرة التي تتخطى بها كافة المواقف:

- أنا لم أعد أشعر بشيء يا (دومينيكا).

أخذت نفسًا عميقًا ثم استطردت قائلة:

- أصبحت كالتمثال بقلب متحجر يمحي ما بداخله من مشاعر، بعيون جف بئر دموعها.

وضعت وجهي بين كفيها وابتسمت ابتسامة قصيرة ثم قالت:

- لا تقلقي، أنا لا زلت على قيد الحياة..

صمت متفهمة ما تمر به (داشا) لذلك صمت دون أن أعلق..

كنت أعلم أن (داشا) -رغم ثباتها أمامنا- منهارة من الداخل، لكنني كنت أعلم أن مواساتي لها ببعض الكلمات لن يغير شيئًا أو ربما كنت أحاول الهروب من فكرة مواساتها من الأساس..

فمنذ أن جئت المستنقع وأنا مجبرة على مواساة الكل رغم ما أحاول مدارته بداخلي من انهيار وألم وحزن وانكسار..

فلا يجدر بك أن تواسي شخصًا آخر إلا حينما يكون هنالك فائض في مخزون طاقتك النفسي، فكلما مارست هبة المواساة بامتصاصك لألم من حولك وتخزينه بداخل، كلما استنفذ مخزون طاقتك وزادت سرعة انهيارك..

في تلك اللحظات كان المترجم يمر بين الشعب المصطف خلفنا ويحدث كل مجموعة من شعب المستنقع بلغتها ليطلب من الجميع إطفاء جميع المصابيح المضاءة..

حين التفت نحو شعب المستنقع كان المشهد أشبه بجنازة صامتة أو رسالة شكر من شعب المستنقع ل(برلانتا) وكل من فقدنا من أعزاء بالمستنقع..

حينها ألبست (داشا) قلادة (برلانتا) وساعدتها على الوقوف كي تشاهد هذا المشهد الذي كان يدور خلف ظهرها، فبدأت دموعها بالهطول رغم محاولاتها لكتمانها..

حينها أقترب (نيرو) مني وتساءل وهو لازال يتأمل شعب

المستنقع:

- أستُمحى تلك اللحظات من ذاكرتنا؟

التفت لي مكملًا سؤاله:

- الحزينة منها والسعيدة حينما تنتهي تلك التجربة؟

أسندت رأسي على كتفه وقلت:

- حتى لو سنفقد ذاكرتنا مجددًا، يكفي أننا سنظل معًا..

هز رأسه في صمت مقتنعًا بكلامي ثم شردنا بملامح شعب المستنقع..

كانت الدموع تملأ وجوههم كما غطى الحزن والألم ملامحهم، لغة الصمت سادت المكان كله وانطبع الألم على الملامح..

ذكريات الماضي لاحت أمام عيون شعب المستنقع منذ يوم ولوج كل فرد لهذا المستنقع وحتى تلك اللحظة التي نصطف فيها الآن..

ألمي النفسي لا زال ينهش روحي وجراح قلبي لا زالت تنزف، جراح أطفأت رغبتي بالاستمرار في الحياة، رغم أننا

جميعًا نظريًا على بعد خطوات منا الانتقال للملاذ التي دوننا تخيلاته عنه ببطاقة سفير النور..

* * * *

مرت عدة دقائق كان الموت فيها يعزف لحنه الخاص بقيثارة الألم على أوتار قلوبنا المنهكة حزنًا وانكسارًا..

- هنالك علامة ظهرت بالسماء منذ لحظات، أعتقد أنه عليكم رؤيتها..

قالتها العجوز من خلفنا قاطعة شرودنا لنلتفت جميعًا ونجول بعيوننا بحثًا عن تلك العلامة بالسماء..

كانت العلامة أشبه بكرة ضخمة من اللهب تعلو أحد الجبال الموجودة جهة اليسار من الفنار، بعد أن لمحت عيناي تلك العلامة ألتفت سريعا نحو السيدة العجوز لأسألها بحثًا عن تفسير ما متسائلة:

- ماذا تعني تلك العلامة؟

التفت العجوز لي وقالت جملة قد نسيت أنها هدفي وهدف شعب المستنقع من الأساس:

- إنها علامة تقودك لمكان (جينوس) موجودة بالمنطقة السابعة من مناطق المستنقع..

قالت أحد الفتيات من شعب المستنقع بلغة لم أستطع ترجمتها:

- But , may be it's a trap

ترجم لي المترجم ما قالته توًا فكان معناه:

- لكن، ربما يكون فخًا.

قالت (داشا):

- أعتقد أنها تقول ربما يكون فخًا من أرواح الأسلاف أو وهمًا ما يستعملونه لاستدراجنا من خلاله، ربما كي يتمكنوا من تطبيق سحرهم علينا..

قاطعها (نيرو) مُستنكرًا أو بالأحري مُتلَذِّذًا بدنوه في بحر رمال الثقة المُتحركة بصحراء المستنقع:

- (دومينيكا) نحن نعلم جميعًا أن تلك العلامة تشير لموقع (جينوس).

فكرت للحظات ثم قلت بتردد سممته ببعض الحزم كما

كانت تفعل (كايلا):

- (داشا) محقة، ربما يكون وهمًا من أرواح الأسلاف لاستدراجنا فحسب.

سأل الفتى المترجم مستنكرًا:

- تريدين أن نظل قابعين هنا أذن؟

أجبته مُلتمسة في قرارة نفسي أن يزيحوا عن عاتقي حمل قيادة المستنقع قائلة:

- فليفعل كل منكم ما يشاء، فيكفي كوني سبب ولوجكم لتلك التجربة، فربما أن قررت الذهاب وراء تلك العلامة أكون سببًا في هلاككم أيضًا..

قال الفتى المترجم بعيون مفضوحة تتراجني كي أعيد التفكير:

- لكن الشعب بأكمله ينتظر قرارك يا قائدة.

ألتفت (نيرو) نحوي وقال:

- (دومينيكا) ربما ما قالته (داشا) صحيح وأنه وهم من أرواح الأسلاف، لكن بقاءنا هنا هلاك ونحن نحمل علامة

بأن هناك أملًا كي نكمل حياتنا بواسطة (جينوس)..

قالت (داشا) بنبرتها الساخرة كعادتها:

- منتحرون فاشلون يخشون الهلاك، كم نحن مضحكون حقًا!

قلت بنبرة مستنكرة:

- أنا لا أتحكم في قرارتكم، من يريد الرحيل فليرحل..

التتف (نيرو) نحو العجوز وسألها:

- أليست تلك هي علامة (جينوس)؟ فلتخبرينها.

فكرت العجوز للحظات ثم قالت بتردد:

- لا أقدر أن أجزم، لقد أتيت إلى هنا منذ فترة بواسطة (جينوس) وحكى لي عن (دومينيكا) وأنه سيقوم بتدمير المستنقع يوما ما كما صمم تجربته، لكن وارد أن يكون كل ذلك وهم من أرواح الأسلاف، أنا غير متأكدة..

التفت (نيرو) لي وقال بنبرة التماس:

- (دومينيكا) أن بقائك هنا بنفس خطورة ذهابك معنا، أعلم أنك لا تريدين تحمل مسؤولية قرار مثل هذا بعد

شعورك بالذنب لأنك السبب في إدخالنا لتلك التجربة، لكن الشعب جميعه يرى أنكِ أنقذته وفتحتى عيونه على الحقيقة وعالجته وزرعت بداخله أسباب للحياة، فالشعب لن يرحل بدونك..

قلت بنبرة حازمة:

- لقد فكرت وحسمت قراري بالبقاء يا (نيرو).

قال هو بنبرة استعطاف ووجه يترجاني لتغيير رأيي ودمعة سالت من عينه دون عنه:

- (دومينيكا) أرجوكِ..

فجأة قاطع حديث (نيرو) صوت بنبرة تحمل حماس من المترجم وهو يقول أول بيت من قصيدته التي قام بمساعدة الشعب على حفظها، بعد ذلك أكمل شعب المستنقع بنفس الصوت والنبرة الحماسية القصيدة وهم يصفقون، حيث كان شعب المستنقع يخبرني في رسالة بطريقة غير مباشرة أنه هو من يريد أن يتحرك خلف تلك العلامة ظنًا منه أنه القرار الأصوب رغم إمكانية أن يكون كل ذلك خدعة من أرواح أرض الأسلاف..

مع كل بيت من تلك القصيدة كنت أتذكر معاني الأبيات، دوت في أذني معاني أحد المقاطع بالقصيدة والتي كانت

ترجمته حسب لغتي:

لقد عانينا من عدة خسائر في تلك المباراة

شعبنا تحرقه لهب الوحوش

رغم ذلك، نحن نكافح حتى لا نموت في خجل

سيكون انتقامنا هو المكسب الوحيد

اقترب مني الفتى المترجم وقال:

- الشعب يريدك أن تأتي برفقتنا يا قائدة..

استسلمت لإلحاحهم ورغبتهم جميعًا في التحرك خلف تلك العلامة، حيث أضاء الجميع مصابيحه وتقدمتهم أنا بمصباحي نحو ذلك الجبل الموجود بالمنطقة السابعة -أي المحطة الوحيدة التي لم نتطرق إليها برحلتنا السابقة- من مناطق المستنقع..

* * * *

بعد فترة من السير اقتربت مني (داشا) وقالت ساخرة

كالعادة:

- أخيرًا سيشهد المستنقع الموقعة المنتظرة ل(دومينيكا) ضد (جينوس)..

التفت لها وقلت ضاحكة:

- لقد صمم كل شيء منذ البداية، النهاية معروفة بالنسبة له، فنحن مجرد دمى مسيّرة لتجاربه فقط.

قاطعني (نيرو) قائلًا:

- على الأقل نحن مسيرون ليتم علاجنا عن كل ما تدمر بداخلنا سابقًا..

قلت أنا ملتفته نحو السماء:

- أتمنى أن تكون على حق يا صديقي..

* * * *

وصلنا أخيرًا للقمة الجبلية التي كانت تعلوها كرة اللهب..

لم تكن كرة اللهب الشيء الوحيد الذي يعلو تلك القمة في الحقيقة، فحينما وصلنا وتأملنا المكان بنوع من

التفصيل فظهر أعلى القمة الجبلية تمثال حجري -بحجم ضخم نوعًا ما- لرجل ملثم مجنح يحمل بين يديه جرس عملاق، كانت كرة اللهب بمثابة الجزء المعدني الذي يُحدث الصوت عند اصطدامه بهيكل الجرس، بالإضافة لأن القمة الجبلية كانت ذات ارتفاع شاهق ملتف حولها سلم حجري بشكل حلزوني..

صعدنا درجات السلم والتي تعدي عددها الألف درجة إلى أن وصلنا أخيرًا لنهاية تلك القمة الجبلية..

حينها وجدنا (جينوس) أمامنا يقف ممسكا بمصباح اختلف شكله عن مصابيحنا نوعًا ما وبجواره مساعدته التي تحمل بين يديها صندوقًا خشبي متوسط الحجم ومن خلفهم يتجلى التمثال الحجري للرجل الملثم..

في اللحظة التي وجدنا فيها (جينوس) أمامه قال بنبرة ترحاب مبالغ فيها:

- أخيرًا، سفراء مدينة الظل الجدد قد وصلوا.

التفت نحو تمثال الرجل الملثم وقال وهو يشير إلينا:

يقول البشر دومًا في العالم الواقعي الذي أتيتم جميعًا

هربًا منه ومن أذاه النفسي أن الوقت سيساعدكم على تجاوز أزماتكم النفسية..

التفت لنا وضحك للحظات ثم أكمل:

- لقد كذبوا عليكم، فالوقت لا يمحي الأذى النفسي، فالوقت كصائد الأرواح الذي سيقتلك حين ينفي رصيدك من الوقت بتلك الحياة، لذلك صممت ذلك التمثال ليكون بمثابة رسالة تذكير أخيرة بأنه حال عودتكم للعالم الواقعي لن تجدوا غير شبح الوقت كي يكون ملاككم المداوي.

تحرك (جينوس) عدة خطوات لليمين وللسيار وهو يقول:

- أخيرًا يمكنني أن أقول بأنني قد نجحت في تجربتي التي حاولت فيها إثبات أن الشخص المنتحر يحاول الهروب من واقع مؤلم فرض عليه ولم تكن لديه القدرة على التأقلم معه وليس الهروب من الحياة بأكملها كما يزعم الجميع..

التفت (جينوس) بعد ذلك لمساعدته فتحركت عدة خطوات نحونا ووضعت الصندوق التي كانت تحمله على الأرض وفتحته..

كان الصندوق يحتوي على مجموعة من الحقن التي تحتوي على مصل بلون أزرق، التفت (جينوس) لنا بعد

ذلك وقال مكملًا:

- الآن، حان وقت الاختيار الذي سيحدد مصيركم..

قاطعته أنا قائلة بنبرة شخص يلقي تهمة زور على متهم:

- إما دخول مدينة الظل أو العودة لواقعنا الذي أتينا لمدينة الظل هربًا منه، بالإضافة لاستعادة ذكرياتنا التي سلبتموها منا..

قاطعتني مساعدة (جينوس) وقالت:

- نحن لم نسلب ذكرياتكم، نحن فقط جعلنا هذا العالم الافتراضي الخيالي واقع بالنسبة إليكم، فالذكريات هي بمثابة جاذبية العالم الواقعي التي لو تحررتم منها تفقدون القدرة على التمييز بين الواقع والخيال..

قاطعتها أنا بنبرة غضب قائلة:

- لذلك قمتم بنزعها منا كي تزرعوا بداخلنا ذكريات أسوأ منذ أن تم ولوجنا إلى هذا المستنقع، أليس كذلك؟

ردت مساعدة (جينوس) قائلة:

- بالطبع لا، أن (جينوس) هو مصمم هذا العالم الافتراضي

وأنا من صمتت تفاصيل مناطق مدينة الظل بداية من المستنقع، لكن ما عليكِ أن تعرفيه هو أن كل الأحداث التي مررتم بها في المستنقع كانت بناء على تفاصيل اقتبستها مما قمتم جميعا بتدوينه على وجه بطاقة وسيط الظل..

تحرك (جينوس) عدة خطوات نحوي وهو يتأملني ويقول:

- لقد وضعناكم في صراع حقيقي في عالم تمنيتم دومًا التغلب عليه.

ثم وقف بجواري وقال دون أن يلتفت نحوي:

- لقد وهبناكم حياة جديدة تحررتم فيها من كل قيود واقعكم السابق.

عاد إلى مكانه السابق وقال كأنه يلقي جملة سوكسيه مسرحية:

- لقد أنقذناكم جميعًا، شفيناكم من كل ما سببه لكم واقعكم من أذى، كما صممنا لكم مدينة من نسج أحلامكم كما تمنيتم ودونتم على وجه بطاقة سفير النور، مدينة (فينيترا) التي ستكملون فيها حياتكم في واقع صممتموه بأنفسكم، تذكروا أن استعادة ذكرياتكم والعودة لواقعكم سيجعلكم كعرائس ماريونت مقيدة بحبال يحرككم بها كف القدر في قصة من تصميمه..

أكملت من بعده مساعدته قائلة:

- في النهاية الاختيار اختياركم، من يرغب في العودة لحياته السابقة مستعيدًا ذكرياته فليحقن نفسه بذلك المصل، اما من يريد الدخول لمدينة (فينيترا) فليقف بجوارنا.

التفت نحو (جينوس) وسألت:

- أيمكنك أن تخبرنا ماذا حل بكل الأشخاص التي خسرناها حينما قررت أن تدمر المستنقع؟

ابتسم (جينوس) وقال:

- جميعهم قد اختاروا مصيرهم بالانتقال لمدينة (فينيترا)..

قالت مساعدة (جينوس):

- صدقيني في (فينيترا) ستجدون كل من فقدتهم بتلك التجربة وكل ما دونته وتمنيته في بطاقة سفير النور..

حينها بدأ شعب المستنقع بالتفكير في مستقبلهم وتصارعت الأسئلة في عقولهم..

هل أنه بعد تجربة المستنقع صار (جينوس) بمثابة السفينة التي ستنقلنا جميعًا إلى الجنة الجديدة التي صنعها

أم أننا سنصير فئران تجربته الجديدة بالمدينة المدعوة (فينيترا)؟

أشفتنا تجربة المستنقع من كراهيتنا للحياة ورغبتنا بالانتحار حقًا أم كانت المفتاح الذي أرشد أرواحنا على أنها مصابة بأمراض نفسية أخرى؟

هل كراهيتنا لنظام وأحكام المستنقع ورغبتنا الدائمة بعدم موت أي من أفراد شعبه يعتبر اعتراف كافي بشفائنا؟

بعد لحظات بدأ شعب المستنقع بالتحرك واحد تلو الآخر ليقفوا بجوار (جينوس) ومساعدته للانتقال لمدينة (فينيترا)..

حينها تحركت أنا بعفوية واتكأت على ركبتي أمام الصندوق وأمسكت بأحد الحقن لأحقن نفسي بذلك المصل، لكن (نيرو) أمسك بمعصمي وسألني باستنكار:

- هل جننتِ؟

التفت له وقلت بنبرة غاضبة:

- استكمال حياتنا في عالم وهمي هو الجنون ذاته..

قال (نيرو) بعيون تلتمس من الريح تغيير دفة قراري:

- لقد وعدتك إلا أتركك وقد نفّذت هذا الوعد للنهاية، حان دورك الآن..

التفت نحو (نيرو) قائلة:

- أنا لا أفعل ذلك لاقتناعي بأن العودة للعالم الواقعي هو القرار الأفضل بالنسبة لي، أنا أحاول مساعدتهم كي يستيقظوا من تأثير ذلك الوهم المسيطر على عقولهم..

قال (نيرو):

- لكل شخص حق بتحديد مصيره..

قاطعته صارخة في وجهه:

- إنهم مصيَّرين كي يختاروا، موهومين.

دفعته لأحرر يدي من قبضته وصرخت مخاطبة شعب المستنقع:

- توقفواااا.

قالت (داشا) ضاحكة بسخريتها وهي تتأمل السماء:

- خطبة الوداع للمستنقع.

حينها تقدم المترجم لعدة خطوات ليقف بجواري وقال:

- لن يصغوا إليكِ الآن، لن يصغوا إلا لصوت عقولهم.

تحرك بعد ذلك ليقف بصف (جينوس) وهو يقول:

- الأبطال لا تغير نهاية الكاتب..

كان حديث الفتى المترجم مقنعًا ومنطقيًا..

فحقًا لا تغير الأبطال نهاية الكاتب، فلا يمكن لشخص مهما فعل أن يعبث بقدره..

كلنا تروس في ماكينة حياة الآخرين، فوجودنا مهم لاستمرار الماكينة في العمل بنفس الكفاءة، كما أن غيابنا مؤثر ويحدث الفارق بالرغم من إمكانية استبدالنا بشخص آخر في أي وقت، لكن الأهم من ذلك كله أننا عامل التغير الأساسي بالماكينة، فالشيء الوحيد الذي يمكننا أن نحدث به تغيير هو حياة من حولنا..

فنحن من نسمح ونمنع، نعظ وننهر، نهب ونحرم، نؤنس ونهجر، نكتم ونبوح، نمدح ونزم، نثق ونشك، نؤذي ونداوي، نصلح ونخرب، نعبث ونغير بماكينة الحياة لدى

الآخرين..

كنت أعلم أن إلقاء خطبة لشعب المستنقع في تلك الأثناء لن تغير شيئًا خصوصًا وأن الفتى المترجم قد أخذ صف (جينوس)، كما أنني كنت متأكدة أن حقني بذلك المصل أمامهم لن يكون شيئًا ذا وقع صادم يوقظ عقولهم من تأثير ولعهم بمدينة (جينوس) اليوتوبيه..

لكنني كنت أعلم في قرارة نفسي بأنه ليست كل ضربات السياط تجلب نفس الألم، فتأثير ضربة السياط تختلف باختلاف يد وقوة ضربة الجلاد، لذلك كنت أفكر أن أضرب ظهورهم جميعًا بضربة سياط وقعها أقوى آلاف المرات لتستيقظ عقولهم مثلي من هذا الوهم، فصرخت حينها صرخة لجذب انتباههم حتى لو للحظة..

لحظة ركضت فيها جهة اليمين من تلك القمة الجبلية وقفزت من أعلاها..

مر ذلك المشهد ببطء شديد جدًا، بطء مكنني من رؤية وجوه شعب المستنقع وهي مصدومة مما فعلت، كما استطعت رؤية وجه صديقي (نيرو) الذي لم يستوعب عقله مطلقا ما فعلته فسقط على ركبتيه بوجه سالت على خده الدموع..

لحظة سقوطي توقف فيها كل شيء، الصوت والجاذبية حتى الزمن توقف فيها، لحظة شعرت فيها أن روحي حطمت كل القيود والأكبال..

- آسفة يا صديقي لخيانتي وعدنا بالبقاء سويًا مهما حدث.

كل ما كنت أتمناه لحظتها هو أن تتحرر عقول شعب المستنقع وتدرك أنها في مجرد وهم من صناعة (جينوس)، لكن ما حدث حينها هو ظهور ضوء أبيض عظيم من أعلى تلك القمة الجبلية -كأنه خرج من مصباح (جينوس)- حجب كل شيء، حجب حتى قدرتي على استيعاب ما حدث لي ولشعب المستنقع بعد ذلك، فكل ما كنت متأكدة منه هو سقوطي بعد ظهور هذا الضوء العظيم في إغماءتي الأخيرة..

(تمت)

يتبع في الجزء الثاني (ملاذ فينيترا)